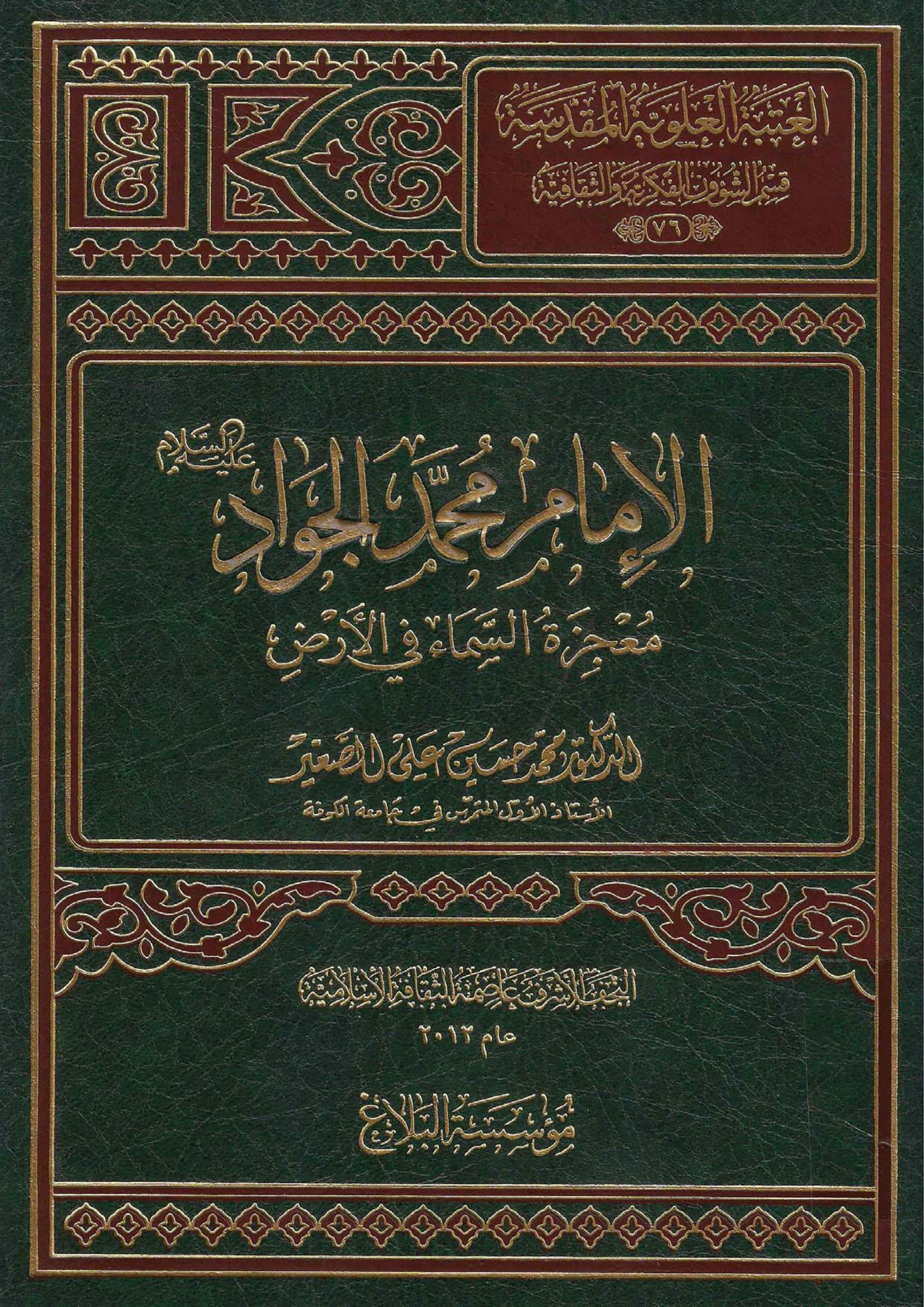
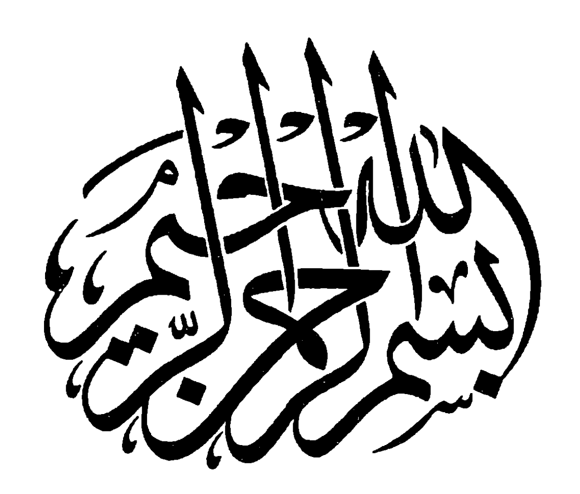
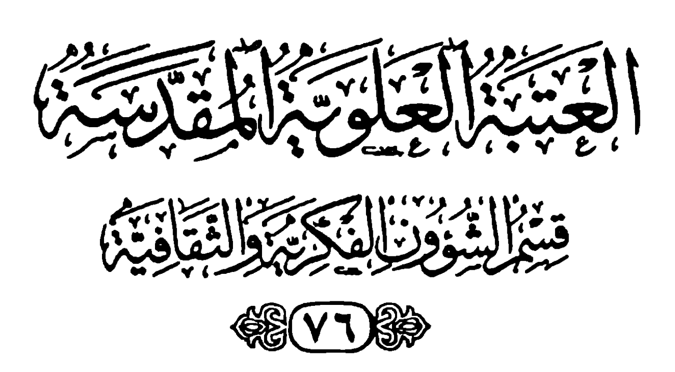

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٧٦)
الإمام محمد الجواد عليه السلام
معجزة السماء في الأرض
الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢
مؤسسة البلاغ


شبكة الفكر
alfeker.net

الإمام محمد الجواد عليه السلام

معجزة السماء في الأرض


بسم الله الرحمن الرحيم



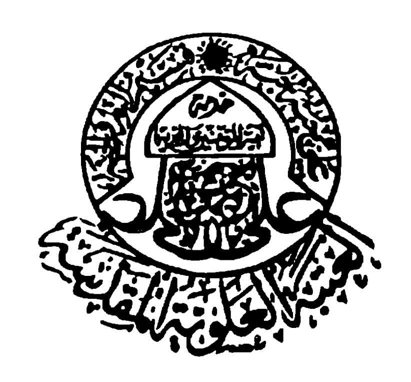
الإمام محمد الجواد عليه السلام

معجزة السماء في الأرض

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢

مؤسسة البلاغ



www.imamali-a.net
info@imamali-a.net



المؤلف: الدكتور محمد حسين علي الصغير

الناشر: العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإخراج الفني: محسن اليوسفي

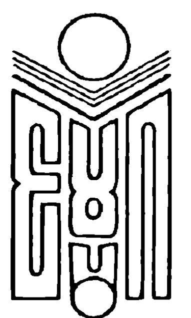
الطبعة الأولى

تاريخ الطبع: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

التنفيذ الطباعي

مؤسسة البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الاسلامي - بناية حطيط
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧-٢٢٥٠ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com
E-mail: Albalagh-est@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اِستهلت حياة الإمام محمد بن علي الجواد(عليه السلام) فجرها المشرق بإمامته في سن مبكرة من عمره الشاب.

وقد احتج البحث للإمامة في الصِبا بمثل ما احتج به الله تعالى للنبوة، فقد بعث الله يحيى نبياً في صباه، فقال تعالى:

﴿يَايَحيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم/١٢.

وبعث الله عيسى بن مريم نبياً في اليوم الأول من ولادته وقال فيما اقتصَّ من خبره على لسانه:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ مريم/٣٠.

ولما كانت الإمامة امتداداً طبيعياً للنبوة، وجاز أن يكون النبي صبيّاً، فلا مانع من جواز كون الإمام صبيّاً من باب أولى.

وقد نص الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) على إمامة ولده الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وتسلّم قيادة الأمة في السابعة من العمر، فكان معجزة في إمامته، ومعجزة في أدائه، ومعجزة في برهانه، ومعجزة في معارفه الإنسانية الكبرى، ومعجزة في اللمح الغيبي فيما أخبر به، وأفتى، واستنبط، وقرر، وحاور، وناظر مستقيماً على الخط المنهجي لأهل البيت فكراً وأصالة وقيادة حكيمة فذة.

ولهذا كله، عاد الإمام "محمد الجواد معجزة السماء في الأرض" يخترق نواميس الكون، ويستطيل سنن الحياة، فتخشع له العقول قبل الأبصار، وترنو له القلوب بعد التجربة والاختبار الميداني.

أصيبت الخلافة العباسية بالهلع والقلق لذلك العطاء الذي لا ينضب من هذا (الصبي الإمام) إذ أراد مركز الحكم العباسي أن يجعل إمامته المبكّرة مادة للسخرية والاستهزاء بما يعبر عنه عند بعض الوافدين بـ (أزمة الطفولة) وإذا بالسحر ينقلب على الساحر، فتعدُّ إمامة الجواد أعجوبة في الأبعاد كافة: رسالة، وأصالة، وثروة، وقيادة، وزهداً، وورعاً، وعزّة، وثباتاً، وصلابة، وكفاية.

ووقف المسلمون والحاكمون ذاهلين أمام هذه الظاهرة الجديد، فمواكب العلماء تترى بالسؤال والإفادة من هذا الصبي الإمام، وشيوخ الأمة جاثية بين يديه تطلب المزيد، وأتباع أهل البيت(عليهم السلام) يزيدهم الحدث إيماناً، ويثبت قلوبهم اطمئناناً.

وفي ضوء ما تقدم تتجلّى أهمية هذا الموضوع في البحث العلمي، وهذه الأطروحة تعنى بأهم الظواهر الإيحائية التي أحاطت بمسيرة هذا الإمام العظيم منذ ولادته حتى وفاته وهو ابن خمسة وعشرين ربيعاً.

وكانت هذه الرسالة قد انتظمت بسبعة فصول كالآتي:

الفصل الأول: وعنوانه؛ (الإمام محمد الجواد...سيرةً)

وتضمن المباحث الرئيسية بهذا الشكل:

١- ترجمة الإمام في لمحات غرّاء.

٢- نشأة الإمام المثالية.

٣- خصائص الإمام الإنسانية.

٤- رعاية الإمام لأوليائه في ذات الله.

٥- المناخ العرفاني في سلوك الإمام.

٦- الإمام في تقييم الأعلام.

الفصل الثاني: **وعنوانه**: (**الإمام محمد الجواد..وعصر السلاطين**)

وتضمّن بدراسة موضوعية للمباحث الآتية:

١- الإمام وظواهر عصر السلاطين.

٢- الإمام محمد الجواد في حياة المأمون.

٣- الإمام محمد الجواد في عصر المعتصم.

٤- الإمام محمد الجواد..والقائم بالأمر.

الفصل الثالث: **وعنوانه** (**الإمام محمد الجواد...معجزةً**).

وتضمّن بالبحث الرائد الدقيق الظواهر الآتية:

١- الإمامة في سن الصبا..ظاهرة إعجازية.

٢- الإمام محمد الجواد في خضم الاختبار العلمي.

٣- اضطراب النظام العباسي من الإمام المعجزة.

٤- استقراء الغيب المجهول لدى الإمام.

الفصل الرابع: **وعنوانه** (**الإمام محمد الجواد..تراثياً**).

وتضمن بالتركيز المعمق المباحث الآتية:

١- علم أهل البيت في تراث الإمام الجواد.

٢- مرويات الإمام محمد الجواد عن:

رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين(عليه السلام) أنموذجا.

٣-الدور الريادي لتلامذة الإمام -الرواة والمؤلفين- في نشر تراثه الخالد.

٤- الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الإمام.

الفصل الخامس: **وعنوانه** (**الإمام محمد الجواد**...**فقاهةً**).

وقد بحث الموضوعات الآتية:

١- مسائل ذات أهمية خاصة.

٢-يحيى بن أكثم في مسائلة الإمام.

٤- علل الأحكام عند الإمام.

الفصل السادس: **وعنوانه** (**الإمام محمد الجواد**... **مُنَظِّراً**)

وتضمن العنوانات الآتية:

١- بيئة علم الكلام في عصر الإمام.

٢- قضايا التوحيد الإلهي.

٣- الإمام يناظر في السنّة.

الفصل السابع: **وعنوانه** (**الإمام محمد الجواد**...**شهيداً**).

وقد أعطى تفصيلات مكثفة عن المباحث الآتية:

١- الإمام محمد الجواد يتوقع الشهادة.

٢- كيفية اغتيال الإمام.

٣- دوافع اغتيال الإمام.

٤- تشييع جثمان الإمام ودفنه.

٥- مشهد الإمام في الكاظمية المقدسة.

وكانت مصادر هذا البحث ومراجعه تتنقل بين كتب الحديث، والأثر، والرواية، والتأريخ، وعلم الكلام، والأدب، والسيرة، والترجمة، وكان النقد التأريخي والاكتشاف المنهجي سبيل البحث دون التحايل على حقيقة البعد الموضوعي، فجاء البحث بموارده واستقرائه ووعيه الحضاري عصارة فكر، وخلاصة استنباط دقيق في نضائد تجارب الإمام العظيم محمد بن علي الجواد، حاولتُ أن أكون فيه محللاً ومنظّراً ومكتشفاً بأمانة وإخلاص فكان ذلك بحمد الله تعالى وبركة الإمام(عليه السلام)، وأردت أن أكون مؤصِّلاً لشؤون لم تدرس من ذي قبل، فإن أصبت فبفضل الله وحده، وإن كانت الأخرى، فلي من شرف القصد ونبل الهدف ما يرفع بعض التقصير.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

النجف الأشرف/ جامعة الكوفة

محمد حسين علي الصغير

(١) سورة التكوير، ٢٩.

الفصل الأول

(الإمام محمد الجواد (عليه السلام) .. سيرة)

١ـ ترجمة الإمام في لمحات غراء.

٢ـ نشأة الإمام المثالية.

٣ـ خصائص الإمام الإنسانية.

٤ـ رعاية الإمام لأوليائه في ذات الله.

٥ـ المناخ العرفاني في سلوك الإمام.

٦ـ الإمام في تقييم الأعلام.

باسمه تعالى

ترجمة الإمام في لمحات غرّاء

الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين -سيد الشهداء- بن الإمام علي بن أبي طالب سيد الوصيين وقائد الغرّ المحجّلين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وهو التاسع من أئمة أهل البيت المعصومين وخلفاء الله في العالمين.

ولد في المدينة المنورة عام ١٩٥ من الهجرة النبويَّة المباركة.

واختلف في يوم ولادته والشهر على أقوال أبرزها:

١- إحدى ليالي شهر رمضان المبارك[١].

٢- ليلة الجمعة من شهر رمضان لتسع عشرة ليلة خلت منه، أو لسبع عشرة ليلة مضت منه، أو في منتصف شهر رمضان، أو في الخامس منه[٢].

---

(١) ظ: الكليني/ الكافي١/ ٤٩٢ + المفيد/ الإرشاد/ ٣٢٩ + الطوسي/ تهذيب الأحكام ٩٠/٦ + المجلسي/البحار/ ١ - ٢ - ١١+ جواهر الكلام ٩٩/٢٠.

(٢) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٨١ + ابن شهر آشوب/ وفيات الأعيان ٣١٥/٢ + المجلسي/ البحار ٥٠/ ١- ٢- ٧- ١١- ١٣ وسواها.

٣– في رجب، العاشر منه، وهي الرواية المعمول بها في النجف الأشرف بخاصة والعراق بعامة في الاحتفاء بمولده الشريف منذ أدركنا ذلك[١].

ويؤيده ما خرج عن السفير الثالث لصاحب الأمر عجّل الله فرجه، أعني الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح(قدس سره):

((اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب: محمد بن علي الثاني (الإمام الجواد) وابنه علي بن محمد المنتجب (الإمام علي الهادي)).

يضاف إلى ذلك قول ابن عياش:

((كان يوم العاشر من رجب مولد أبي جعفر الثاني(عليه السلام)))[٢].

واحتفى الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، والهاشميون بهذا الوليد الجديد، وكان السرور غامراً لأهل بيت النبوة، وبهجة الإمام الرضا ظاهرة بأشراقة نجله الوحيد، وأبدى عند ولادته من الاهتمام به ما روي عن السيدة حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام)، إنها قالت:

((حضَرت ولادة الخيزران أم أبي جعفر، وقد دعاني الرضا(عليه السلام) فقال:

يا حكيمة! احضري ولادتها، وادخلي وإياها والقابلة بيتاً، ووضع لنا مصباحا..فأخذه بعد الولادة ووضعه في المهد، وقال لي: يا حكيمة الزمي مهده))[٣].

---

(١) ابن شهر آشوب/ المناقب ٤٢٦/٢ + ابن طعمة / مطالب السؤول ٧٤/٢ + البحار/ ٥٠- ١١- ١٣ + حيدر الحسني/ عمدة الزائر/ ٣٢٣/٣٢٣.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ١٤/٥٠.

(٣) ابن شهر آشوب/ المناقب ٣٩٤/٤ + المجلسي/ بحار الأنوار ١٠/٥٠.

ويبدو أن الإمام(عليه السلام) قد سهر عنده لما ورد أنّه ولدَ.

((وكان طول ليلته يناغيه في مهده))[1].

وقد عبّر الإمام عن قيمة هذا الوليد الرسالية، وأعرب عن منزلته الكبرى بما قاله لأصحابه:

((قد ولد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، قدست أمٌّ ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة))[2].

وقد أُجريت للإمام مراسيم الاستحباب الشرعية على يد أبيه الإمام الرضا، كما هي عادة الأئمة الطاهرين(عليهم السلام).

وأشاد الرضا(عليه السلام) بجلالة ولده منذ اليوم الأول، وأشار إلى عظيم بركته فقد روي عن علي بن أسباط، وعباد بن إسماعيل، قالا:

(إنا لعند الرضا(عليه السلام) بمنى، إذ جيء بأبي جعفر(عليه السلام)، قلنا: هذا المولود المبارك؟ قال: نعم؛ هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه))[3].

ويبدو إن الإمام الرضا(عليه السلام) كان يكرر هذا القول بالنسبة لولده الإمام محمد الجواد، فقد روى أبو يحيى الصنعاني، قال:

((كنت عند الإمام الرضا، فجيء بابنه أبي جعفر(عليه السلام) وهو صغير، فقال: "هذا المولود الذي لم يولد أعظم على شيعتنا بركة منه"))[4].

---

(١) المسعودي/ إثبات الوصية/٨١ +المجلسي /البحار ١٥/٥٠.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ١٥/٥٠ وانظر مصدره.

(٣) المصدر نفسه ٢٠/٥٠.

(٤) الكليني / الكافي ٣٢١/١.

ويظهر أن الإمام(عليه السلام) يشير بلمح غيبي إلى ما سيجري على يدي ولده الإمام محمد الجواد من الدلائل والبراهين – كما سنرى- التي تُثَبِّتُ أولياء أهل البيت(عليهم السلام) على مبدئهم، والتي تدفع بها الشبهات عن معتقدهم، فتشرئب لذلك الأعناق، وتتطامن الأساطين، وتعفو العقول والأفكار وكان الإمام قد بشّر أصحابه بما وهب له الله تعالى فقال:

((إن الله قد وهب لي من يرثني ويرث من آل داوود))[1].

وقد أضفى الإمام الرضا(عليه السلام) الصفات المثلى على ولده، وبما يؤول إليه أمره، فيعبّر عنه أنه:

((الصادق والصابر والفاضل، وقرّة أعين المؤمنين، وغيظ الكافرين))[2].

وقد سمي الإمام بما أعلنه الإمام الرضا(عليه السلام): محمداً، وكنّاه بأبي جعفر[3].

وأورد الشيخ الصدوق، قال: ((سمي محمد بن علي الثاني وعرف الإمام بلقبه (الجواد) فكان علما له بين الناس واشتهر ذلك على ألسنة الخلائق.

وظفر الإمام بألقاب أبرزها: (المختار، والمرتضى، والمتوكل، والمتقي، والزكي، والنقي، والمنتجب، والمرتضى، والقانع، والعالم))[4].

---

(١) الصفار/ بصائر الدرجات/ ١٣٨ + الطوسي / التهذيب ٦/ ٩٠ + الداوودي/ عمدة الطالب/ ١٨٧ + ابن العماد وشذرات الذهب/ ٤٨ + القندوزي / الينابيع/ ٣٨٥.

(٢) الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٥٠.

(٣) الخطيب/ تأريخ بغداد/ ١٣٨ + الطوسي / التهذيب ٦/ ٩٠ + الداوودي/ عمدة الطالب/ ١٨٧ + ابن العماد وشذرات الذهب/ ٤٨ + القندوزي / الينابيع/ ٣٨٥.

(٤) الصدوق/ معاني الأخبار/ ٦٥.

وكانت كنيته كنية جده الإمام محمد الباقر(عليه السلام)، وهي:

أبو جعفر، وللتفريق بينهما يقال للإمام الباقر: أبو جعفر الأول، ويقال للإمام الجواد: أبو جعفر الثاني.

وكما اتحدت الكنيتان، فقد اتحد الاسمان ذاتاً وأباً، فالإمام الباقر: محمد بن علي، والإمام الجواد: محمد بن علي.

وللتفريق بينهما في الروايات يقال للإمام الباقر: محمد بن علي الأول. ويقال للإمام الجواد: محمد بن علي الثاني.

وقد اشتهر الإمام محمد الجواد في العراق بأنه: (باب المراد) وامتد هذا التعبير عبر القصبات والبقاع والأقاليم، فكان لقباً له عند جميع المسلمين، بل علماً دالاً عليه لأنه: ((باب من أبواب الرحمة الإلهية التي يلجأ إليها الملهوفون، وذووا الحاجة لدفع ما ألمَّ بهم من مكاره الدهر وفجائع الأيام))[1].

وكان تحقق المراد بالدعاء عندضريحه الشريف أصل هذا اللقب، وكانت تلبية الطلبات لديه متواترة، حتى شاع ذلك بين الناس، وحتى يقال عند زيارته على ألسنة الجماهير الموقنة:

السلام على باب المراد الإمام محمد الجواد.

أما أمه فهي السيدة الفاضلة سبيكة كما نصّ على ذلك المحققون[2].

---

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام الجواد/ ٢٦.

(٢) ظ: الكليني/ الكافي/ ٤٩٢ + المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٨١ + المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٦ + المجلسي/ البحار ١/٥٠- ٢- ٧- ١٣.

وصحّف في بعض المصادر إلى سكينة[1].

قد ورد أن الإمام الرضا(عليه السلام) سمّاها: الخيزران[2].

وقيل أن اسمها: درّة، كما في بعض المصادر[3].

وسميت بمصادر أخرى باسم ريحانه[4].

ومهما يكن من أمر، فقد ورد أنها: ((كانت أفضل نساء زمانها))[5].

وروي أنها كانت من أهل بيت مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[6].

وكانت ملامح الإمام في صفته البدنية أنّه: أبيض معتدل القامة[7].

وورد أيضاً أنه: أبيض معتدل[8].

وفي بعض الروايات أنه: شديد الأدمة[9] أي شديد السمرة.

وقد اعتبرت هذه الرواية شاذة، وعدّها سيدنا الأستاذ الخوئي من الموضوعات[10].

---

(١) ظ: الكافي ١/ ٤٩٢ + الطوسي/ التهذيب

(٢) ظ: الكليني/ الكافي ٤٩٢/١ + الطوسي/ التهذيب ٩٠/٦.

(٣) ظ: المجلسي/ البحار ٧/٥٠

(٤) ظ: المصدر السابق ٧/٥٠ – ١١ + حيدر الحسني/ عمدة الزائر/ ٣٢٤.

(٥) المسعودي/ إثبات الوصية / ١٨١.

(٦) الكليني / الكافي/ ٤٩٢ + المجلسي / البحار.

(٧) ظ: الشبلنجي/ نور الأبصار/ ١٤٦ + ابن الصباغ/ الفصول المهمة ٢٥٢/٤.

(٨) ظ: المجلسي / بحار الأنوار ١٥/٥٠، وانظر مصدره.

(٩) المصدر نفسه، ٨/٥٠.

(١٠) ظ: باقر القرشي/ حياة الإمام الجواد م ٢٧ عن مصباح الفقاهة.

ومع هذا فقد ورد عن عسكر مولى الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، يقول:

((دخلت عليه -يعني الإمام الجواد- فقلت في نفسي:

يا سبحان الله!! ما أشد سمرة مولاي وأضوء جسده!))[1].

وما تردد في مسألة اللون، فهذا مما لا يؤخر شيئاً ولا يقدمه، فهو خلق الله.

وكان نقش خاتم الإمام متميزاً في دلالته، رفيعا في مداركه، بَزَّ به الطغاة، وهزأ بالمستكبرين، إذ كتب عليه «العزّة لله»[2].

وقيل: إن نقش خاتمه: «نعم القادر الله»[3].

وقيل: كان مكتوباً عليه: «حسبي الله»[4].

ومهما يكن من أمر فهو مرتبط بالله عزّ وجلّ عزّةً، أو قدرةً، أو حُسبى.



(١) ظ: ابن شهر آشوب / المناقب ٣٨٧/٤ + المجلسي/ البحار ٥٥/٥٠.

(٢) الطبري/ دلائل الإمامة/ ٢٠٩.

(٣) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار/ ٢٠٩.

(٤) ظ: باقر القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/ ٢٧ عن مكارم الأخلاق / ٩٢.

نشأة الإمام المثالية

نشأ الوليد المبارك في ظل أبيه الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، وفي بيت المجد والشرف الشامخ، بيت النبوة، ومعدن الوحي، ومستقر التنزيل، ومختلف الملائكة المقربين.

وقد غذاه أبوه روح الوحي واليقظة، ومنحه الحبّ الأبوي الخالص، وأشرف على تربيته الفذة بذاته المقدسة، فعاد مثلاً للطفولة البريئة الواعية، وللصبا المتطور، فبرز منذ ذلك الحين نموذجاً جديداً في الأدب والخلق والفضيلة، واعتبر مثالاً فريداً للعلم والحلم والدين والمعارف الإنسانية في شتى حقولها.

اتجهت له الأنظار صغيراً، وانجذبت له المشاعر والأحاسيس يافعاً، فهذا الصبي الإمام حالة جديدة خارقة، لا شبيه له في مؤهلاته، ولا نظير له في قابلياته، فهو ابن أبيه حقاً حذو القذّة بالقذة، وغصن من تلك الشجرة الطيبة التي ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[1] ومن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولا مغالاة فيما قدمت، بل هو حكاية أمينة لواقع الإمام الجواد(عليه السلام)، إذ كان الرمز الأسمى للمثالية بأدق معانيها والنموذج الأرقى للإنسانية في تفتح مداركه ومواهبه، وتوهج معارفه وقيمه، وتبلور أفكاره وذهنيته، وهو في سن مبكرة رشحته للإمامة في السابعة من عمره،

(١) سورة إبراهيم، ٢٤.

تحدياً لجبروت السلطان، ومقاومته لفقدان الشرعية في الحكم، فكان ملء السمع والبصر قدرة وإفاضة في نشأة رائعة خلاّقة.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

((وهكذا فتح محمد بن علي (الثاني) عينيه على الدنيا في تلك الأجواء النقية المطهّرة، وتربّى وترعرع في تلك الأحضان الدافقة بالحب والحنان، وحَبا وسار على ذلك الصعيد المبارك المقدس، ونما وشبّ في تلك البيئة الصالحة المصفّاة، حتى أصبح ذلك الشاب الملائكي الذي تتطلع إليه النفوس قبل العيون، وتتملاه البصائر قبل الأبصار، وتنجذب إليه الأفئدة قبل الأسماع))(١).

وكان تكريم الإمام الرضا لولده بالغاً، وعنايته به فائقة، حتى روي أنه ما كان يذكره إلا بكنيته، يقول:

((كتب إلي أبو جعفر، وكنت أكتب إلى أبي جعفر وهو صبي في المدينة فيخاطبه بالتعظيم))، وترد كتب أبي جعفر في نهاية البلاغة والحسن فسمعته يقول:

((أبو جعفر وصيي وخليفتي في أهلي من بعدي)).

هذا ما رواه محمد بن أبي عبّاد كاتب الإمام الرضا(عليه السلام) (٢).

والإمام يكرر هذا المعنى ويشيعه بين أوليائه وأصحابه ليكونوا على بيّنه من الأمر، فعن محمد بن خلاّد، قال:

سمعت الرضا(عليه السلام)، وذكر شيئاً فقال: ما حاجتكم إلى ذلك؟

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٢١.

(٢) الصدوق/ الكافي ١/ ٣٢٠ + المفيد / الإرشاد/ ٣٥٧.

((هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني، وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا أكابرنا حذو القذة بالقذة))[1].

وكان الإمام يُنَوِّهُ بخلافة ولده الإمام محمد الجواد له من بعده، فقد قال جعفر بن محمد النوفلي للإمام الرضا(ع) ما تأمرني؟

قال الإمام الرضا: عليك بابني محمد من بعدي[2]...

وقد تكرر هذا المعنى من قبل الإمام حتى في منفاه بخراسان فعن مسافر؛ قال: أمرني أبو الحسن(ع) بخراسان فقال:

((إلحق بأبي جعفر فأنه صاحبك))[3].

وهكذا فهم أتباع أهل البيت منزلة الإمام الجواد وشأنه، وموقعه من الإمامة، وبدأوا يعظّمونه ويجعلونه كما هو أهل لذلك.

فهذا عمّ أبيه العبد الصالح علي بن الإمام جعفر الصادق(ع) يكرمه ويحتفي به، بما يرويه محمد بن الحسن بن عمار، قال:

(كنتُ جالساً عند علي بن جعفر بن محمد بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتبت عنه ما سمع من أخيه، يعني أبا الحسن –الإمام موسى بن جعفر– إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا المسجد –مسجد رسول الله(ص)–، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده وعظمّه.

فقال له أبو جعفر(ع): يا عم أجلس رحمك الله.

---

(١) الكليني / الكافي ١/٣٢٠ + المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٧.

(٢) ظ: الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢/٢١٦.

(٣) ظ: المصدر نفسه ٢/٢١٦.

فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم؟

فلمّا رجع علي بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوبخونه، ويقولون: أنت عمّ أبيه!! وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال اسكتوا، إذا كان الله عزّ وجلّ – وقبض على لحيته – لم يؤهل هذه الشيبة، وأهّل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد))[1].

ويؤكد هذه الحقيقة ما كان يدور بأذهان الخلّص من أصحاب الرضا، وتساؤلهم الحثيث عن الخلق من بعده، وما كان من الإمام الرضا(عليه السلام) لينص على الإمام الجواد فحسب، بل يصفه بأنه حجة الله تعالى من بعده، فعن بنان بن نافع، قال:

((سألت علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، فقلت:

جعلت فداك، من صاحب الأمر بعدك.؟

فقال لي: يا ابن نافع يدخل عليك من هذا الباب من ورث ما ورثته ممن هو قبلي، وهو حجة الله تعالى من بعدي.

فبينا أنا كذلك إذ دخل علينا محمد بن علي(عليه السلام)))[2].

ويستخلص مما تقدم؛ إن الإمام محمد الجواد قد نشأ في ظل أبيه، وربّاه تربية صالحة، ورعاه رعاية فائقة، وبشّر أصحابه به، وأظهر مقامه وكيانه، ونصّ على إمامته، وأوصى إليه من بعده فكان الإمام المفترض الطاعة.



(١) الكليني/ الكافي ١/٣٢٢+ البحار ٥٠/٣٦.

(٢) ابن شهر آشوب/ المناقب ٣/٤٩٤ + البحار ٥٠/٥.

خصائص الإمام الإنسانية

لا يختلف الإمام محمد الجواد عن آبائه المعصومين في مميزاته وخصائصه ولا يتجاوزهم في مثله العليا في الزهد والتقوى والإنابة والخلق الرصين العالي، فهو امتداد لهم وشجنة منهم، اشتدت أواصره بأواصرهم واشتبكت جذوره بجذورهم، فهم كالحلقة المفرغة في أمهات الفضائل وأصول المواهب، فالخصائص بينهم مشتركة والمميزات متساوقة ولكنه اشتهر شهرة كبرى مستفيضة بين أعدائه وأوليائه بالبر والإيثار وعرف بالكرم والسخاء المجرد عن الرياء والمن، وتسامى بوفرة العطاء وبسط اليد ولهذا سمي بالجواد[1].

فهو لقب خاص به، وسِمة امتاز بها، والأئمة (عليهم السلام) يشاركونه فيها كما يشاركهم في تلك الكنايات النادرة، وهذا الكتاب وإن نهد إلى البحث في فكر الإمام محمد الجواد وقيادته للأمة في صباه وريعان الشباب كما هو الشأن في أجزاء (موسوعة أهل البيت الحضارية) بما صدر منها وما سيصدر بأذن الله تعالى، فإنها ركّزت القول وعمّقت الحديث عن أفكار الأئمة المعصومين وسلطت الضوء على أبرز المعالم التي تغلب على كل إمام بحسب ظروفه الاجتماعية وما سمح له الزمن من تجسيدٍ للقيادة النضالية أو العلمية أو الحضارية أو السياسية أو الإبداعية أو الريادية أو التنظيمية أو الدعائية أو الإعلامية وسوى ذلك

---

(١) ابن تيمية/ منهاج السنة ٢/ ١٢٧ + الصفدي/ الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٥.

من الميادين الرفيعة التي خاض غمارها المعصومون بكل أصالة وموضوعية وانتقاء، ولكن هذا لا يعني أن تهمل بعض الجوانب الأساسية في المُثُل والقدوة والاهتداء وسنن الوعي والحياة والجهاد بالمال، فلكل من هذه المفاهيم مصاديقها الحية النابضة في سيرة الأئمة الطاهرين، وهذا ما يشير أن البحث قد يعنى بإثبات شذرات من هذه الظواهر وإبداء لقطات من تلك المشاهد ليستدل من خلالها بما ذكر على ما لم يذكر.

ومن هذا المنطلق ارتأى البحث أن نقتصر بالحديث عن ظاهرة السخاء الذاتي وحياة الإيثار في منظور تناول خصائص الإمام من أنباء وطرائف وأساليب قد نلمس في بعضها نحواً من اللمح الغيبي في العطاء بقدر أو بغير سؤال، مما يضيف للمؤشر الإعجازي في مسيرة الإمام بعداً جديداً يصطف في منظومة الرؤية الإعجازية لأبعاده التي سنقرؤها وتسمع فيما يأتي من البحث.

وما سنذكره هنا لا يعدو كونه نماذج على سبيل المثال لا الحصر، وينبغي الالتفات في هذا الملحظ من السلوك الإيثاري الكريم أنَّ أباه الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) كان يحضّه على البر والسخاء والإحسان، ويحثه على الإسراع في الخيرات، ويأمره بحمل المال معه حيثما سار أو اتجه لإسعاف ذوي الحاجة والفاقة وتلبية صراخ المحرومين بنفحة من العطاء الجزل، وصلة الأرحام وذوي القربى بما أجزى وأغنى فعن محمد بن أحمد بن أبي نصر البزنطي، قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا إلى أبي جعفر(عليه السلام):

(يا أبا جعفر؛ بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير وإنما ذلك من بخل بهم، لئلا ينال منك أحد خيراً، أسألك بحقي عليك: لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة، ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته ومن سألك من عمومتك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً، والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك، إني أريد أن يرفعك الله فانفق ولا تخش من ذي العرش إقتارا)[1].

وأمر الإمام بأن يحمل ولده الذهب والفضة، تعبيراً عن الدنانير والدراهم، فالدينار ذهبي والدرهم فضي، والمبلغ الذي وجهه بعطائه يغني السائل بالنسبة للقيمة السوقية آن ذاك فهو ثمن لشراء دار مناسبة في ذلك العصر.

وكانت صلة الرحم من الأهداف المركزية لدى الإمام الرضا، وكان يراسل في شأنها ولده الإمام ا لجواد من خراسان وولده في المدينة وهو صبي صغير، وكان هدف هذه المراسلات التأكيد على بر الأرحام، والانتداب إلى صلة الموالين لأبيه وجده، فمن كتب للرضا إليه(عليه السلام):

((بسم الله الرحمن الرحيم: أبقاك الله طويلا، وأعاذُ من عدوك يا ولدي، فداك أبوك، قد فسرت لك مالي وأنا حي سويّ، رجاء أن ينميك الله بالصلة لقرابتك، ولموالي (موسى وجعفر) رضي الله عنهما...قال الله:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً..﴾[2].

---

(١) الكليني/ الكافي ٤/٣٤ + الصدوق/ عيون أخبار الرضا ٢/٨.

(٢) سورة البقرة.٢٤٥.

وقال: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ..﴾(١).

وقد أوسع الله عليك كثيراً يا بني، فداك أبوك، ولا تستر دوني الأمور لحبّها، فتخطي حظك، والسلام)(٢).

واتخذ الإمام محمد ا لجواد نصائح أبيه منهجاً فقد روى سهل بن زياد عن أحمد بن حديد، قال:

((خرجت مع جماعة حجاجا، فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر(عليه السلام) في بعض الطريق فأتيت المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا فأمر لي بكسوة وأعطاني دنانير، وقال:

فرّقها على أصحابك على قدر ما ذهب!!

فقسّمتها بينهم، فإذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل ولا أكثر))(٣).

وكان الحسن بن علي الوشا يقول في نفسه: كنت أردت أن أسأل أبا الحسن الرضا(عليه السلام) قميصاً من ثيابه فلم أفعل!! فإذا عاد أبو جعفر فاسأله.. وإذا برسول الإمام(عليه السلام) يأتيه بقميص من دون أن يسأله، ويقول عن الإمام:

هذا من ثياب أبي الحسن التي كان يصلي فيها))(٤).

---

(١) سورة الطلاق، ٧.

(٢) العياشي/ تفسير العياشي/ ١ /١٣١ + المجلسي / البحار ٥٠ /١٠٣.

(٣) ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٤/٥٠، وانظر مصدره.

(٤) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٥٠، وانظر مصدره.

وفي الخبرين معاً دلالة على علم موهبيّ يضاف إلى الكرم المعهود.

في عهد المعتصم العباسي، كان ركب الإمام الجواد، كما يستفاد من أصحابه الذين رافقوه في سفر الحج هذا وإن مائدة كانت تمد بأمره في كل يوم لإطعام الحجيج[1].

وهناك نصوص أخرى تتحدث عن كرم الإمام في الإطعام ففي بعضها أنَّ الإمام كان يطعم أصحابه بل ويأمرهم بالجلوس عنده وبالأكل وقد يأتيه الضيف فيقول الإمام للغلام: كل معه ينشط[2].

وكان الإمام محمد الجواد(عليه السلام) جواداً بما في يده زاهدا في ذاته فلا يأسى على ما فاته ولا يحزن لما أصابه من حَرَ ب في ماله أو فقدان لشيء من الحطام الزائل فقد روي أنه حمل إليه(عليه السلام) حمل بّز له قيمة كبيرة، فسل في الطريق فكتب إليه الذي حمله يعرفه الخبر، فوقع بخطه(عليه السلام):

((إنَّ أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتع بما متّع فيها في سرور وغبطة ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره، نعوذ بالله من ذلك))[3].

وربما شاهده بعض المغفّلين في حالة رفاه ظاهري لدى استدعائه إلى بغداد، فظنّ أنّه مقيم فيها بمدارج النعيم أو ساكن إليها في بحبوحة من العيش الرغيد، والإمام بعلمه اللّدنّي وفراسته التي لا تخطئ، يقرأ النفوس، ويترجم الأفكار، فهذا الحسين المكاري قد ظنّ أنَّ الإمام في

---

(١) ظ: محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد / ٤٩.

(٢) ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٨٧/٥٠، وانظر مصدره.

(٣) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٩.

ذلك المناخ المتصور من السعادة والاطمئنان فقرأ(عليه السلام) ما في نفسه من خواطر وما في ذهنه من شطحات وقال له: (يا حسين خبز شعير، وملح جريش في حرم رسول الله(صلى الله عليه وآله) أحبّ إلي مما تراني فيها)[1].

وهذا القول يحكي عما يضم بين جوانح الإمام من الزهد والإعراض عن زخارف الدنيا ومناهجها.

وبقي أن ننبه أن مصدر سخاء الإمام كان من موارده الخاصة ومصادر الأوقاف في قم التي ترد عليه فيضعها والحقوق الشرعية التي لا تتعدى حدود المستحقين لها، كل أولئك ينفقه الإمام على أهله من الضعفاء والفقراء والمساكين، مضافاً إلى ممتلكاته إرثاً واكتساباً، تأتي الروافد الأخرى لتسد احتياجات الآخرين كرماً وجوداً وشهامة.

ولا بد أن نشير إلى الإمام على سخائه بماله، كان سخياً بجاهه ورعايته لأوليائه وهو أهم نوعي السخاء وذلك مما يضاف لخصائصه كما ستقرَأ في المبحث الآتي.



(١) الحر العاملي/ اثبات الهداة ١٨٥/٦.

رعاية الإمام لأوليائه في ذات الله

وكانت عناية الإمام بأوليائه لا تحدها حدود، فهو يبرهم ويدعو لهم، ويسعى في قضاء حوائجهم ويواسيهم في الضراء والسراء، ويشاركهم آلامهم وآمالهم، ولا يبخل بجاهه عليهم ويعلي من شأن أبرارهم ويكرم ذوي الثبات والتمحيص فيهم ويعظّم أهل الدين ويتابع خطوات السائرين في درب جهاد النفس والتضحية وله في ذلك دلائل وشواهد وبراهين نخلص منها أن الإمام في الرعيل الأول من الذابّين عن أحبائه وأتباعه ومن المباركين لالتزامهم وتحفظهم واحتياطهم ومن الداعين إلى تسديد خطاهم، ومن الداعين إلى تصحيح أخطائهم فله في كل قلب جذوة وفي كل درب شعله وفي كل حقل وردة متفتحة ونحن نورد جزءا من أمثلة على هذا نستقرئ بها هذا المناخ العابق بالنفحات.

رافق الإمام في سفره إلى الحج أول ملك المعتصم أحد أوليائه فاستثمر هذه الرفقة المباركة وقال الإمام: ((إنَّ والينا جعلت فداك رجل يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعليّ في ديوانه خراج فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليه بالإحسان إليّ)).

وكان الوالي المذكور هو الحسين بن عبد الله النيسابوري وكان على سجستان، فقال الإمام(عليه السلام): لا اعرفه فقال: جعلت فداك إنه على ما قلت لك من محبيكم أهل البيت وكتابك ينفعني عنده.

فأخذ الإمام محمد الجواد القرطاس وكتب إليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن موصل الكتاب ذكر عنكم مذهباً جميلاً، وإن مالك من عملك ما أحسنت فيه فأحسن إلى إخوانك واعلم إنَّ الله عزّ وجلّ سائلك عن مثاقيل الذر والخردل).

قال: فلما وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري وهو الوالي فاستقبلني على فرسخين من المدينة فدفعت إليه الكتاب فقبّله ووضعه على عينيه وقال لي: حاجتك!! فقلت: خراج عليّ في ديوانك!!

قال: فأمر بطرحه عنّي، وقال: لا تؤدِّ خراجاً ما دام لي عمل!

ثم سألني عن عيالي: فأخبرته بمبلغهم فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلا، فما أديت في عمله خرجاً ما دام حياً ولا قطع عني صلته حتى مات)[1].

وقد يكون من كرم الإمام الباذخ ورعايته لأتباعه البالغة إغاثة الملهوفين في شؤون ليست بالحسبان فقد روى العتبي عن بعض العلويين أنه كان يهوى جارية وكانت يده قاصرة عن ثمنها فشكا ذلك إلى الإمام الجواد(عليه السلام) فسأله عن صاحبها فأخبره عنه، ولما كان بعد أيام سأل العلوي عن الجارية فقيل له: قد بيعت وسأل عن المشتري لها فقال له: لا ندري وكان الإمام الجواد(عليه السلام) قد اشتراها سراً ففزع العلوي نحو الإمام وقد رفع صوته: بيعت فلانة.

فقابله الإمام ببسمات فياضة بالبشر قائلاً:

---

(١) الكليني / الكافي / ٥/١١- ١١٢ + المجلسي / البحار ٥/٨٦- ٨٧.

هل تدري من اشتراها؟ فقال: لا وانطلق معه الإمام إلى الضيعة التي فيها الجارية فانتهى إلى البيت الذي فيه الجارية فأمره(عليه السلام) بالدخول إلى الدار فأبى العلوي ولم يعلم أن الإمام قد اشتراها وأصرّ عليه الإمام بالدخول ولم يلتفت إلى إنها ملك الإمام، ثم أنّه دخل الدار مع الإمام فلما رأى الجارية التي يهواها قال له(عليه السلام): أتعرفها؟ قال: نعم!! قال الإمام(عليه السلام):

هي لك والقصر والضيعة والغلّة وجميع ما في القصر فأقم مع الجارية[1].

وهذه ظاهرة إنسانية رفيعة المستوى سيّرها لنا الإمام تجربة فذة وأمثولة نادرة لاستثمار الاقتدار في اصطناع المعروف والاستباق الحثيث إلى مكارم الأخلاق.

وكان الإمام كبيراً في نفسه رفيعاً في همّته، عظيماً في مرؤته، فهو يرعى الناس وهو يبرّ بهم، وهو يلوح لهم بجليل خلائقه، فقد أتاه رجل فقال له اعطني على قدر مروّتك!!

فقال الإمام الجواد(عليه السلام): لا يسعني!!

فقال السائل: على قدري.

قال الإمام: أما ذا فنعم، يا غلام أعطه مائة دينار[2].

وكان علي بن مهزيار الأهوازي محموداً عند الإمام وكان الإمام يرعى حرمته ويعظم شأنه وله في حقه هذه الرسالة المهمّة التي توج بها الإمام مفرقه في الدعاء له، والاعتداد به:

---

(١) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام الجواد / ٧٦، وانظر مصدره.

(٢) الأربلي / كشف الغمة ١٦١/٣.

(بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي أحسن الله جزاك وأسكنك جنّته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك الله معنا.

يا علي بلوتك وخيرتك " خبرتك" في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليك فلو قلت: إني لم أرَ مثلك لرجوت أن أكون صادقاً فجزاك الله جنّات الفردوس نزلا، فما خفي علي مقامك ولا خدمتك في الحر والبرد في الليل والنهار فاسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمة تغتبط بها، إنّه سميع الدعاء)[1].

فانظر إلى هذا الثناء العاطر وهذا الالتزام الفريد وهذا التكريم المتزايد مما يدل على علو منزلة الرجل. والإمام في هذا الملحظ يعطي كل ذي حق حقه رعاية كبرى منه لأوليائه!!

ومرة أخرى يكتب له الإمام رسالة قصيرة معبرة، فيها الرقة وفيها الاغتباط وفيها الدعاء العريض قال الإمام:

(قد وصل إلي كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وقد ملأني سروراً فسرّك الله وأنا أرجو من الكافي الدافع أن يكفيك كيد كل كائد إن شاء الله تعالى)[2].

فأي رجل هذا الذي يُدخل السرور على الإمام فيدعو له أن يسره الله وأن يدفع عنه ويكفيه الكيد.

وتارة أخرى نجد ابن مهزيار هذا يسأل الإمام التوسعة في أهله فينعم عليه الإمام بالإجابة ويدعو له بما هو أوسع شأنا يقول الإمام(عليه السلام) فيما كتبه إليه:

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٦.

(٢) ظ: باقر القرشي/ حياة الإمام الجواد/ ١٦٦، عن الكشي في رجاله.

((وسع الله عليك ولمن سألت التوسعة في أهلك وأهل بيتك ولك يا علي عندي أكثر من التوسعة وأنا اسأل الله أن يصحبك بالتوسعة العافية ويقدمك على العافية، ويسترك بالعافية، إنه سميع الدعاء))[1].

ويتوجه علي بن مهزيار للإمام الجواد طالبا منه الدعاء له فيكون الجواب له على ذلك بكتاب عتيد يحكي جلالة قدر الرجل عند الإمام وخلوص ذاته تقوى وورعا في لفتات بارعة معبرة عن مدى الحب والتقدير والالتزام، كتب الإمام(عليه السلام) إليه:

((وأما ما سألت من الدعاء فإنك بعد لست تدري كيف جعلك الله عندي، وربما سمّيتك باسمك ونسبك مع كثرة عنايتي بك ومحبتي لك ومعرفتي بما أنت عليه فأدام الله لك أفضل ما رزقك من ذلك ورضي عنك وبلغك أفضل نيتك وأنزلك الفردوس الأعلى برحمته إنه سميع الدعاء حفظك الله وتولاك ودفع عنك السوء برحمته. وكتبت بخطي))[2].

وهنالك رسائل أخرى في هذا السياق كتبها الإمام إليه، وفيها دلالة بالغة على وثاقته ورفيع منزلته[3].

ولئن صنع الإمام هذا الصنيع الجميل بابن مهزيار فقد عطف في هذا المنحى بالذات على عبد العزيز بن المهتدي القمي الأشعري فخرج فيه عن الإمام الجواد ما نصّه:

---

(١) الكشي/ رجال الكشي/٥٥١، طبعة مشهد.

(٢) الكشي/ رجال الكشي/٥٥١.

(٣) ظ: المصدر نفسه/ ٥٥٠- ٥٥١.

(غفر الله لك ذنبك ورحمنا وإياك، ورضي عنك برضائي)[1].

وهذا إبراهيم بن محمد أحد وكلاء الإمام، يدفع عنه الإمام، ويوصي به ويعلن وكالته بما كتبه إليه بالقول:

(وقد كتبت إلى النضر، أمرته أن ينتهي عنك، وعن التعرض لك ولخلافك، وأعلمته موضعك عندي.

وكتبت إلى أيوب أمرته بذلك أيضاً، وكتبت إلى مواليّ بهمدان كتاباً أمرتهم بطاعتك والمصير إلى أمرك، وأن لا وكيل سواك)[2].

وروى الكشي بسنده عنه قال: كتبت إلى أبي جعفر(عليه السلام) أصف له صنع السميع فيّ، فكتب بخطّه:

(عجل الله نصرتك ممن ظلمك وكفاك مؤنته وأبشرك بنصر الله عاجلاً، والأجر آجلاً، وأكثر من حمد الله)[3].

وهذا محمد بن إسماعيل بن بزيع، عدّه الطوسي في أصحاب الإمامين الرضا والجواد(عليهما السلام)، وقد سأل الإمام الجواد أن يمنحه قميصاً لامس بدنه ليجعله كفنا له فبعث إليه الإمام(عليه السلام) ذلك وكان الإمام الرضا(عليه السلام) يخاطب أصحابه بشأنه فيقول: (وددّت أن فيكم مثله وقد رعاه الإمام الجواد رعاية خاصّة)[4].

وله رواية عن الإمام الرضا(عليه السلام) تتعلق بتعليمات أهل البيت(عليهم السلام) فيما يخصّ أتباعهم وأوليائهم لدى تعاونهم مع السلطات لإصلاح أمر

(١) الطوسي/ الغيبة / ٢٢٥.

(٢) الكشي/ رجال الكشي/ ٥٠٦+المجلسي/ البحار ١٠٩/٥٠.

(٣) الكشي/ رجال الكشي/ ٥٠٧.

(٤) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/ ١٧٢، وانظر مصدره.

المؤمنين وتلبية احتياج الضعفاء وقضاء مهمات أمناء الله في أرضه وتنفيس الكربات عن شيعتهم وأهمية ذلك في التخطيط العام بالدفع عن الأولياء واعتبارهم المؤمنين حقا الذين خلقوا للجنة وخلقت لهم.

قال الإمام(عليه السلام): ((إن لله تعالى بأبواب الظالمين مَن نوّر له البرهان ومكّن له في البلاد ليدفعَ بهم عن أوليائه، ويصلح الله به أمور المسلمين، إليهم يلجأ المؤمن من الضرر، وإليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة، أولئك المؤمنون حقا أولئك أمناء الله في أرضه، أولئك نور في رعيتهم يوم القيامة، ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهر الدرية لأهل الأرض، أولئك مَن نورهم يوم القيامة تضيء منه القيامة، خلقوا للجنة، وخلقت الجنة لهم، فهنيئاً لهم، ما على أحدكم أن لو شاء نال هذا كله.

قال محمد بن إسماعيل قلت: بماذا؟ جعلني الله فداك!!

قال: يكون معهم فيسرنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمد))[1].

وتوفي زكريا ابن آدم رحمه الله تعالى وكان من الوثاقة والعلم بمكان عظيم فأبّنه الإمام الجواد(عليه السلام) حق تأبينه، وأثنى عليه بما هو أهله، فعن محمد بن إسحاق والحسن بن محمد، قالا: خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم إلى الحج، فتلقانا كتابه، يعني (الإمام محمد الجواد(عليه السلام)) في بعض الطريق:

((ذكرت ما جرى من قضاء الله في الرجل المتوفى رحمه الله يوم ولد، ويوم قبض، صابراً محتسباً للحق، قائماً بما يحب الله ورسوله ومضى

---

(١) الخوئي معجم رجال الحديث/ ١٥/ ١٠٧.

رحمة الله عليه غير ناكث ولا مبدّل، فجزاه الله أجر نيته وأعطاه جزاء سعيه وذكرت الرجل الموصى إليه فلم يعد في رأينا وعندنا من المعرفة به أكثر مما وصفت يعني الحسن بن محمد بن عمران))[1].

ومن خلال النماذج المتقدمة يبدو أن هذه الرعاية التامّة من الإمام في التوجيه والنصح والدعاء والتأييد والثناء ذات مغزى رسالي عام يؤكد التزام أولياء الأئمة لبيان أهميتهم الولائية من جهة، وليكونوا أمثولة للآخرين في الاقتداء، وهذا نموذج فريد لإعطاء كل ذي حق حقه في الشأن والمنزلة والبعد الرسالي، لئلا تفتقد الموازين الواعية في التقييم والتقويم معاً ومن أولى من الإمام محمد الجواد بهذه النفحات الندية ومن أجدر منه بوضع الرجل المناسب في الموقع المناسب من الوثاقة والشرف والدين.



(١) المفيد/ الاختصاص/ ٨٧ + الكشي / الرجال / ٤٩٦ + البحار ٥٠/١٠٤.

المناخ العرفاني في سلوك الإمام

وكان السلوك في رياضة النفس، والنهج العرفاني في إدارة الذات للإمام محمد الجواد في القمة الصاعدة لدى رصد علاقة المرء بربه وربط تصرفات الكائن الأرضي بالسماء، في نموذج لتلك الحالة من الإنابة والإخبات والخشوع فهو ذو برنامج خاص في الطاعة والعبادة الخالصة مما يذكرنا بآبائه من الأئمة المعصومين.

وكان عابداً ناسكاً كثير النوافل والمستحبات حتى روي أنه كان يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص سبعين مرّة[1].

وفي مثابرة جادة لتخير أماكن العبادة ومراعاة آداب الزيارة يحدثنا عبد الله بن رزين قائلا:

(كنت مجاورا بالمدينة –مدينة الرسول–، وكان أبو جعفر(عليه السلام) يجيء كلّ يومٍ مع الزوال إلى المسجد فينزل إلى الصخرة ويمرّ إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويسلم عليه ويرجع إلى بيت فاطمة ويخلع نعله فيقوم فيصلي)[2]..

وكان يعلم أتباعه وأولياءه ما يقوله النبي(صلى الله عليه وآله) إذا فرغ من صلاته:

(اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وإسرافي على نفسي وما أنت أعلم به مني...

---

(١) الحر العاملي/ وسائل الشيعة / ٢٩٨/٥.

(٢) الكليني/ الكافي / ٤٩٣/١ + المجلسي / البحار / ٦/٥٠.

اللهم إنّي أسألك خشيتك في السر والعلانية وكلمة الحق والغضب والرضا والقصد في الفقر والغنا)[1]..

وكان يعطي بعض الشهور أهمية خاصّة في مراسم العبادة وطقوس الإنابة سيّما في شهر رجب الأصبّ.

وكان ما تناقله الرواة عنه لدى حضوره إلى بغداد مثار إعجابهم، فقد حدث الريّان بن الصلت قائلا:

(صام أبو جعفر الثاني(عليه السلام) لّما كان ببغداد يوم النصف من رجب ويوم سبع وعشرين منه وصام معه جميع حشمه، وأمرنا أن نصلي بالصلاة التي هي: اثنتا عشرة ركعة، تقرأ في كل ركعة الحمد سورة، فإذا فرغت قرأت الحمد أربعاً وقل هو الله أحد أربعاً، وقلت: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أربعاً، والله الله ربي، لا أشرك به شيئاً أربعاً ولا أشرك بربي أحداً أربعاً)[2].

وقد ورد عنه(عليه السلام) أنّه كان يقول:

((إنَّ في رجب لليلة خير مما طلعت عليه الشمس، وهي ليلة سبع وعشرين من رجب)) وذكر فيها صلاة خاصّة[3].

ومن أرقى نماذج الإنابة التوجه نحو الله تعالى بالدعاء، وقد أورد الشيخ الصدوق أمثلة من الدعاء لكل إمام حتى إذا ذكر الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، أورد له هذا الدعاء:

---

(١) الكليني/ الكافي / ٥٤٩/٢.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة / ٢٤٣/٥.

(٣) المصدر نفسه/ ٢٤٢/٥.

((يا من لا شبيه لعظمته ولا مثال، أنت الله لا إله إلا أنت، ولا خالق إلا أنت، تفني المخلوقين وتبقى أنت، حلمت عمن عصاك وفي المغفرة رضاك))[1].

وقد حدب الإمام(عليه السلام) على تلقين أوليائه تلك الأذكار الجارية مجرى الأمثال في بلاغتها وإيجازها ومؤادّها، مما سيّره في الخلوات وقدمه بين يدي حاجاته عملا بما في التنزيل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] وإنصاتاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[3].

فقد علم محمد بن الفضيل ما سأله أن يعلمه إياه، يقول:

كتبت إلى أبي جعفر الثاني(عليه السلام) أسأله أن يعلمني دعاءً فكتب إليّ، تقول إذا أصبحت وأمسيت:

(الله الله ربّي الرحمن الرحيم، لا أشرك به شيئاً، وإن زدت على ذلك فهو خير ثم تدعو بما بدا لك في حاجتك، فهو لكل شيء بإذن الله تعالى)[4].

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

(ثم أُثِرَتْ عن الإمام(عليه السلام) تعليمات وتوجيهات في ميادين صقل الروح وتهذيب النفس، وتعميق العلاقة بين العبد وربه بالتسليم له

(١) الأمين الحسيني العاملين أعيان الشيعة /٤/ق٣/٢٤٥ وانظر مصدره.
(٢) سورة البقرة ، ١٨٦.
(٣) سورة النور ، ٧٧.
(٤) الكليني / الكافي / ٢/ ٥٣٤.

والتوكل عليه والاستعانة به في التماس الحاجات وحل المشكلات وتسهيل المعضلات، وقد جاء في جملة تلك الإشارات والتوجيهات أدعية وأذكار حثَّ الإمام المؤمنين على تردادها كل صباح ومساء لقضاء الحوائج وتيسير عقد الأمور)[1].

ولقد قال محمد بن الفرج:

كتب إلي أبو جعفر بن الرضا(عليه السلام) بهذا الدعاء وعلمنيه، وقال: من قاله في دبر صلاة الفجر لم يلتمس حاجة إلا تيسرت له وكفاه الله ما أهمه:

((بسم الله وبالله وصلى الله على محمد وآله؛ وأفوض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد، فوقاه الله سيئات ما مكروا ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين، حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))[2].

وفي توجهه الدعائي لمحمد بن الفرج:

((إذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل: رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبفلان وبفلان أئمة))[3]..

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد الجواد/ ٧٠.

(٢) الكليني/ الكافي/ ٥٤٨/٢.

(٣) الكليني / الكافي / ٥٤٨/٢.

ومن دلائل انقطاعه إلى الله وإخباته له، تلك المراسم والمستحبات التي رواها الحسن بن علي الكوفي مشاهدة في حج الإمام لبيت الله الحرام، يقول:

((رأيتُ أبا جعفر الثاني(عليه السلام) في سنة خمس عشرة ومأتين، ودَّعَ البيت بعد ارتفاع الشمس، وطاف بالبيت يستلم الركن اليماني في كل شوط، فلما كان الشوط السابع استلمه واستلم الحجر ومسح بيده، ثم مسح وجهه بيده، ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين، ثم خرج إلى دبر الكعبة إلى الملتزم، فالتزم البيت وكشف الثوب عن بطنه، ، ثم وقف طويلاً يدعو، ثم خرج من باب الحنّاطين وتوجه.

قال: فرأيته في سنة ٢١٩هـ ودّع البيت ليلاً يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كل شوط فلما كان الشوط السابع التزم البيت في دبر الكعبة قريباً من الركن اليماني..

وكشف الثوب عن بطنه ثم أتى الحجر فقبّله ومسحه وخرج إلى المقام فصلى خلفه ثم مضى ولم يعد إلى البيت، وكان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة أشواط وبعضهم ثمانية))[1]..

وروى علي بن مهزيار شيئاً من المراسم التي أدّاها الإمام في الحج فقال:

((رأيت أبا جعفر الثاني(عليه السلام) ليلة الزيارة طاف طواف النساء، وصلى خلف المقام، ثم دخل زمزم، فاستقى منها بيده

(١) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٢٣٢/١٠.

والدلو الذي يلي الحجر، وشرب منه، وصبّ على بعض جسده، ثم طلع في زمزم مرتين. وأخبرني بعض أصحابنا أنه رآه بعد ذلك في سنة فعل مثل ذلك))[1].

إنّ هذه اللمسات العرفانية التي التقطنا بعض شذراتها في مسلكية الإمام الروحية والتوجيهية والدعائية تمثل جانباً مشرقاً آخر في سيرة الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، فهو في شبابه المتبرعم كما هو صباه المتقدم يعطي الصورة التكاملية لحياة الإمام في البذل والعطاء والهدي والانابة.



(١) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/ ٧٣، وانظر مصدره.

الإمام في تقييم الأعلام

عدّ المؤرخون لمسيرة الإمام القيادية من خلال التجربة القائمة على أسس الموازنة الموضوعية أنَّ الإمام أبرز رجال عصره عزة وكرامة وشهامة، وأوسع علماء جيله ثقافة وحضارة ومعارف، وأشهر عظماء أمته علماً وعملاً وأصالة، وهو بهذه المميزات العالية يعتبر المؤهَل الوحيد دون منازع لمنصب الإمامة الشرعية، لتوافر الشرائط الأساسية فيه دون سواه، وإذا كانت أقلام الخلف هي ألسنة الصدق والتقييم وإدراك حقائق الأشياء، فقد ظفر الإمام محمد الجواد(عليه السلام) بأجلّها قدراً، وأسماها كعباً، وأروعها ذكراً، وأشرفها أثراً لدى جمهرة من الباحثين المستقلين، وإن لم يكن بحاجة إلى ذلك وقد رفعه الله تعالى، ووهبه من القابليات الكريمة ما تجاوز الآفاق.

وإذا كان التأريخ الرسمي يدور في محور السلطان وزمرته الخاصّة، ولا يخرج عن دائرة التسبيح بحمده، حتى حرفت الوقائع وشوهت صفحات التوثيق، فعاد تدوين الأمجاد الزائفة سجلاً حافلاً بما هبّ ودرج من الأنباء المضخمة زوراً وبهتاناً، فإن ما يخطه ـ ولو جزئياـ للحالات الصادقة يعتبر فتحاً جديداً في ظواهر التاريخ المنحرف، وإذا تحدث عن أمجاد بُناة الإسلام الحقيقيين، وأشاد بذكر هُداة العباد وأئمة الرشاد فسيكون ذلك الحديث على صدقه استثناء من القاعدة، ومن خلال هذه الاستثناء الذي قد يتجسد نادراً لمسنا جزءاً سليماً من الشذرات الثمينة المتناثرة بأعماق هذا التاريخ وهي تروي بأمانة وحذر فضائل الإمام محمد

الجواد(عليه السلام) وتؤكد سيرورة كرائمه النابضة بالحركة والحيوية وتشير عن قرب إلى مستوى شمائله النادرة.

والبحث إذ يورد بعض تلك الشذرات وقد غطّى على قسم منها شيء من التصبيب المتعمد أو الاختزال المقصود بما يؤوله بعض الباحثين بقصر عمره واخترام حياته بالغيلة والغدر، فإنما يورد ما وضع يده على أفضلها ذكراً، وانسبها تعبيراً، وأيسرها وجوداً، وما خفي عنا من ذلك أكثر فأكثر، وما كتمه المؤرخون أوسع مما أبا نوا عنه، ومع هذا وذاك فما لا يدرك كله لا يترك كله، وهي قاعدة نلجأ إليها في مثل هذه الحالة التي تفرض إرهاصاتها فرضاً، وتتنفس عن أبنائها بعد طول عنت ومخاض.

بادئ ذي بدء نورد ما رواه الإمام محمد الجواد نفسه، عن النحو الغيبي الذي سخّره الله تعالى ويسّره لأصفيائه من الأئمة المعصومين وهو أحدهم يقول الإمام:

(قال أبو جعفر الباقر(عليه السلام):

إنّ الأوصياء محدثون، يحدثهم روح القدس ولا يرونه)[1].

والإمام الجواد تاسع الأوصياء بإجماع الإمامية ورعيل كبير من جمهور المسلمين، وروحُ القدس هو جبرائيل(عليه السلام).

وليس هذا بغريب على عباد الله المخلصين فقد حدثت مريم بنت عمران من قبل روح القدس ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾[2].

---

(١) ظ: المجمع العالمي لأهل البيت/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٣١، وانظر مصدره.

(٢) سورة مريم، ١٧.

﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(١).

وكذلك ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾(٢).

وكذلك أوحي إلى أم موسى فقال تعالى فيما خاطب به موسى(عليه السلام): ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ◆ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾(٣).

فإذا حُدّثت مريم ابنة عمران، وأُوحي إلى أم موسى بن عمران، فما المانع أن يُحدَّث أوصياء محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم بعد جدهم خير البشر.

ومن هذا المنطلق القرآني قال الإمام الرضا(عليه السلام) في حقّ ولده الإمام الجواد: (كان أبو جعفر مُحَدَّثاً)(٤).

وهذه البداية الأولية ليست من التاريخ، ولكنها من التراث الذي ندين به، فإذا التمسنا المأثور التدويني وجدنا محمد بن طلحة الشافعي يقول:

((وأما مناقب أبي جعفر الجواد، فما اتسعت حلبات مجالها، ولا امتدت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقائه في الدنيا بحكمها وأسجالها، فقلَّ في الدنيا مقامه، وعجل القدوم عليه لزيارة حِمَامِهِ، فلم تطل بها مدّته، ولا امتدت فيها أيامه))(٥).

---

(١) سورة آل عمران، ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، ٤٥.

(٣) سورة طه، ٣٨- ٣٩.

(٤) المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢١٢.

(٥) ابن طلحة/ مطالب السؤول/ ٢/٧٤.

وواضح أن ابن طلحة ينعى على الأيام حكمها، إذ لم يتمتع الإمام الجواد(عليه السلام) بطول العمر، وإنما اختُطِفَ شهيداً في أول شبابه، وسجّل ملامح له من القول المجتزئ.

وتحدث الصفدي عن الإمام قائلاً:

((كان محمد يلقب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى، وكان من سروات آل بيت النبوة... وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لقّب بالجواد))[١].

وعزّى أبو العيناء ابن الرضا عن أبيه(عليه السلام)، فقال:

((أنت تجل عن وصفنا، ونحن نقل عن عظتك، وفي علم الله ما كفاك، وفي ثواب الله ما عزاك))[٢].

وهي عبارات بليغة تحكي عند مدى منزلة الإمام في النظر العام.

وقال عنه يوسف بن إسماعيل النبهاني:

((محمد الجواد بن علي الرضا أحد أكابر الأئمة ومصابيح الأمة، من ساداتنا أهل البيت))[٣].

وقال ابن تيمية:

((محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء لهذا سمي بالجواد))[٤].

وطبيعيّ من ابن تيمية أن يختزل ذكر الإمام الجواد اختزالاً، فهو معروف بوجهة نظره المعاكسة لمنهج أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الصفدي/ الوافي بالوفيات/ ٤/ ١٠٥.

(٢) ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٤/ ٣٦٢.

(٣) ظ: المجمع العالمي لأهل البيت/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٢٤/ من جامع كرامات الأولياء.

(٤) ابن تيمية / منهاج السنة/ ٢/ ١٢٧.

وقال ابن شهرآشوب، وهو يعدد ألقاب الإمام ويثني على مكانته:

((...والجـواد، والعـالم الربـاني، ظـاهر المعـاني، قليـل التـواني، المعروف بأبي جعفر الثاني، المنتجب المرتضى، المتوشح بالرضا، المستسلم للقضا، له من الله أكثر الرضا ، ابن الرضا، توارث الشرف كابراً عن كابر، وشهد له بهذا الصوامع، استسقى عروقه من منبع النبوّة ، ورضعت شجرته ثدي الرسالة، وتهدّلت أغصانه ثمر الإمامة))[1].

وقال ابن الصباغ المالكي:

((الإمام التاسع.. عُرف بأبي جعفر الثاني"وهو" وإن كان صغير السن، فهو رفيع الذكر، كبير القدر، القائم بالإمامة بعد علي بن موسى الرضا))[2].

وقال علي بن عيسى الأربلي:

((الجواد في كل أحواله جواد... فاق الناس بطهارة العنصر، وزكاء الميلاد، وامترع قُلّة العلاء فما قاربه أحد ولا كاد، مجده عالي المراتب، ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب، ومنصبه يشرف على المناصب، إذا آنس الوفد نارا قالوا ليتها ناره لا نار غالب، إلى المعالي سمو، وإلى الشرف رواح وغدو، وفي السيادة إغراق وغلو، وعلى هام السماك ارتفاع وعلو، وعن كل رذيلة بُعد، وإلى كل فضيلة دنو، تتأرج المكارم من أعطافه، ويقطر المجد من أطرافه، وتروى أخبار السماح عنه وعن أبنائه وأسلافه، فطوبى لمن سعى في ولائه، والويل لمن رغب في خلافه، إذا اقتسمت غنائم المجد والمعالي والمفاخر كان له صفاياها، وإذا امتطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها وأسماها، يباري الغيث

(١) ابن شهراشوب / المناقب٣/٤٨٦.

(٢) ابن الصباغ المالكي/ الفصول المهمة٢/١٠٣٥.

جودا وعطية، ويجاري الليث نجدة وحمية، ويبذّ السير سيرة مرضية، فمن له أبٌ كأبيه، أوجد كجده، فهو شريكهم في مجدهم، وهم شركائه في مجده، بهم اتضحت سبل الهدى، وبهم سلم من الردى، وبحبهم ترجى النجاة والفوز غداً، وهم أهل المعروف أولوا الندى))[1]..

وهنا نجد الأربلي يعطي مسحاً شاملاً لمساحة كبيرة من أمجاد الإمام الجواد بصفاته وخلائقه وشمائله، ويثني على ذكر معاليه ومكانته وسؤدده وجوده وكرمه، ويتحدث عن شرفه ومحتده ومجده، ويعقب بذكر ولائه وحبّه، ويشارف بالإشارة المعبرة إلى مفاخره في سجاياه، ومآثره في آبائه وأسلافه، ويعرض لمقامهم الأسمى بعباراته المهذبة الموحية. وكان الشيخ المفيد قدس سره قد تحدث عن الإمام محمد الجواد من ذي قبل، فقال:

((وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر(عليه السلام) لما رأى من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه أحد من مشايخ أهل الزمان... وكان مُتوافراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره))[2].

وقد اتكأ عليه في هذا التقرير الطبرسي بما ذكره السيد الأمين:

(كان(عليه السلام) قد بلغ في وقته من الفضل والعلم والحكمة والآداب مع صغر سنه منزلة لم يساوه فيها أحد من ذوي الأسنان من السادة وغيرهم، ولذلك كان المأمون مشغوفاً به لما رأى من علو مرتبته وعظيم منزلته في جميع الفضائل فزوجه ابنته، وكان متوافراً على إعظامه وتبجيله))[3].

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/ ١٦٣.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩.

(٣) ظ: محسن الأمين الحسيني/ المجالس السنية / ٥/ ٤٦٤.

وقال الأستاذ خير الدين الزركلي:

((محمد بن الرضا بن موسى الكاظم، الطالبي، الهاشمي ،القرشي، أبو جعفر، الملقب بالجواد، تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان رفيع القدر كأسلافه ذكياً، طليق اللسان قويّ البديهة))[1].

وقال السيد محسن الأمين الحسيني العاملي:

((قد كان أفضل أهل زمانه علماً، وعملاً، وورعاً، وعبادة، وسخاء وكرماً، وفي جميع صفات الفضل، وقد روي عنه من أنواع العلوم وأجوبة المسائل المشكلة الشيء الكثير))[2].

وقال السيد هاشم معروف الحسني رحمه الله وهو يستعرض شذرات قيمة من حكم الإمام وشوارده وأوابده:

((وقد أحاطت كلماته هذه بجميع الجوانب التي تشد الإنسان إلى الخلق الكريم والأدب الرفيع والسلوك القويم وكل ما يرفع من شأن الإنسان، ويوفر له السعادة والكرامة في دنياه وآخرته، بهذا ونحوه من القيم والمبادئ وهب الأئمة من أهل البيت حياتهم ووجدوهم، وتحملوا كل أنواع العسف والجور والتشريد من الحكام والطغاة ورحلوا عن دنيا الناس بأجسادهم، وظلوا فيها أحياء بسيرتهم ومبادئهم وتعاليمهم التي تُلهم الأجيال كل معاني الخير والنبل والفضيلة في كل زمان ومكان))[3].

وتحدّث الأستاذ باقر شريف القرشي عن الموقع النفسي للإمام في ضمائر قواعده الشعبية من الجماهير المؤمنة فقال:

---

(١) الزركلي/ الأعلام/ ٧/١٥٥.

(٢) الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة/ ٤/ق٣/٢٢٥.

(٣) هاشم معروف الحسني/ سيرة الأئمة الاثني عشر/ ٤/٤٦٤.

((وأحيط الإمام محمد الجواد(عليه السلام) بهالة من الحفاوة والتكريم وقابلته جميع الأوساط بمزيد من الإكبار والتعظيم، فكانت ترى في شخصيته امتدادا ذاتيا لآبائه العظام الذين حملوا مشعل الهداية والخير إلى الناس، إلا أنه لم يحفل بتلك المظاهر التي أحيط بها وإنما آثر الزهد في الدنيا، والتجرد عن جميع مباهجها...واعتبره بحق: (من منابع الفكر والعلم في الإسلام، وأحد مفاخر هذه الأمة وقادتها الطليعيين وقد ملأ الدنيا بفضائله وعلومه وزهده وتقواه))[1].

وقال الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

((إنه ابن الأئمة المنتجبين، وسليل الأمناء الميامين، وأحد حلقات تلك السلسلة الذهبية المشار إليها بالبنان في تاريخ الإسلام، وقد دلتنا النصوص الثابتة التي تضمنتها كتبنا السابقة المعنية بسير آبائه الأكارم ـ وهم الصفوة المختارة من أهل الأرض علماً، وديناً، وزهداً، ونقى، وهدياً، وصلاحاً، وسلوكاً، وأخلاقاً ـ أنهم كانوا المؤهلين دون غيرهم باعتراف القريب والبعيد، والمؤالف والمخالف، للإمامة الحقّة، وولاية الأمر الشرعية كما أرادها الله تعالى لعباده المؤمنين، وإنَّ أولئك الذي تقمّصوا الخلافة بالقوة والقهر أو بالخداع والمكر، أو بالإغراء وشراء الذمم، لم يكونوا خلفاء الرسول وأئمة الدين، وإنْ زعموا ذلك، لفقدانهم صفات التأهيل المقررة في مدونات الفقه الإسلامي والأحكام السلطانية))[2].



---

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/١/١٢و١٧.

(٢) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٢٠.

الفصل الثاني

الإمام الجواد وعصر السلاطين

١ـ الإمام وظواهر عصر السلاطين.

٢ـ الإمام في حكم المأمون.

٣ـ الإمام في عصر المعتصم.

٤ـ الإمام الجواد والقائم بالأمر.

الإمام وظواهر عصر السلاطين

إثر سقوط الدولة الأموية الإرستوقراطية، انتقل الحكم لبني العباس عام (١٣٢هـ) وتسلم الحكم متسلطون من نوع جديد، أنافوا على الأمويين بالظلم والإرهاب الدموي، فابتدعوا من الأحكام والعقوبات والإجراءات ما لم ينزّل الله به سلطانا، مما ارتفعوا به إلى مستوى الفراعنة إن صح التعبير، فأبو العباس السفاح أول السلاطين من بني العباس، وقد سمّي (سفاحاً) لكثرة ما استحل من سفك الدماء للأمويين وأشياعهم وولاتهم حتى استأصل شأفتهم، وما اكتفى بذلك حتى تعقّب المعارضين غيلة ومغامضة، وكان القتل جماعيا في الأمويين، وكيفياً في أتباعهم وارتجاليا فيمن تشمّ منه رائحة المعارضة قولاً أو عملاً، وما طال به الحكم حتى تسلّمه أخوه أبو جعفر المنصور، فكان جباراً في التسلط عالياً في الأرض معروفا بالغدر، متفنناً في الانتقام، ولقد تحاشاه الناس، وتوارى عنه المعارضون، واختفى ابرز شخصيات العمل السياسي، وذلك لشدة الإجراءات القمعية، فقد استحدث من العقاب الصارم المتنوع ما لم يسبقه إليه أحد، وابتدع من أساليب الجزاء ما لم يخطر على ذهن إنسان، واخترع في المعتقلات والسجون من أصناف التعذيب ما لم يجرِ على يد أحد من الطغاة، حتى لا يُعرف بها الليل من النهار لأنها في ظلمات بعضها فوق بعض، وكان أمراً طبيعيا في إجراءاته: سمل العيون، وقطع الإطراف، وخلع الأكتاف، وحزّ الرؤوس، والصلب

من خلاف، وحرق الأعضاء، وجزّ الشعور، والتمثيل بقادة المعارضة، واستئصال الثائرين وقطع الأرزاق عن عوائلهم وذويهم، حتى كان الفقر شعاراً، والجوع دثاراً، لمئات الآلاف من أتباع أهل البيت(عليهم السلام)، وقد استطال حكمه حتى ضجّ الناس إلى الله فقصف عمره وهو في عنفوان نشاطه السياسي، واستولى من بعده على الحكم ولده المهدي العباسي، وكان شاباً طائشاً نزقاً فصبّ العذاب على الأمة صبّاً، وورث عن أبيه أقذر الشمائل وأخبث الصفات، فبذّر أموال الدولة، وأسرف في الدماء، وتحكم بالأعراض، وسوّد الغلمان والخصيان، مما تقدم ذكره فيما مضى من الحديث في كتبنا السالفة من هذه الموسوعة.

حتى إذا تسلم الحكم موسى الهادي عن المهدي العباسي سلفه، رانت على الأفق سحابة سوداء من الظلم العنيف، فكان الطامّة الكبرى على قِصَرِ عهده واختطاف عمره، وقد فعل الأفاعيل وتصرّف تصرّف الطغاة، وأكثرَ من استئصال الثائرين تصفيةً، وأباد المعارضين جملة وحكم الناس حكماً استبدادياً مريعاً، ولولا أن يقصف الله ذلك العمر، ويطوي ذلك الذكر، لأعاد عصر الطواغيت من قوم عاد وثمود، حتى إذا انقضت أيامه قام هارون الرشيد بالأمر السلطوي فكان أعتى ملوك الأرض وأشدهم فساداً، فلم تبقَ موبقة إلا ارتكبها، ولا جريمة إلا اقترفها، مندفعا بشهوة الملك وراء عواطفه واولاعه، متظاهراً بالورع رياءا وبالتقوى نفاقا وهو ابعد الناس عن الورع والتقوى، فقد ولغ في دماء الشعب المسلم، وحدب على قتل الأبرياء، وأقدم على احتجان الذهب والفضة، وبرع في إجاعة الفقراء وترويع المحرومين، وبسط الظلم

الهائـل، وامـتلأت الـسجون، واصـطفّت الطـوابير تنتظـر القتـل تـارة، والطوامير تارة أخرى، وقطعت الأرزاق إلا عن المغنّين والمخنثين وشعراء البلاط ووعاظ السلاطين، فبُلي الشعب المسلم بسيف قاطع، ونظام مشين صارم، وسطوة معتد أثيم، وقسوة حاكم غاشم، لا يقيل نادما، ولا يقبل توبـة، ولا يلـتمس غـدرا، وقـد شـرّع الغـدر قانونـا بـأقرب النـاس إليـه، وأعلقهـم بـضميره وكيانـه ومملكتـه، فكـان للطـالبيين الـسيف، وللبرامكـة الاستئـصال، وللمعارضـين الاغتيـال والتـشريد والنفـي، وللـشعب الجـوع والحرمـان والفقـر المدقع. أمـا زهـو القـصور، وشـرب الخمـور، وموائـد القمـار، فللحـاكمين والظـالمين بركـابهم. واسـتمرت الزوبعـة في عـصفها، والكـوارث في نفثهـا، والانتكاسـات في تلاحقهـا، فـسأم الـشعب الحيـاة، وبدأت التجمعات السياسية تنشط في سرية تامّة، والتحركات الثورية تجدّ تنظيماً وإعداداً، والقيادات المعارضة تنتشر في أرجـاء الدولـة الإسـلامية.

ومات الرشيد بما يشبه الفجأة بعد مرض التهَمَهُ في أيـام معـدودة، ودفـن في شرق الدولة التي ملأها رعباً ورهباً واستطالة، مات وحيـداً منبـوذاً في طوس، فما بكت عليه السماء ولا الأرض، وأسلم لعمله الشائن، وذنوبه الكبرى، وتـسلم ولـده محمـد الأمـين الحكـم، وسـرعان مـا غـدر بأخيـه، وخلعه من ولاية العهد، فسيّر له المأمون الجيوش الجرارة، فقتل شرّ قتلة، بعد أن سالت الدماء كلّ مسيل، وانتكث عليه غـروره وفجـوره وانقلـب فيه عبثه ومجونه، وانتهى أمره إلى ما انتهى إليه، وجاء للحكـم أخـوه عبـد الله المأمون عقـب مجزرة بغـداد بمـا تحدثنا عنه مفـصلا في كتابنـا الـسابق (الإمام علي بن موسى الرضا/قيادة الأمة وولاية العهد).

وكانت الدولة في اضطراب سياسي شديد، فالثورات في بقاع الأرض المختلفة، والمعارضة تشتد كفاحاً مسلحاً، والقلوب تنضح دماً، والأحاسيس تنطلق بعد صمت، والشرارة تندلع بعد الاستتار، فاستطاع المأمون بحنكته السياسية وأساليبه الخاصّة، أن يتظاهر بأمر، وينطوي على أمر آخر، فعجّل بولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، ريثما تطفأ الثائرة، وتخبو شعلة النضال المتأججة، ولو إلى حين..

ونجح المأمون في مسعاه، وانطلت اللعبة على كثيرين، وأظهر التشيع جدلا، وولاية أمير المؤمنين اسما، وأغضب بني العباس ظاهراً، وهو جادّ في العمل المضني لصيانة الدولة العباسية من الانهيار، وممسك بزمام الحكم بقبضة حديدية، حذرا من لهيب الانتفاضات الموغلة بالاشتعال هنا وهناك، ومغرق في المؤامرات السرية لتثبيت السلطان واحتواء الشرر المتطاير بالآفاق، ولما تمّ له ما أراد بهذا التخطيط الدقيق، انتهى به الأمر إلى اغتيال الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، فأظهر الحزن والجزع عليهٔ، وبانت علائم الأسى على أساريره دجلاً ومداراة، فلما استكان الوضع الداخلي واطمأن إلى السلامة، وظن أنه قادر على امتلاك العواطف واكتساب مشاعر الشعب المسلم، تلألأ نجم الإمام محمد الجواد في صِباه، وغطى شعاعه مشارق الأرض ومغاربها، وإذا بالمأمون يفجأ بنازلة جديدة وهو في أخريات أيامه، فعاد إلى أسلوبه القديم في المراوغة وسبق الأحداث فاستدعى الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وأنعمَ عليه بالأعطيات الضخمة، ولم يمتنع الإمام الجواد من أخذها، وكان ذلك لسببين فيما يبدو للبحث:

الأول: إن الامتناع من أخذ هبات السلطان - وهي جائزة شرعاً -يعني تصنيفه في خط المعارضة، وذلك ما يجعل الإمام ضحية بلا قضية.

الثاني: إنّ أخذ الإمام لذلك المال وله حق فيه لأوليائه يكون من باب استنقاذه من أيدي الظلمة.

وفضلاً عن هذه المبررات الظاهرية، زوّجه المأمون بابنته أم الفضل، فعاد الإمام(عليه السلام) صهر المأمون، وأظهر له من الحب والمودة والإخلاص ما سبق أن منحه لأبيه الإمام الرضا(عليه السلام) من ذي قبل، ولم تُتَح الفرصة للمأمون بالقضاء على الإمام إذ اخترم عمره وانتهى أجله، فتسلم أخوه المعتصم بن الرشيد الملك، فكان له مع الإمام أكثر من حادث، وجرت له معه أكثر من واقعة، وهو مايحاول البحث تسليط الضوء الكاشف عليه في عصر المعتصم الذي قضى على الإمام محمد الجواد بقسوة وإصرار وتعمد قتل، كما ستراه في موقعه بإذن الله تعالى.

ولما كانت بداية الإمام في تسلّمه للمنصب الشرعي الإلهي في عصر المأمون، كان لزاماً علينا رصد ذلك العصر رصداً متوازناً واستقراء أبعاده فيما عرض للإمام من مشكلات وأحداث له ولأتباع أهل البيت.

وكانت سياسة القهر والإذلال والاغتصاب وخنق الأصوات منهجاً لا محيص عنه في الإطار السياسي العام، وعليه من الشواهد كثرة القتل وسفك الدماء وعنصر الإرهاب ومصادرة الحرية الفردية والعامّة، وإلغاء أبسط حقوق الإنسان في المواطنة والحياة الكريمة، وفوق هذا كله

تطاول غول الفقر وشبح المجاعة في جانب، والتضخم المالي والإسراف اللامسؤول في جانب آخر، وكان شيعة أهل البيت في بؤس وشقاء وملاحقة واسترقاق، وكانت واردات الدولة الضخمة تسد اندفاع السلاطين والولاة في الشهوات واجتراح المآثم والموبقات والمسلمون في حال غريب يرثى له من الجوع والحرمان.

وكان العباسيون ممن أسس أساس الظلم والعدوان على العباد، وكان السلطان الغاشم منهم يبتز حقوق المسلمين التي بذلوا فيها دماءهم وضحوا من أجلها في البعوث العسكرية والفتوح الإسلامية وذهبوا شهداء تلك المناورات في الحروب الداخلية التي لا أول لها ولا آخر، فالمسلم ـ لا سيما أتباع أهل البيت ـ يدفع ضريبة الدم ولا يحصل على قوت اليوم أو الشهر، ويختطف منه أبناؤه وشباب أسرته، ولا يوفر له أدنى العيش الكفاف، ذلك كله في ظل نفقات الخلفاء من خلفاء بني العباس على الملذات والسهرات والجواري وموائد الخمر والليالي الحمراء، وما جرى على هذا النسق من الإسراف.

وقد بلغ هذا الإسفاف المريع ذروته في العصر الذي عاش به الإمام محمد الجواد(عليه السلام) حياته القصيرة، وليس له حول أو طَول في تغيير الواقع المتهافت، وهو يرى الشعب المسلم في ضائقة خانقة، ويرى تلك الأموال المتراكمة وقد بذّرت فيما لا يرضي الله، ولو أردنا نموذجاً واحداً من الأكداس لذلك المال، وليكن الخراج وحده، لرأينا ابن خلدون قد أحصاه فيما يتجاوز أربعين مليون درهم في عهد المأمون(1).

---

(١) ظ: ابن خلدون/ المقدمة/ ١٧٩- ١٨٠.

فما بالك في الإيرادات الأخرى والضرائب والمصادرات وما شرعوا من جباية الأموال من مشتبهاتها، وما فرضوه من الغرامات وانتزاع الملكية، وما وصل إليهم من الجزية وفيء الأقاليم، حتى أن المال لوفرته كان لايُعدّ عدّاً بل يوزن وزنا، فكانوا يصفون واردات الدولة العباسية في عصر المأمون، كما يذهب إلى هذا ابن خلدون نفسه: بأنها بلغت ستة أو سبعة آلاف قنطار من الذهب الخالص[1].

حتى إذا جاء المعتصم عام (٢١٨هـ) بعد وفاة أخيه المأمون، رأينا البذخ والعبث المالي على أشده، وفي ضراوة تطوره التصاعدي في التضخم والعائدات، فقد حسب المعتصم نفسُه خراج عامله على الروم فكان أقل من ثلاثة ألاف ألف، فغاظه ذلك، وكتب إلى عامله يعاتبه:

((إنّ أخَسَّ ناحية عليها أخسُّ عبيدي، خراجها أكثر من خراج أرضك))[2].

هكذا كانت حياة الجانب المالي المغتصب من الأمة والإمام.

ونحن حينما نريد أن نؤرخ لهذه الحقَبة الحرجة من أيام الإمام المعدودة، فعلينا شرح معاناته العظمى من المأمون والمعتصم، وهما يتقمصان رداء الخلافة، ويدعيان لنفسيهما منصب الإمامة الشرعية، ويحاولان تضليل السواد الأعظم بإثبات صحة هذه الدعوى الكاذبة، وتلك إحدى الكوارث الكبرى التي مُني بها الإسلام، إذ تصدّر زعامة المسلمين في العصر الأموي أمثال معاوية ويزيد ومروان، وتزعم في

(١) ظ: المصدر نفسه / ١٨٠.

(٢) البشاري المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ٦٤.

العصر العباسي أمثال المأمون والمعتصم، وهما يضفيان على حكمهما الهزيل صفة الشرعية، بل ويصطبغان ذلك بألوان من القداسة الموهومة؛ فهل كانا أهلا لذلك الإدعاء العريض الذي أحاطا شخصيتهما به؟؟

وهل تجسم فيهما -عملاً وسلوكاً- ما قرر فقهاء الأحكام السلطانية وجوب إحرازه في القائم بهذه المهمة الخطيرة المقدسّة من صفات وملكات والتزامات؟))[1].

إن التجربة التي خاضها الإمام محمد الجواد(عليه السلام) مع المأمون والمعتصم أثبتت بما لا يقبل الشك أنهما ليسا أهلا لأي منصب إلهي على الإطلاق، وذلك لما اقترفاه من مخالفات صريحة لكل فرضيات الإسلام الشرعية والعقائدية والعملية، فضلا عن الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامي في الورع والتقوى وأداء الواجبات والامتناع عن المحرمات، والتورع عند الشبهات، فهما ليسا هناك، لانهما ليسا بالمستوى الأدنى الذي يصدّهما عن الجرائر والآثام والموبقات، وهما بما فيه الانحراف عن الخط المستقيم للهدى، لم يستطيعا أن يحققا جزءاً ضئيلاً من تلك الشروط التي ينبغي توافرها فيمن يدعي المنصب الإلهي، وكانت أعمالهما الفاضحة لمسيرتهما في ارتكاب المعاصي، والإصرار على الكبائر تشكل حاجزا عن انطباق أي صفة شرعية تؤهلهما لقيادة الأمة، كما أن الغرائز المتأصلة في حياة الّلهو والمجون من جهة، ومتابعة بطش الجبّارين من جهة أخرى يمنعان من إدارة دولة إسلامية تشترط بها مظاهر التقوى من جانب، وتتمثل سياسة العطف واللين والرأفة من

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٣٣.

جانب آخر، يضاف إلى هذا كله: الجهل المطبق بأحكام الشريعة الغرّاء مما يتنافى مع تلبية احتياج السائلين إلى معرفة الفروع على أقل تقدير، كما هو الجاري لدى الفقهاء.

ومن هنا كان التماع ذكر الإمام الجواد(عليه السلام) يتراءى في الأفق الرحيب نيراً آخذاً بالقلوب والمسامع والأبصار، وكان هدية شعلة وقّادة يهتدي بضوئها السائرون.

لقد شكل هذا الملحظ زاوية حرجة بالنسبة للخلافة الدنيوية، إذ أظهر المُخبّأ من سيرة المأمون والمعتصم، كما أظهر الواقع المشرّف من سيرة الإمام محمد الجواد علماً وورعاً وكفايةً ومقدرة، وعبّر عن التصاق متّصل بالدين وعوالمه غير قابل للانفصال.

ومما لا ريب فيه لدى البحث أن الإمام محمد الجواد(عليه السلام) كان المحور الذي تدور عليه رحى الإسلام في التزامه ومواصفاته وأنماط سلوكه فقد عرف بالرشد والصلاح والتقوى والعلم الذي لا يجاريه به أحد في عصره على الإطلاق، كما ستجد هذا في موقعه من البحث، والذي كسب به شهرة ذائعة الصيت، واكتسب سيرورة فاقت حد القصور الأولي باعتباره في مقتبل العمر، مما قطع به حتى أعداؤه، وأجمعوا على: ((التسليم بكونه الأوحد الذي لم يشاركه غيره من معاصريه فيما كان يتمتع به من مؤهلات الولاية الشرعية وملكاتها الفذة، وما كان يتجمع فيه من وراثة علم النبوة وهدي الرسالة، وعطاء الوحي والتنزيل))[1].

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/٣٧.

هـذا المنظـور الأصـيل في التقريـر والتقـدير هـو الـذي يـدفعنا إلى الإمعان في تصوير معاناة الإمام مع سلاطين عـصره والبحـث عـن كيفية تعامله مع المأمون والمعتصم، ومدى تلك العلاقات العامة والخاصة التي أحبكت فصولها بكثير من الغموض حتى انتهت باستشهاده سَميما.

ولا بدّ لنا من تسجيل أسمى آيات الإكبار لهذا الإمام الصامد في وجه المؤامرات الكبرى التي عرضت له في حياته القصيرة، كما نسجل مدى الحزن والأسى الذي يخامرنا لما تعرض له الإمام من المآسي والآلام في تلك الفترة المظلمة من حكام عصره، وما حفل به تأريخه من هموم ومفاجئات وأحداث، وهو يخوض تلك التطورات الهائلة في زوابعها وأراجيفها في حين يشق غمراتها طلق المحيا أنِفَ الجبين، رغم الأمواج الطاغية في خضم ذلك البحر اللجّي من الأعاصير.

تحية للإمام الشاب من الأعماق، وصلوات على تلك النفس المطمئنة في حياة الغضب والاضطراب، والسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا، والعاقبة للمتقين.



الإمام في حكم المأمون

امتدت أصابع الاتهام مشرئبة نحو المأمون باغتيال الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، وكان يبرأ من ذلك، ويظهر الحزن والجزع على الإمام، ويذكره بالخير والثناء العاطر، وتلك أساليب السلاطين في المكر والدهاء السياسي.

وفي محاولة للمأمون من أجل التغطية على هذا الحدث المرعب، وجدناه يُحكِم أمره في تضليل القائلين بقتله الإمام الرضا(عليه السلام)، فمضافاً إلى مظاهر الأسى المفتعل على الإمام، فقد استدعى ولده الإمام الجواد(عليه السلام) إلى بغداد، وأنزله قريباً من قصر الخلافة، وأظهر برّه والإحسان إليه، وبالغ في إكرامه مكراً وتصنعاً ليبدد من حوله تلك السحب الغائمة في قضية اتهامه باغتيال أبيه، وأبقاه معه في بغداد ما شاء، وحينما بلغ سن الزواج زوجه بابنته أم الفضل، وأجرى عليه راتباً مجزياً، وتلك سياسية إيجابية تجاه التدبر السلبي المبيت للإمام محمد الجواد(عليه السلام)، فكانت مراقبته سرّيه، وتتبع نشاطه الديني قد أحيط بالكتمان، وهو يصل إلى المأمون أولاً بأول، فغضّ عن ذلك ا لطرف وقابله بالصبر.

ولدى مكث الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، في بغداد استطاع أن يجمع حوله كوكبة من أصحابه وأمدّهم بالأحاديث والروايات التي توضح لهم معالم الدين وقد يكون اتصال بعضهم بالإمام مباشرة،

ويروي عنه مشافهة وقد يكون ذلك عن طريق المكاتبة وتسلم الجواب، على أن ذلك كان بحدود، إلا أن مجالس المناظرة والمحاورة التي أعدّت للإمام الجواد(عليه السلام)، أكسبته شهرة مدوية في الوسط العلمي، وقداسته وهديه جعلاه في مصفّ الأولياء الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

وكان للمجتمع أن يقارن بين سيرة الإمام ومعارفه، وبين سيرة المأمون وفراغه العقائدي، وقد مرّ فيما سبق في كتابنا (الإمام علي الرضا/ قيادة الأمة وولاية العهد)، إلقاء جزء من الأضواء على حياة المأمون العابثة وشمائله المتقلبة بين التظاهر بالورع جزافاً، وبين الانحدار في مزالق الشهوات انجذاباً، وهو على ما هو عليه من المنصب المدعى ظلماً وبهتاناً، كان يخالفه إلى السقطات في سلوكه، فقد ولع بالغناء والموسيقى ولعاً خاصاً، وقرّب أبا إسحاق الموصلي كبير العازفين وزعيم المغنين في العراق، وذكره بالقول:

((كان لا يغنّي أبداً إلا وتذهب عني وساوسي المتزايدة من الشيطان))[1].

وكان هذا مما يجلب عليه السخرية ويغري به المستهزئين، فالغناء من أسلحة الشيطان فكيف يذهب بوساوس الشيطان.

ولم يكن هنالك شيء من الملاهي أحبّ إلى المأمون من الشطرنج، فقد ولع به[2].

(١) ظ/ الحضارة العربية/ جاك.س.ريسلر/١٠٨.

(٢) ظ: ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ٣/٢٥٤.

وقد وصف لعبة الشطرنج وصفاً دقيقا ذكرها الأبشيهي[1].

وإلى جانب هذا اللهو، يضيف إليه العبث الماجن الخليع، فتراه في عيد الشعانين أحد أعياد النصارى وبين يديه عشرون وصيفة جلبت، وهن روميات مزنّرات قد تزينّ بالديباج الرومي وعلّقن في أعناقهن صلبان الذهب، وفي أيديهن الخوص والزيتون وكان يقول فيهن الشعر ويغنى به، (فلم يزل يشرب وترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص)[2].

وثمة مظاهر أخرى من اللهو تتمثل في تهارش الديوك والكلاب[3].

وعرف باللعب بالميسر حتى انتشر ذلك في حانات الفقراء[4].

أما الإسراف في المأكل والمشرب فحدث ولاحرج، ففي بعض الوثائق عن جعفر بن محمد الأنماطي أنه تغدّى عند المأمون، فوضع على المائدة ثلاث مائة نوع من الطعام[5].

وقد عقب الدكتور صالح أحمد العلي على ذلك بأنه نظرا لتعدد ألوان الطعام فقد فسدت أسنانهم مما اضطرهم إلى شدها بالذهب للعلاج[6].

---

(١) الأبشيهي/ المستطرف/٢/٣٠٦.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني/ الأغاني/ ١٣٨/١٩.

(٣) ظ: المصدر نفسه/ ٧٥/٦.

(٤) الدميري/ حياة الحيوان/ ١١٥/٥.

(٥) ظ: طيفور/ تأريخ بغداد/ ٣٦.

(٦) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/ ٢٢٥ عن التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية/ ١٧٧.

وكانت اللامبالاة في مقدرات الأمة من صفات المأمون الأساسية فقد ترك أحد وزرائه ما يقرب من ثمانية ملايين دينار ذهباً بعد وفاته، فأُخبر بذلك المأمون في رقعة فكتب عليها: (هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيه)[1].

وفي هذا إغراء بنهب المال واستدعاء للناس بالانخراط في سلك موظفي البلاط العباسي ليحصلوا على مثل هذه المكاسب التي كانت تفوق حدّ الثراء بل الثراء الفاحش.

وأخبار المأمون في الإسراف لا تقف عند حد، وما صنع في زواجه ببوران بنت الحسن بن سهل، قد ناف على مظاهر السرف في كل شيء، هبات وعطايا، وإقطاع أراضي، ونثر بنادق العنبر وفيها الرقاع والصكوك والمنح والأعطيات الضخمة، بما ألمحنا إليه في حياة المأمون بعصر الإمام الرضا(ﻉ)، وبما أورده الطبري وابن الأثير وسواهما في لمحات التأريخ، وإلى جانب هذا اللهو المشين والتبذير المحرم كان المأمون معروفا بالشدة والغلظة وحبّ الانتقام، وإن تظاهر بالعفو والرحمة، فقد غدر بالفضل بن سهل بعد أن مهّد له الأمور، وقد ضحّى بقواد الجيش وزعماء العسكر بعد أن ضبطوا له الدولة، وقد قتل الإمام الرضا(ﻉ) بالسمّ وفي يده، وقد أمر ولاته وعمّاله بقتل العلويين تحت كل حجر ومدر، وكان قتله لأخيه الأمين بداية للترويع السياسي الذي أنكره عليه حتى العباسيون، وكان بعد كل هذه الجرائر يبدو وكأنه الحمل الوديع

---

(١) محمد كرد علي/ الإسلام والحضارة العربية/ ٢/ ٢٣١.

طيبة وسلوكا، فيعفو عن هذا، ويمسك عن ذاك ويتقرب لسواهما، حتى إذا واتته الفرصة بَطَشَ بَطْشَ الجبارين.

والأغرب من هذا أن يدعي المأمون التشيع تارة، ويتأزّر بمئزر الخلافة الشرعية تارة أخرى، وهو يتجاهر بالكبائر ويقترف المحرمات على رؤوس الأشهاد، ومن أطرفها استهتاراً بالدين، وهتكاً لحرمة شهر رمضان لدى زواجه ببوران سنة عشر ومأتين من الهجرة فقد أفطر الخليفة (هو والحسن بن سهل والعباس..حتى إذا فرغوا من الإفطار وغسلوا أيديهم فدعا المأمون بشراب فأُتيَ بجامِ ذهب، وصبّ فيه وشرب، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن، فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغمز دينار بن عبد الحسن فقال له الحسن:

يا أمير المؤمنين؟ اشربه بإذنك وأمرك؟

فقال له المأمون: لولا أمري لم امدد يدي إليك. فأخذ الجام وشربه)[1].

فما عسى أن تقول في خليفة يأمر وزيره في رمضان بتناول الخمرة والوزير يتعفف عن ذلك؟

وقد قضى الإمام الجواد(عليه السلام) زهرة أيامه في حياته مع المأمون منذ استشهاد أبيه الرضا عام ثلاثة ومائتين من الهجرة حتى وفاة المأمون يوم الخميس لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب عام ثمانية عشر بعد المائتين من الهجرة.

---

(١) ظ: الطبري / التأريخ/ ٨/٥٧٨ + ٨/٦٥٦ + الأصبهاني/ الأغاني / ١٠/١٣٠، ١٦١، ١٦٤.

وأعاد المأمون خلال هذه الحقبة سيرته الدبلوماسية مع الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، واغترف بيد مستطيلة من دهائه السياسي المعروف، فمال في مسلكيته مع الإمام إلى الوادعة والموادعة وإظهار الحب والاحترام، مما أغاظ بني العباس، وقد غاص سهمه في الأعماق.

وقد أخذ المؤرخون هذا العطف المغلف والتخطيط المبرمج على أنه ظاهرة من ظواهر التبجيل والتعظيم للإمام، وذلك لما ظهر له (من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنه)[1].

والأكثر من هذا أن سبط ابن الجوزي قد لمس من إعجاب المأمون بالإمام أن فكّر بأن يعهد إلى ابن الرضا بولاية العهد، ومنعه من ذلك شغب بني العباس عليه، وخشيته من الفتنة والنزاع الذي قد يؤدي إلى خروج الأمر من يد بني العباس وبني عليٍّ كليهما بسبب الاختلاف[2].

وقد نظر الشيخ المفيد "قدس سره" إلى الأمر على ظاهره فقال:

((كان المأمون قد شغف بأبي جعفر(عليه السلام) لما رأى فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال الفضل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان... وكان متوافرا على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره))[3].

والبحث لا يستبعد على المأمون انتهاج هذه السياسة، فهي سليمة، له نفعها وعليه درّها، وهو غير آسف على ما فعل من التكريم الظاهري،

---

(١) ابن حجر/ الصواعق المحرقة/ ١٢٣.

(٢) ظ: سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٦٥- ٣٦٦.

(٣) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩.

فله مخططه الخاص الذي ينفذ فيه لأغراضه، فضلا عن إسدال الستار ـ ولو جزئيا ـ على الماضي القريب وقد وجِّهت إليه التهمة علناً باغتيال الإمام الرضا(عليه السلام)، فما ضرّه من دفع الشبهات عنه بالمصافحة والإصهار في السياسة لا يخشى عليه منها.

وكانت البداية في اللقاء بين الإمام والمأمون ما أشار إليه المسعودي صراحة أن المأمون لدى استقراره ببغداد، وتهدئة الفتنة استدعى الإمام محمد الجواد من المدينة المنورة إلى بغداد، وأنزله بالقرب من داره[1].

وإنزال الإمام قرب دار المأمون يعني رصد التحركات، وإحصاء الأولياء والأتباع، والرقابة الدقيقة الفاحصة، والنظر في أمر الإمام محمد الجواد من كل زواياه ووجوهه، إذ لم يكن المأمون مغفّلا بحيث يترك الإمام في حرية مطلقة وهو يرى نصف الامة تقول بإمامته وأولويته بمنصب الخلافة الشرعية للمؤهلات والهدي والعلم الخارق.

أما ما يروى بأن لقاء المأمون بالإمام محمد الجواد كان من خلال مرور المأمون ببعض أزقة بغداد، وكان الصبيان يلعبون والإمام يقف معهم!! فلما شاهدوا موكب المأمون تركوا لعبهم وفروا، باستثناء الإمام محمد الجواد الذي بقي في مكانه ولم يفر معهم، مما أثار تعجب المأمون، فتساءل عنه أو سأله فعرفه[2].

فموضوع لا أصل له من عدة جهات:

---

(١) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٨٦.

(٢) ظ: ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٤٨+ ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٤٣٣/٢+ ابن طلحة الشافعي/ مطالب السؤول/ ٧٤/٢.

١- متى أتاحت مشاغل الإمامة والنهوض بالأمر فرصته للإمام الجواد أن يلعب أو يقف مع الصبيان؟؟

٢- كيف يعقل أنَّ المأمون لا يعرف الإمام الجواد؟ وقد استدعاه إلى بغداد! ومن ثمّ يسأل عنه فإذا علم به أعجب فيه!!

٣- أين الإمام الجواد من الأزقّة والشوارع وقد احتفلت به الدواوين ببغداد علماً وفقاهة واحتجاجاً!!

والأمر الذي لا نشك فيه أن المأمون رأى سياسياً أن يبدد ما تراكم من ضبابية موقفه من الإمام الرضا(عليه السلام)، فعزم على العودة من جديد إلى سياسة المراوغة والموازنة بين الأحداث فتظاهر بإعادة الصلات المنبتّة بين العباسيين وأهل البيت، ومهّد لذلك بتقريب الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، والتحدّث عن قابلياته ومواهبه، ومن ثمّ قراره بتزويج الإمام من ابنته أم الفضل، حتى تناهى الخبر إلى بني العباس فأنكروا ذلك، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى للإمام الرضا(عليه السلام)، فخاضوا في ذلك، وقالوا للمأمون:

(ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنا نخاف أن يخرج به عنا أمرٌ قد ملكنا الله عزّ وجلّ وينزع منا عِزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا(عليه السلام) ما عملت، فكفانا الله المهمَّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا

إلى غمّ قد انحسر عنا واصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك ليصلح لذلك دون غيره!!

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم، وأما ما كان يفعله مَن قبلي بهم، فقد كان قاطعاً للرحم وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا(عليه السلام)، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وانزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون أن الرأي ما رأيت فيه!!

فقالوا له: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه، فإنّه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله حتى يتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك!! فقال لهم: ويحكم أني أعرف بهذا الفتى منكم!!

وإن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد

الرأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم!! فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون وسألوا أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك.

وجرت الأسئلة على رسلها، واعترض الإمام عليها وطلب من ابن أكثم الرد على اشكالياته وتحيّر يحيى بما سنذكره في موضعه)[١].

ومهما يكن من أمر، قال المأمون بعد انتصار الإمام الجواد:

(الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي... ثم أقبل على الإمام(عليه السلام) فقال له: أخطب لنفسك، فقد رضيتك لنفسي، وإن رغم قوم لذلك، فقال أبو جعفر(عليه السلام):

(الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله أخلاصا لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد بريّته، والأصفياء عترته، أما بعد:

فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام وقال سبحانه:

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

---

(١) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٨٧- ١٨٩+ المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩- ٣٦٠ + الطبرسي الاحتجاج ٢٢٧- ٢٢٩ + ابن شعبة/ تحف العقول/ ٣٣٥- ٣٣٨+ المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/٧٤- ٧٥.

(٢) سورة النور، ٣٢.

ثمّ أن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليهما السلام، وهو خمسمائة درهم جياداً؛ فهل زوجتني يا أمير المؤمنين على الصداق المذكور؟

قال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر ابنتي على هذا الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟

فقال أبو جعفر(عليه السلام): وقد قبلت ذلك رضيت به.

فأمر المأمون: أن يقعد للناس على مراتبهم الخاصة والعامة[1].

وكان الشيخ الصدوق من ذي قبل قد روى خطبة الزواج بصيغة أخرى، قال:

لما تزوج أبو جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام)، ابنة المأمون خطب لنفسه فقال:

((الحمد لله متمم النعم برحمته، والهادي إلى شكره بمنه، وصلى الله على محمد خير خلقه، الذي جمع فيه من الفضل ما فرقه في الرسل قبله، وجعل تراثه إلى من خصّه بخلافته، وسلم تسليما:

وهذا أمير المؤمنين زوجني ابنته على ما فرض الله عزّ وجلّ للمسلمات على المؤمنين، من إمساك بالمعروف، أو تسريح بإحسان، وبذلك لها من الصداق ما بذله رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأزواجه وهو: اثنتا

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٦١- ٣٦٢+ الطبرسي الاحتجاج ٤٧٥/٢.

عشر أوقية ونش (نصف) وعليّ تمام الخمسمائة، وقد بجلتها من مالي مائة ألف. زوجتني يا أمير المؤمنين؟

قال: بلى. قال: قبلت ورضيت))[1].

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصوات تشبه أصوات الملاّحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالحبال من الابريسم على عجل مملوءة من الغالية. فأمر المأمون أن يخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية، ثُمّ مدّت إلى دار العامة فطيبوا منها.

ووضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم[2].

قال الشيخ المفيد والمسعودي وابن شعبة وابن شهرآشوب، والطبرسي مع الاختلاف البسيط:

((فلما كان من الغد حضر الناس، وحضر أبو جعفر(عليه السلام)، وصار القواد والحجّاب والخاصة والعامة لتهنئة المأمون وأبي جعفر(عليه السلام)، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوب عليها بأموال جزيلة وعطايا سنية وإقطاعات فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصته، فكان من وقع في يده بندقه أخرج الرقة التي فيها والتمسه فأطلق له، ووضعت البدر، ففرق ما فيها على القواد وغيرهم.

---

(١) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٣/٢٥٢.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٢+ المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/٧٧.

وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم المأمون بالصدقة على كافّة المساكين))[1].

واستبشر فريق من أولياء أهل البيت بهذا الزواج حتى قال أبو هاشم الجعفري للإمام محمد الجواد(عليه السلام):

(يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم!!

فقال: يا أبا هاشم، بركات الله علينا فيه.

قلت: نعم يا مولاي؛ فما أقول في اليوم؟

فقال: تقول فيه خيراً فانه يصيبك.

قلت: يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه.

قال: إذا ترشد ولا ترى إلا خيرا)[2].

ومهما يكن من أمر، فقد تحقق هذا الزواج لدوافع خفيّة وأخرى ظاهرية، فقد ادعى المأمون في أسباب هذا الزواج أمراً بريئاً وسبباً وجيهاً في ظاهره، فقال:

((إنّي أحببت أن أكون جداً لمرء ولّده رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وعلي بن أبي طالب(عليه السلام)))[3].

ويميل الأستاذ باقر شريف القرشي إلى أن المأمون حاول الوقوف على نشاط الإمام الجواد(عليه السلام)، والإحاطة باتجاهاته السياسية، ومعرفة

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٤+ المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٨٩+ ابن شعبة/ تحف العقول ٣٣٨+ الطبرسي/ الاحتجاج/ ٤٧٧.

(٢) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٧٩/ المطبعة الإسلامية.

(٣) اليعقوبي/ تأريخ اليعقوبي/ ٣/ ١٨٢.

العناصر الموالية له والقائلة بإمامته، وذلك من طريق ابنته التي ستكون زوجة له.

وأردف قائلاً: (لعل من أهم الأسباب وأكثرها خطورة أن المأمون حاول من هذه المصاهرة جرّ الإمام إلى ميادين اللهو اللعب ليهدم بذلك صرح الإمامة الذي تدين به الشيعة، والذي كان من أهم بنوده وعصمة الإمام وامتناعه من اقتراب أي ذنب عمدا كان أم سهوا، وكان من الطبيعي أن يفشل في ذلك، فان الإمام(عليه السلام) لم يتجاوب معه بأي شكل من الأشكال)[1].

وهذا الافتراض ليس من السهل على المأمون الجراءة عليه، أو التفكير به على الإطلاق فيما نعتقد، فالمأمون أعلم الناس بورع الإمام وتقواه، وهو الخبير الستراتيجي بما عليه شأن الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، وإن احتال على الإمام بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيء على حد تعبير الشيخ الكليني[2].

ولدى زواج الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في بغداد، عزم على السفر إلى مسقط رأسه: المدينة المنورة، فانصرف عن بغداد وصار إلى شارع باب الكوفة، ومعه الناس يشيعونه، فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس فنزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء، فتوضأ في أصل النبقة، وقام(عليه السلام) وصلى بالناس صلاة المغرب، فقرأ في الأولى منها: الحمد وإذا جاء نصر الله، وقرأ في الثانية

---

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/ ٢٣٨.

(٢) ظ: الكليني/ أصول الكافي/١/٤٩٤.

الحمد وقل هو الله أحد، وقنت قبل ركوعه فيها، وصلى الثالثة وتشهد وسلم، ثم جلس هنيئة يذكر الله جلّ اسمه، وقام من غير أن يعقب فصلى النوافل أربع ركعات، وعقّب تعقيبها، وسجد سجدتي الشكر ثم خرج، فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً حسنا، فتعجبوا من ذلك وأكلوا منه فوجدوا نبقاً حلواً لا عُجم فيه وودعوه ومضى من وقته إلى المدينة[1].

ورأى الطبري أن خروج الإمام الجواد(عليه السلام) من بغداد كان أيام الحج فقصد مكة المكرمة حاجّاً، ثم أتى منزله بالمدينة[2].

ويبدو أن علاقة المأمون بالإمام الجواد ـ رغم الأساليب السرية الغامضة ـ كانت تتسم بالأناة والدعة حتى قال الأستاذ دونالدسن:

(إنه لم يتعرض أحدٌ خاصّة الإمام التقي –يعني الجواد– فلم يوقف أو يزعج طول مدة حكم المأمون)[3].

بينما ذهب الشيخ المفيد إلى أكثر من هذا، فاعتبر المأمون:

(لم يزل مكرماً لأبي جعفر(عليه السلام)، معظماً لقدره مدة حياته، يؤثره على ولده وجماعة من أهل بيته)[4].

ولكن العلاقة بين الإمام محمد الجواد(عليه السلام) وزوجته أم الفضل لم تكن على ما يرام، فقد اعتادت حياة باذخة مسرفة في ظل القصور

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٤.

(٢) ظ: الطبري/ تاريخ الإمام والملوك/ ٦٢٣/٨.

(٣) دونالدسن/ عقيدة الشيعة/ ٢٠٢.

(٤) المفيد/ الإرشاد/ ٣٣٣٦٤.

ومرافق السلطان، وإذ بها تحيا حياة جديدة من الورع والزهد والتقوى، فاختلف عليها المناخ النفسي والأسري، وبدأت تشكو لأبيها علاقتها بالإمام.

قال الشيخ المفيد قدس سره:

«وقد روى الناس أن أمّ الفضل كتبت إلى أبيها تشكو أبا جعفر عليه السلام وتقول: إنه يتسرى عليه ويُغيرني.

فكتب إليها المأمون: يا بنية إنّا لم نزوجك أبا جعفر لنحرم عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها»[1].

فامتنعت أم الفضل عن مخاطبة أبيها بشيء من أمر الإمام، ولم ترزق منه الذرية فتأصلت عقدتها النفسية، ولم يكن زواجها من الإمام خالصاً من الأوشاب ولم نجد علاقتها بريئة من الإمام، فأقدمت على سمه كما سترى.

ومهما يكن من أمر فقد رأيت حياة الإمام في حكم المأمون، وبقي الإمام وانتهت حياة المأمون بطرطوس إحدى أعمال الشام عن تسعة وأربعين عاماً وذلك في سنة ٢١٨هـ.



(١) المصدر السابق.

الإمام في عصر المعتصم

وبويع المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين[1].

وكان المعتصم متصفاً بالحماقة وشدة الغضب، حتى عرف عنه أنه: (إذا غضب لا يبالي من قتل وما فعل)[2].

ومع ذلك وصف بأنه كان ذا شجاعة... وبأس وشدة في قلبه)[3].

وكان أميًّا أو شبه أمّي، وكان له وزير عامي، وقد بليت بهما الأمة، ووصفهما أحمد بن عامر بقوله: (خليفة أميّ، ووزير عاميّ)[4].

وكان شديد الكراهية للعرب وعمد إلى الاستهانة بهم وأخرجهم من الديوان وأسقط أسماءهم منه، ومنعهم العطاء كما منعهم الولايات[5].

وفي قبال هذا كان مغرماً بحب الأتراك، متزلفاً لهم، بسبب من خؤولتهم به، فأمه ماردة تركية النسب، ونشأ محاكياً للأتراك في نزواتهم النفسية وطبائعهم الخلقية، وأطلق لهم العنان في الدولة وتصريف الشؤون، واستكثر منهم، وبعث في طلبهم من فرغانه وأشروسنة[6].

---

(١) ظ: ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ٥٠/١٢٠- ١٢١.

(٢) الطبري/ التاريخ/ ١٢١/٩ + المسعودي/ مروج الذهب/ ٤/ ٣ + السيوطي/ تاريخ الخلفاء/٢٢٢.

(٣) ظ: الطبري/ التاريخ/ ١٢١/٩ + المسعودي/ مروج الذهب / ٤/ ٣.

(٤) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام الجواد/ ٢٦٧ وانظر مصدره.

(٥) ظ: محمد كرد علي/ الإسلام والحضارة العربية/ ٢/ ٤٤٩.

(٦) ظ: المسعودي/ مروج الذهب/ ٤/ ٩.

ولما كان المعتصم جادّاً ومحموما في طلب الأتراك فقد تمّ له ذلك فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق الذهبية... وأبانهم بالزّي عن سائر جنوده... وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق، وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير، فعزم المعتصم على الفعلة منهم... فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع، فانتهى إلى موضع سامراء، فكان ذلك سبب بنائه سر من رأى، وتحوله إليها[1].

واستطال الأتراك في عهده وتناسلوا وقد بلغ عددهم سبعين ألفا، وحرص المعتصم على أن تبقى دماؤهم متميزة، فجلب لهم نساءً من جنسهم فزوجهم بهن، ومنعهم من الزواج بغيرهن[2].

وكان الأتراك قوة المعتصم الضاربة، فأسند بهم قيادة الجيش والعسكر وسلّطهم على مواقع الدولة صغيرها وكبيرها، وبذلك انسل العرب من مجال السياسة، وحرمهم من مظان السيادة وعزلهم من قيادة الجيوش.

ولو أردنا الحديث عن ممارساته وأولاعه الخارجة عن نطاق الدين والشريعة لوجدناه معاقراً للخمر وشارباً لها، وكان مشاركاً في مجالس الطرب والغناء طيلة حياته حتى الموت[3].

وأما من الناحية السياسية فلم يكن المعتصم العباسي سياسياً محنكاً ولا خبيراً بإدارة الدولة ولا جديراً بالهيمنة على الشؤون العامة للرعية،

---

(١) ظ: المسعودي/ مروج الذهب ٩/٤+ السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ٢٢٣.

(٢) ظ: الدكتور أحمد أمين/ ظهور الإسلام/ ١/٤- ٥.

(٣) ظ: الطبري/ التأريخ/ ١١/٩+ الأصبهاني/ الأغاني/ ١٣٣/١/ ٢١٠.

فعلى الرغم من الضغط الدموي والإرهاب السياسي في عصره فقد اهتز الحكم بعدّة ثورات هائلة زعزعت عرش الخلافة في بغداد وسامراء، فقد تناوبت في فترة حكمه التعسفي الطائش عدة تحركات ثورية كان أبرزها:

١- ثورة الطالقان بقيادة محمد بن القاسم العلوي.

٢- ثورة بابك الخرمي وما رافقها من القتل وسفك الدماء.

٣-ثورة الزطّ في البصرة ومشاكلها العديدة الرعناء.

٤- تحرّك الروم إلى زبطرة وسواها.

٥- ثورة المبرقع في فلسطين وما والاها.

فما كتب الاستقرار السياسي ولا نعمت الشعوب الإسلامية بالاطمئنان والسلام، ولا هدأت الحياة من الصخب والضجيج والهرج.

وقد مني الإمام الجواد(عليه السلام) بهذا الطاغية، وأخذ يتربص به الدوائر والفرص، وشعر الإمام بأن العباسيين بعامة والمعتصم بخاصة غير تاركيه حتى يقتل أو يُغتال أو يُسم، وتحقق تخوف الإمام(عليه السلام)، فقد أشخصه المعتصم إلى بغداد، فوردها لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين(١).

فقد أمر وزيره عبد الملك ابن الزيّات أن ينفذ إليه التقي وأم الفضل... فتجهز وخرج إلى بغداد، فأنفذ المعتصم أشناس بالتحف إليه والى أم الفضل(٢).

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٨ + ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٦٢+ ابن شهرآشوب/ المناقب/ ٣٧٩/٤ + ابن حجر / الصواعق/ ١٢٣ + القندوزي / ينابيع المودة/ ٣٦٥ + المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/ ٨٠.

(٢) ظ: المجلسي/ البحار/ ٨/٥٠.

والذي يبدو أن الإمام قد بدأ بالسفر إلى مكة حاجّاً، ومعه زوجته أم الفضل، ثم انصرف إلى بغداد من هناك[1].

وروي في عيون المعجزات، القول:

(لّما خرج أبو جعفر(عليه السلام) وزوجته ابنة المأمون حاجّاً، وخرج أبو الحسن علي ابنه(عليه السلام) وهو صغير، فخلفه في المدينة، وسلم إليه المواريث والسلاح ونصّ عليه بمشهد ثقاته وأصحابه)[2].

ومسألة السلاح وإعطاؤه لولده الإمام علي الهادي(عليه السلام) مشعرة بأن الإمام قد نعيت إليه نفسه، وأنه سوف لا يعود إلى المدينة، وأن هذا آخر العهد بولده الإمام الهادي(عليه السلام)، فسلّمه سلاحَ رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ونصّ على إمامته بمحضر الثقات والأصحاب.

والإمام الجواد يشير إلى هذا الأمر مصرحاً به إلى محمد بن فضيل الصيرفي، فيقول:

«عندي سلاح رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل، يدور معنا حيث درنا، وهو مع كل إمام»[3].

وما أن بلغ الإمام الجواد بغداد وشاع خبر قدومه حتى كان -كما هو منتظر- موضع اهتمام رجال الفقه والحديث ومطمح أنظار أهل الإيمان والدين، ومفزع طلاب العلم والمعرفة في أحكام القرآن ومسائل الشريعة[4].

---

(١) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٩٠.

(٢) المجلسي/ البحار/ ١٦/٥٠.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٣/٥٠/ وانظر مصدره.

(٤) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٥٠.

والتف علماء الأمة حول الإمام متحلّقين في غبطة واعتداد، فأفاض عليهم من نمير علمه الذي لا ينضب ما تحيرت به العقول، وجرت للإمام في ديوان المعتصم محاورات فقهية رضي بها قوم وسخط آخرون، ولم يرق هذا المناخ المعرفي للمعتصم وبني العباس وهم يشاهدون الإمام الشاب في مسيرة علمية هادرة ليس من جنس ما يحسنون، ولا من سنخ ما يعرفون، مسيرة تزخر بالعطاء التشريعي سنة وفقهاً وتفسيراً والناس تنثال عليه من كل جانب بين مناظر ومسائل ومحاور، وهو كالبحر اللجي الذي لا تدرك سواحله، ذلك ما أحنق عليه المعتصم، فشدد على الإمام، وفرض عليه رقابة صارمة، وربما منع عنه شيعته ومواليه حتى انتهى ذلك باغتياله.

والذي نريد الإشارة إليه في هذا الموضع أن الإمام عاش أيام حياته المتبرعمة بين متزعمَين ادعيّا المنصبَ الشرعي، وهما المأمون والمعتصم، وليسا أهلاً له في كل حال، فلو قارنّا بين مدخرات الإمام الموهبية، وشمائله الذاتية النقيّة، وبين تلك الأهواء الطائشة لذينك المتزعمَين الكاذبين لرأينا البون الشاسع بين حقيقتين مختلفين ووضعيتين متقابلتين تماماً.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

«وعندما تتضح لنا السمات المميزة لكلٍّ من المأمون والمعتصم، وما قيل فيهما من معاقرة الخمر والملاهي، والعبث بأموال المسلمين، والقتل عند الغضب بلا مبالاة، وما يقابل ذلك من سمات الإمام الجواد المميزة، وما ورد في علمه وعبادته وتقواه ومجموع صفاته المرتبطة بسمو ذاته- نكون قد انتهينا إلى نتيجة قطعية الحكم مسلمة الثبوت، يتجلّى فيها

الجواب الصريح المقنع على ما كنا نبحث عنه من خلال الأسئلة المتقدمة المعنية بتحديد المؤهل من بين هؤلاء المذكورين للولاية الدينية في ذلك اليوم، ممن اجتمعت فيه الشروط المطلوبة في المرشح لإمامة المسلمين، وسنكون جميعاً على اتفاق لا يدخله الريب بان الإمام الجواد هو الإنسان الجامع يومذاك لتلك الصفات والشروط، وإن الذين ادّعيا الإمامة في زمانه لم يكونا متطابقين مع تعاليم الإسلام في التصرف والعمل والسلوك، ولم يتمثل فيهما الحد الأدنى - بل ما هو أقل من الأدنى- من شروط الإمامة ومواصفاتها المجمع عليها: ديناً وفقهاً، وعلماً والتزاماً، وورعا، وفضائل أخلاق»[1].

وهذه المقارنة ضرورية من أجل الإسلام باعتباره النظام المقدس الصادر من السماء، ومن أجل المسلمين باعتبارهم الأمة التي رشّحت لحمل رسالة الإسلام فلا بدّ والحالة هذه من الفرز المضني لإقرار المؤهل لقيادة الإسلام والمسلمين، وهنا يبرز الإمام الجواد في سنّه المبكرة وشبابه الغض القائد الضرورة للأمة دون سواه، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فيا ساعد الله الإمام الجواد على ما كابد من تناقضات والآم ومفارقات، وهو يتجرع الغصص حينما يشاهد الانحراف عن طريق الإسلام، وهو يتحسس الألم حينما يتولى قيادة الأمة من يبرؤ من تصرفاته الإسلام.



(١) محمد حسين آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٣٦.

الإمام الجواد والقائم بالأمر

نتيجة للإفراز السابق نجد ردة فعل أولياء الإمام ردة غاضبة عنيفة، فهم يتوسمون به القائم المنتظر من شدة معاناتهم،ويأملون أن يكون الداعي إلى الله بالسيف، والمحقق لليوم الإلهي الموعود في تخليص البشرية من الظلم والعدوان، وذلك لما ثبت لديهم وتواتر عندهم من خبر المنقذ الأعظم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وذلك من ضروريات المذهب وثوابت التشيع، ولشدة اصطدامهم بمآسي الحياة ولولعة معاناتهم من استبداد الطغاة، كانوا يأملون أن يكون الإمام محمد الجواد(عليه السلام) ذلك المصلح العالمي الذي يتحقق على يديه تطبيق العدل الإلهي وإقامة الدولة العالمية الكبرى.

وهذا الهاجس الذي يجول في خواطر أوليائه المقربين كان نتيجة الاعتساف الفادح والطيش المرير، والاستهتار بالمقدسات، والتطاول على الشريعة ونبذ الكتاب وتحريف الكلم من قبل سلاطين الجور، وكان هذا الأمل يراودهم من أجل الإنقاذ من براثن الطواغيت، عسى أن يكون الفتح المرتقب على يد الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ولكن الإمام كان يقابل ذلك بهدوء، ويجيب عنه بحكمة وروية، ويحدثهم عن مهمة كل إمام في قيامه بالحق ونهوضه بالأمر دون ذلك الأمل المنشود، فالذي يريدون ليس هو على كل حال، بل هو ذلك المنظر الغائب الذي لا يقوم حتى تتهيأ له أسباب الثورة الكبرى، وتتحقق له شرائط التحرك الجهادي في

المناخ الذي يتلائم وطبيعة التغيير الشامل، من حيث التمحيص والتجربة والقوة والعدة والعدد.

فقد جاء عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، وهو من الثقات الأبرار، قال: قلت لمحمد بن علي (يعني الإمام الجواد) إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد(ﷺ) الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما!!

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

(يا أبا القاسم ما منا إلا وهو قائم بأمر الله عز وجل، وهادٍ إلى دين الله ولكن القائم الذي يطهّر الله عزّ وجلّ به الأرض من الكفر والجحود، ويملأها عدلا وقسطا: هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، هو سمي رسول الله(ﷺ) وكنيُّه، وهو تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب، ويجتمع إليه أصحابه عدة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره)[2].

والإمام هنا يحدد شخصية القائم عجل الله تعالى فرجه بمواصفاته الدقيقة من الغيبة والخفاء وطي الأرض، وكتمان الاسم، واجتماع العدة والعدد من أنصاره، فهو إذن غيره وسواه.

---

(١) سورة البقرة، ١٤٨.

(٢) الصدوق/ كمال الدين وتمام النعمة/٢/٤٩.

وتارة أخرى نجد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) يحدث علي بن جعفر الصادق، وهو عم أبيه، مشيراً إلى الإمام المنتظر بما حدّث به أبوه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قائلاً:

(يا عم ألم تسمع أبي وهو يقول:

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): بأبي ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة، يكون من ولده الشريد المولود بأبيه وجدّه، صاحب الغيبة، فيقال: مات أو هلك، أو بأي واد سلك. فقلت: صدقت جعلت فداك)[1].

وهنا ينطوي الحديث على بعد رمزي يعبر عن طول الغيبة وأمد الانتظار حتى يقال ما يقال في الموت أو الهلاك أو السبيل المجهول مع شدة الزمان والمحنة.

ويعاود السيد عبد العظيم الحسني حديثه في هذا المضمار فيقول:

دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى(عليه السلام)، وأنا أريد أن أسأله عن القائم هل هو المهدي أو غيره؟

فابتدأني قائلا:

(يا أبا القاسم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة، وخصنا بالإمامة، إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمه موسى، إذ ذهب يقتبس ناراً، فرجع وهو رسولٌ نبي.

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٧.

وأضاف الإمام الجواد قائلاً:

أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج)[1].

وهنا يشير الإمام(عليه السلام) إلى شيعته، ويصرّح عن طريقه هذا، بأن الحجة المنتظر هو الإمام(عليه السلام)، وهو الثالث من ولده فالأول منهم الإمام علي الهادي(عليه السلام)، والثاني هو الإمام الحسن العسكري، والثالث هو صاحب الأمر.

ثم أوضح الإمام الجواد(عليه السلام) فيما يروى عنه معالم الحقبة الزمنية التي تواجه القيام، وما يرافق ذلك من علائم ابتلائية في الخوف والفتن والابتلاء والحروب، وما يصيبهم من ظواهر طبيعية، وما يبدّ بهم من الوباء والحروب، وما يصيرون إليه من الاختلاف والتشتت في الدين، فيقول:

(لا يقوم القائم(عليه السلام) إلا على خوف شديد من الناس، وزلازل، وفتنة تصيب الناس، وطاعون، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد في الناس، وتشتت في دينهم، وتغير في حالهم)[2].

ومن ثمّ نجد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) يؤكد أن القائم من آل محمد من المحتوم الجاري به وعد الله عز وجل، وأن قيامه من الميعاد الذي لا يتخلف، والميعاد وليس مما يجري فيه البداء.

فقد أخرج النعماني بسنده إلى أبي هاشم الجعفري، قال:

(كنّا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام)، فجرى ذكر السفياني، وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم.

---

(١) الصدوق/ إكمال الدين وإتمام النعمة/ ٢/٤٨- ٤٩.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٣٥.

فقلت لأبي جعفر(عليه السلام): هل يبدو لله في المحتوم؟

قال: نعم، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم!!

فقال: إن القائم من الميعاد، والله لا يخالف (يُخلف) الميعاد)[1].

إن ما جرى بين يدي الإمام(عليه السلام) من انقداح ذهن أوليائه المقربين بأنه القائم من آل محمد بالأمر، لم يكن فكراً طارئاً، ولا أمراً اعتباطياً، وإنما استند فيه إلى حياة الإمام ومسلكيته الروحية، وما كان يتمتع به من شرائط الولاية الشرعية الحقة، وما اجتمع فيه من القابليات والملكات والمواهب، وكل أولئك قد يقود إلى هذا الاعتقاد وفي الأقل إلى هذا الاحتمال.

ولما كان هذا الاعتقاد بعيداً عن واقع الأمر، كان على الإمام الكشف عن الحقائق وإزالة الشُبَه التي قد تختلط بظلالها على الآخرين، فكان بذلك أمام مسؤوليته الشرعية وجها لوجه، فصدع بحقيقة الأمر، وأزال تلك التساؤلات عن معالم الطريق.



(١) النعماني/ الغيبة/ ١٤٢.

الفصل الثالث

الإمام الجواد (عليه السلام)... معجزة

١ـ الإمامة في سن الصبا.. ظاهرة إعجازية

٢ـ الإمام محمد الجواد (عليه السلام).. في خضم الاختبار العلمي

٣ـ استقراء الغيب المجهول.. لدى الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

٤ـ اضطراب النظام العباسي.. من الإمام المعجزة.

الإمامة في سن الصبا.. ظاهرة إعجازية

الإعجاز بمفهوم بديهي: عبارة عن خرق نواميس الكون وتغيير قوانين الطبيعة، وقلب للنظام الثابت في الموازين إلى نظام متحول. فالثابت هو الأصل الجاري على سنن الحياة العامة، والمتحول هو الحالة المغايرة لأنظمة المعادلات الكونية المتكافئة.

هناك إذن معلمان: معلم طبيعي بسيط، ومعلم خارق معقد، والمعلم الطبيعي هو الذي لا تجد عنه متحولاً لأنّه سنة الله عزّ وجلّ في الإبداع والتكوين، والمعلّم الخارق ماتجد فيه قلباً لتلك القواعد ومجابهة لمجريات الأحداث الرتيبة بأخرى إعجازية متطورة، فزوجية الكائنات هي الأصل في بعث حقائق الأشياء، والطريق إلى تسيير حياة الكائنات المرئية والمسموعة والمدركة والمتخيلة بدليل قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي هذا الضوء يكون الإيجاد الطبيعي للإنسان منسجماً مع نظام الزوجية العام في حالة اعتيادية جاءت نتيجة للتزاوج، ويكون الأصل التكويني للبشرية في خلق آدم(عليه السلام) من التراب دون الطريق الطبيعي في الاقتران والتناسل هو الحالة الفريدة، وهي الإعجاز، ويحمل عليها كلما

(١) سورة يس، ٣٦.

قابل العادة، ولم يخضع إلى التجربة الطبيعية كما في خلقِ عيسى(عليه السلام) من أم دون أب، بما مثّله القرآن بقوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] وتلك حالة إعجازية دون ريب[2].

وفي تقلد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) منصب الإمامة في سن الصبا نجد ملحظاً إعجازياً متحولاً إذ ليست الإمامة المبكرة حدثاً اعتيادياً لا يسترعي النظر والانتباه وليست أمراً عابراً لا يدعو إلى الدهشة والتساؤل، بل هي ظاهرة فريدة تمثل حالة متكررة في تاريخ أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وقد بدأت أبعاد هذه الظاهرة أولاً في الإعلان عن الإمام محمد الجواد فيما بين السابعة والثامنة من عمره إماما مفترض الطاعة لأتباع مذهب أهل البيت سنة ثلاث ومائتين لدى وفاة أبيه الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)[3].

وتكررت في الإعلان عن الإمام علي الهادي(عليه السلام) وهو فيما بين الثامنة والتاسعة من عمره إماماً عاشراً لائمة أهل البيت لدى وفاة أبيه الإمام محمد الجواد سنة عشرين ومائتين من الهجرة النبوية، وختمت بالإعلان عن صاحب الأمر عجل الله فرجه، وهو فيما بين الخامسة

---

(١) سورة آل عمران، ٥٩.

(٢) ظ: المؤلف، ملامح الإعجاز في القرآن العظيم (بحث) ضمن كتابه: نظرات معاصرة في القرآن الكريم، ١٠.

(٣) ظ: اليعقوبي/التأريخ/ ١٨/٣+ الطبري/ التأريخ/ ٥٦٨/٨ + الكليني/ الكافي/ ٤٨٦/١ + المسعودي/ مروج الذهب/ ٣٥٠/٣ + الصدوق/عيون أخبار الرضا/ ٢٩٨/١ + الطوسي / التهذيب/ ٨٣/٦.

والسادسة من عمره باعتباره الإمام الثاني عشر لأئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وذلك لدى وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية وبه تتم حلقات السلسلة الذهبية لمرجعية الأئمة الاثني عشر الذين أجمعت الروايات على استخلافهم الشرعي عند الإمامية وإن لم يقدر لأغلبهم ممارسة الحكم الإسلامي كما أراد الله تعالى ذلك لولاة الأمر ومن الأئمة الاثني عشر حصراً، فالإمام إمام سواء أتسلم الحكم أو لم يتسلم:

إن المفاجئات السياسية قد حالت دون تحقيق تسلم الأئمة لأزمة الأمور في إدارة الدولة الإسلامية، وحبكة المؤامرات الداخلية قد شكّلت محوراً تراجيدياً مبتكراً يقضي بالتسليم لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي الوقت نفسه يقضي بإبعاد آله وأبنائه وهم ذوو القربى بنص القرآن عن سدّة الحكم وشؤون الدولة وقيادة الأمة، وهو فرض متناقض من جهات كثيرة ليس هذا موقع بحثها، ولكنها حدثت فعزلت أئمة أهل البيت(عليهم السلام) عن ممارسة حقهم في قيادة الدولة الإسلامية.

والحق أن الولاية الإلهية الكبرى قد حُسمت في القرآن العظيم بما لا يقبل الجدل، فقد أجمعت الأمة أن قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ◆ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1] قد نزل في حق أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) لدى تصدقه بخاتمه الشريف، وإن ذهبوا بمفاهيم الولاية

(١) سورة المائدة، ٥٥- ٥٦.

وتفسيرها وتشتيتها وتبعيضها بما يخالف أصول لغة العرب في دلالتها الأولية وحتى الثانوية، ومع هذا فإنهم لا يستطيعون الفصل بن الآية وبين ما تحدثت به بلسان مبين عن الولاية باختصاصها النصّي: لله تعالى، ولرسوله، ولأمير المؤمنين حصراً.

ويتفرع على هذا المنطلق الثابت إطاعة لله والرسول وأولي الأمر على المسلمين دون غيرهم بقوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

والفطرة الإنسانية الخالصة عند المتمرس في أوليات لغة القرآن تأبى اللف والدوران في مخالفة ظاهر النص ودلالة اللفظ في هذه الآية الكريمة، فالطاعة لله أولاً، وللرسول ثانياً، ولأولي الأمر ثالثاً، وهي حلقة مترابطة الأجزاء تأبى الانفصال العضوي، ولا يمكن أن يدعو القرآن –وهو المنقذ الأكبر للبشرية– إلى إطاعة الظلمة وأولياء الجور وطواغيت الأمة، وأن يعطف هؤلاء على الله وعلى الرسول في الإطاعة، والله تعالى هو المشرع الأعظم، والرسول هو المبلغ الأمين، ولا يعطف عليهما إلا من التزم نهجهما وسار على طريق الهدى والإسلام حذو القذة بالقذة، والدليل الاستقرائي أثبت بما لا يقبل الشك أن هؤلاء هم أئمة أهل البيت(عليهم السلام) دون سواهم، إذ لامعنى أن يدعو القرآن إلى إطاعة العباسيين وقبلهم الأمويين ومن بعدهم العثمانيين وهم يعصون أمر الله، ويظلمون عباد

---

(١) سورة النساء، ٥٩.

الله، ويبتزّون الأمة مال الله، ويسفكون الدم الحرام، لهذا اشترط الإمامية العصمة للائمة(عليهم السلام)، في ضوء إعلان القرآن لذلك في نصّ صريح غير قابل للتأويل، وهو قوله تعالى:

﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] وقد جاء هذا نتيجة منطقية للولاية الإلهية الكبرى فالحصر بإنما في آية الولاية غير قابل للتجزئة أو الإضافة، والإطاعة لله وللرسول لأولي الأمر، جاء امتداداً لتطبيق مفهوم تلك الولاية على المصداق الذي لا يتعدد، وحصر آية التطهير هذه دليل إرادة العصمة والنقاء الخالص من الآثام والابتعاد عنها على الإطلاق، مما يستدل فيه على استبعاد الأمراء الفسقة والظلمة والمارقين عن ربقة التشريع بالذنوب والمعاصي، وبدلالة القرآن نفسه في تنزيه عهد الله بالإمامة أن لا ينال الظالمين قال تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

هذا الترابط المتشابك المذهل في موضوع الإمامة في القرآن يدحض تلك المحاولات البائسة التي تقول: إن الله ورسوله تركا المسلمين هملاً دون الرجوع إلى القائمين بأمر الله، المؤدّين لرسالته في الأصول والفروع والفروض والحقوق والواجبات وإدارة شؤون الشريعة الغرّاء، وإلا لزم إلغاء ثوابت الشرع المقدس في الرجوع لأولي الأمر في الطاعة، لأنهم

---

(١) سورة الأحزاب، ٣٣.

(٢) سورة البقرة، ١٢٤.

خلفاء الله في أرضه، لا الطغاة من الحكام الذي استولوا على السلطة بالقهر والإرهاب الدموي، وإذا كان الأمر كذلك، فقد أخذ الله في الإمامة ما أخذه في النبوة واحتج لها بما يحتج به للنبوة سواء بسواء، وقد قال الإمام محمد الجواد(ع) لعلي بن أسباط:

«ياعلي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة، قال تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾(2).

فقد يجوز أن يعطي الحكم صبياً ويجوز أن يعطي الإمامة وهو ابن أربعين سنة»(3).

وبعد الاستدلال على صحة الإمامة بصحة النبوة في الصبا، تسقط الخيارات في الافتراضات الباطلة جملة وتفصيلاً.

إن هذه الرواية التي برهن بها الإمام الجواد قرآنياً على صحة إمامته، ما كانت لتكون لولا ظاهرة تسنمه(ع) لمنصب الإمامة الشرعية في سن الصبا، والتي كانت مثاراً للدهشة والانبهار من أوليائه فضلا عن أعدائه، ويضاف إليهما السلطة القائمة المعبرة عن حيرتها كما سترى.

واستغل الخلفاء العباسيون المعاصرون للإمام محمد الجواد(ع) هذه الظاهرة، وجعلوا منها موضوعاً غضاً طرياً للسخرية حيناً،

---

(1) سورة مريم، 12.

(2) سورة الأحقاف، 15.

(3) المجلسي/ بحار الأنوار/ 50/20/ وانظر مصدره.

والاستهزاء حيناً آخر، وللتشهير المعاكس بينهما، باعتبارها مادة جديدة في قلب المعادلات النوعية، وتفجر ذلك ضد مبدأ أهل البيت في شرائط الإمامة الصعبة بكون الإمام:

أعلمُ الناس، وأفضلُ الناس، وأتقى الناس، وأورع الناس، وأشجعهم، وأسخاهم، وأتمّهم جمعاً للفضائل، وأقدرهم حَلا للمشكلات، وأبلغهم قولاً ومنطقاً وبياناً وأفقههم في الدين، وأعرفهم بمسائل الحلال والحرام..إلخ.

وأثاروا التساؤلات في وجه هذا الحدث الإنساني المدهش!!

فما قدر ما يحسن هذا الإمام الصبي؟ وهو في أول سن التعليم!!

هل يستطيع هذا الإمام الصبي إثبات الكفاية النادرة في المواهب؟ هل يتمتع هذا الصبي المعجزة بخصائص العلم اللدني وملكاته؟

أين دَرَسَ هذا الصبي؟ وأنى تعلم؟ وقد تركه أبوه الإمام الرضا(عليه السلام) في المدينة المنورة وهو بين الرابعة أو الخامسة؟

وما بال هؤلاء الشيوخ والعلماء والفقهاء وأهل الرأي – من الإمامية – وهم يقفون بين يدي هذا الصبي المحيّر بكل خضوع وتبجيل واحترام؟؟

هل بإمكان الصدفة والفرض الطارئ أن يخلقا من هذا الصبي إماما مفترض الطاعة، وكيف؟

إذن والحالة هذه فبالإمكان تسفيه نظرية أهل البيت في الإمامة، ما دام الإمام الجديد في السابعة من العمر، أو قد تجاوز ذلك بشهور معدودة وأيام.

وجندت الطاقات لإبطال هذا الفرض المستحيل في تخيلهم، وبدا لهم أن مؤشرات الإسقاط لائحة فيما يخططون له من مؤامرات!! وأزمة الطفولة هذه قد تعبر عن نجاح أي مشروع مضاد، وحشدوا لذلك سيلا من الأسئلة والاختبارات الوجاهية -كما سترى في موقعه من البحث-وقد ردّت جميعها من قبل الإمام بجدارة لا مثيل لها في تأريخ الإسلام.

ولقد كلف هذا التحدي الخلافة العباسية ثمناً باهضاً هو الإقرار والاعتراف بإمامة محمد الجواد(عليه السلام) على صغر سنه ومن هنا كان الخطر محدقاً بها، إذ لم تستطع البرهنة ولو جزئيا على بطلان ظاهرة الإمامة المبكّرة، أو زحزحتها من الأرض الصلبة التي ترسو عليها، مما أوقعها في حرج تام وفشل ذريع نظراً للتفاعل التام الذي خلفته هذه الظاهرة في المناخ الإسلامي العام، وهو يصحو من رقدته على أنباء فتح جديد لمذهب أهل البيت لم يكن في الحسبان، مما جعله يمتلك القاعدة الجماهيرية في أغلبية ساحقة، بعد أن وَضَّحَ للعيان أن الإمام محمد الجواد كان بحيث ينبغي أن يكون موقع الإمام في الذروة في فصل الخطاب وقصب السبق في المحافل العلمية حتى لم يكن ليجارى في حلبته، ولا ليمارى في مواهبه وخصائصه، ومن هنا كانت ظاهرة الصبا في الإمامة، أو ظاهرة الإمامة في الصبا عاملاً قوياً في إنعاش مبدأ أهل البيت، وعنصراً مؤثرا في ترسيخ أصوله الثابتة، بينما كان المفروض عكسياً لو كان الأمر طبيعياً، ولكنه الإعجاز الأمامي الذي استبق مقاييس الكون في خرقه للمنطق البشري الاعتيادي.

يقول الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره:

«إن ظاهرة الإمامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية، ولم تكن وهماً من الأوهام، لأن الإمام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماما روحياً وفكرياً للمسلمين، ويدين له بالولاء والإمامة كل ذلك التيار الواسع، لا بد أن يكون على قدر واضح وملحوظ، بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الأفق، والتمكن من الفقه والتفسير والعقائد، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع بتلك القواعد الشعبية بإمامته..

وإذا افترضنا أن القواعد الشعبية لإمامة أهل البيت لم يُتح لها أن تكتشف واقع الأمر، فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها؟

وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الإمام الصبي صبياً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان!!

وما كان أنجحة من أسلوب أنْ تقدم هذا الصبي إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته، وتبرهن على عدم كفاءته للإمامة والزعامة الروحية والفكرية فلئن كان من الصعب الإقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد أحاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلم الإمامة، فليس هناك صعوبة في الإقناع بعدم ثقافة صبي اعتيادي – مهما كان ذكياً وفطناً– للإمامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الإماميون، وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقّدة وأساليب القمع المجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذ.

إنّ التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة هو أنها أدركت ان الإمامة المبكرة ظاهرة حقيقية، وليست شيئاً مصطنعاً»[1].

ولم تكن الإمامة في هذا السن ظاهرة حقيقية فحسب، بل عادت بعد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) ظاهرة تاريخية امتدت قرابة أربعين عاما، إذ شاركه فيها ولده الأمام علي الهادي(عليه السلام)، فأسندت إليه الإمامة في سن الثامنة من العمر، وشاركه في ذلك أيضاً حفيده الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فأسندت إليه الإمامة وهو في سن الخامسة من العمر، مما شكّل بُعداً واقعياً وتاريخياً في وقت واحد، وليس ذلك جديداً على الساحة الإلهية بل شأنه شأن الرسالات السماوية في الأنبياء والمرسلين في سن مبكرة.



(١) محمد باقر الصدر/ بحث حول المهدي/ ٩٧- ٩٨.

الإمام محمد الجواد في خضم الاختبار العلمي

وكان من إفرازات هذه الظاهرة الصادقة في واقعها وأطروحتها الفريدة، أن تعرّض الإمام محمد الجواد(عليه السلام) وهو في أول الصبا لاختبارات كثيرة من قبل الأولياء والأعداء، كما تعرّض لامتحان الباحثين عن الحقيقة مجردةً، ويضاف إلى هذا كله حيرة السلطة العباسية واستغرابها في أمره والكل- إلا النادر من الرساليين- بين مشكك ومضطرب، والناس من خلال هذا وذاك بين مصدّق ومكذّب بمؤهلات هذا الصبي للإمامة الشرعية، حتى قام الدليل على صحة الدعوة بعد إثبات الإمام نتيجة الاختبارات المكثفة أنه: أعلم الأحياء في التشريع، وأبلغ الناطقين بالقرآن، وأجمع الناس بأشتات المسائل، وأفقه الأمة بفروع الدين وأقدر البشر على استنباط الأحكام وأصدق العالمين لهجة ولسانا وأكثرهم إحاطة بشؤون الدنيا والدين بلا استثناء.

ولم تأت هذه النتيجة اعتباطاً أو ارتجالا وإنما جاءت بعد اختبار إثر اختبار، وسؤال بعد سؤال، واستيعاب لما أفاد به الإمام، ودراسة شاملة في المحاورة والمناظرة والاستقصاء لمعارف الإمام التي أذهلت كل الفرقاء المتطلعين إلى النتائج سواء أكانت ايجابية أم سلبية أم بين السلب والإيجاب.

فهنالك فريق من الأولياء جدّوا في طلب الخلف الصالح للإمامة بعد وفاة الإمام الرضا(عليه السلام)، فتيقّنوا بما لا يقبل الشك بعد التجربة الإمتحانية، أن الإمام محمد الجواد(عليه السلام) هو الإمام المفترض الطاعة.

وهنالك فريق من أعداء أهل البيت جدّوا من خلال أزمة العمر فيما يزعمون في البحث عن المبررات التي يوقعون بها الإمامية في التشكيك بصلاحية هذا الصبي لمنصب الإمامة.

وهنالك البلاط العباسي المتربص لتغذية حملة التشكيك بإمامة هذا الصبي المعجزة بشتى الأساليب والطرق التي تتوافر لدى القصر وأعوانه ووعاظ سلاطينه.

وبعد إقناع الفريق الأول تجربة ودراية ونصوصاً صُك الفريقان الآخران بفارس الحلبة وجواد السبق، حينما طرحت المسائل الكبرى على الإمام، فانجلى في إجاباته الدقيقة أغرّ الجبين، طلق المحيا، فخضع حينذاك رجال الفتيا وأصحاب السلطان وفقهاء البلاط إذعاناً بعظيم تفوق الإمام الفقهي، وإقراراً بأعلميته المطلقة، بعد أن بزّهم بتيار معارفه المتدفق، وزفيع استدراكه المتميز، وجميل استدراجه الإقناعي، وفيض مخزونه الثقافي الذي لا ينضب.

وكان الإمام محمد الجواد، وقد علم سرائر القوم واستلهم مخطط العابثين وتطلّع في الأفق البعيد إلى تلك المحاولات اليائسة، أول من خرق تلك الحجب والأستار - بادئ ذي بدئ- ولدى موت أبيه مباشرة، فقد جاء إلى مسجد رسول الله(ﷺ)، صعد منبر رسول الله، ورقا منه درجة، وقال فيما يروى عنه:

«أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه، علمٌ منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين وبعد فناء السماوات والأرضين.

ولولا تظاهر أهل الباطل ودولة أهل الضلال ووثوب أهل الشك، لقلت قولا تعجّب منه الأولون والآخرون، ثم وضع يده الشريفة على فيه، وقال: يا محمد أصمت كما صمت آباؤك من قبل»[1].

وهذه اللغة العاصفة أوضحت بإصرار ووثوق: منزلة الإمام العلمية من جهة، وخصائصه المميزة من جهة أخرى، وما وهب هو والأئمة(عليهم السلام) من منح ليست من جنس ما يحسن الناس، ولا من وصف ما يعرفون، بما فيها من إدراك الحقائق المغيبة، ورصد الظواهر الخفيّة، وعلم السرائر في بواطنها، وقد أنحى - بعد ذلك- بالأئمة على أهل الباطل في تألّبهم ضد مسيرة أهل البيت الرسالية، وتمرّد دولة الضلال والريب والشك عليهم، مما دعا أهل الحق إلى السكوت، وإلى صمته تلقائيا تحت هذا الضغط كما صمت آباؤه من ذي قبل.

والأمر الجدير بالتنبيه إشارته المعبرة أنه ابن الإمام الرضا وسليل هذه العترة فهو -إذن- امتداد لهم، وهو الناطق باسمهم، وهو القائم مقامهم في الإمامة.

ولعلّ سبط ابن الجوزي من أبرع من أدرك هذه الخصيصة، واعتبر الإمام محمد الجواد امتداداً لمدرسة أبيه الإمام الرضا. والرضا امتداد لمدرسة آبائه وجدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فهم يصدرون عن مورد واحد. قال عن الإمام الجواد فأوجز:

«كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود»[2].

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/١٠٨.

(٢) سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٨٦.

وليس جديداً أن يفوق الإمام محمد الجواد(عليه السلام) أبناء عصره في هذه المظاهر الأربعة التي حددها سبط ابن الجوزي فقد كان اشتهاره بالعلم مثار إعجاب الدنيا وحديث المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حتى اعتبر دون مغالاة: الإمام المعجزة، وذلك لكثرة ما ورد عليه من السؤال ودقّة ما أجاب عليه من مسائل، بالنسبة لصغر سنه وحداثته فكان إجماعا كونه أعلم الأمة.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

«وأما كونه أعلم الناس بالشريعة، وأفقههم بأحكام الدين في عصره، فهو الذي أدركه ذلك "الخلق الكثير" الذي قدم من سائر البلدان إلى المدينة المنوّرة بعد وفاة الإمام الرضا(عليه السلام) سائلين وباحثين عن الخلف القائم مقامه، فعلموا أنه ابنه محمد الجود(عليه السلام)، فدخلوا عليه مسلّمين معزّين، ووجهوا إليه أسئلتهم واستفساراتهم، وربما كان فيها ما هو امتحاني، يريدون به اختبار إمامته وكفايته، فأجابهم على ذلك كله، بما أوضح لهم جلية الأمر، وحملهم على التصديق والإذعان به بقناعة واطمئنان»[1].

وقد روى علي بن إبراهيم عن أبيه قال:

«لّما مات أبو الحسن الرضا(عليه السلام) حججنا فدخلنا على أبي جعفر(عليه السلام)، وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد لينظروا إلى أبي جعفر(عليه السلام)،... وخرج أبو جعفر(عليه السلام) من الحجرة...وقعد على كرسي، ونظر الناس بعضهم إلى بعض تحيّرا لصغر سنه..

فقالوا: يا سيدنا أتأذن لنا أن نسألك؟

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/٣١.

فقال: نعم، فسألوه عن ثلاثين ألف مسألة فأجابهم فيها وله تسع سنين»[1].

ولك أن تتساءل عن مصير أجوبة هذه المسائل المتطاولة، والتي تعدت حدود التصوّر في رقمها الكبير، ولعل تفاصيلها قد جرت في أماكن متعددة وأزمان متفاوتة في تناوب الشيعة على الالتقاء بالإمام لاستقصاء حاله وحقيقته، ولّما كان التأريخ قد ضنّ على أهل البيت(عليهم السلام)، بتسجيل وقائعهم فقد غمر أكثرها متلاشياً بين الضياع وعدم التدوين.

وكانت مفاجأة العمر الصغير تدعو إلى البحث والنظر عند الأكثرين ،إلا أنّ الإمام الرضا(عليه السلام)، قد سبق إلى بيان ذلك والاستدلال عليه فقد قال له صفوان بن يحيى: «إن كان كونٌ فإلى من؟ فأشار الإمام إلى أبي جعفر(عليه السلام) وهو قائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك وهو ابن ثلاث سنين، فقال الإمام الرضا: وما يضرّه من ذلك؟

وقد قام عيسى بالحجة، وهو ابن أقل من ثلاث سنين»[2].

وكان جرّاء هذا الملحظ من العمر أن توافد الناس من الأقطار لمعرفة هذا الأمر الجديد، وفوجئوا بالأمر الواقع - بعد الاختبار- فأذعنوا خاضعين خاشعين لدى قيام الحجة عليهم.

وقد أورد صاحب المناقب طائفة من أعيان الشيعة بأسمائهم ممن وردوا المدينة المنورة بعد وفاة الإمام الرضا لاستطلاع جلية الأمر في الإمام بعده، فكان الإمام محمد الجواد ضالتهم فسلّموا[3].

---

(١) - المفيد/ الاختصاص/١٠٢ +المجلسي/البحار/٥٠/٨٥- ٨٦.
(٢) الكليني / الكافي/ ١/٣٢١+ المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٧+ المجلسي/ البحار/ ٥٠/ ٢١.
(٣) ظ: ابن شهرآشوب/ المناقب/ ٣/٤٨٩.

والدلالة البارزة في هذا التجمّع يمثل ظاهرة استقرائية في التحرّي والاستقصاء والبحث عن الإمام القائم بالأمر، إذ يتوارد هذا الخلق الكثير وهو يؤم المدينة متسائلين عن الخلف بعد السلف، وأعناقهم مشرئبة لمطالعة الإمام.

ولا أدلّ على ذلك مما أورده المجلسي عن عيون المعجزات:

«لمّا قبض الرضا(عليه السلام)، كان سن أبي جعفر(عليه السلام) نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة من الناس ببغداد وفي الأمصار، واجتمع الريّان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعةٌ من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من المصيبة فقال لهم يونس بن عبد الرحمن، دعوا البكاء! من لهذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر(عليه السلام). فقام إليه الريان بن الصلت ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك والشرك، إن كان أمره من الله جل وعلا فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحد من الناس، وهذا مما ينبغي أن يفكر فيه، فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه.

وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلا فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر(عليه السلام)، فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق(عليه السلام)، لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبيرة ففُتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر!!

فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه فدخل صلوات الله عليه، وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين، وفي رجليه نعلان، وجلس وأمسك الناس كلهم فقام صاحب مسألة فسأله عن مسائله، فأجاب عنها بالحق ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه»[1]..

وكان عمّه عبد الله بن موسى قد سُئل عن أشياء فأجاب عنها بغير الواجب، فورد عليهم ما حيّرهم وغمّهم واضطربت الفقهاء والعلماء وقاموا وهمّوا بالانصراف فأنقذهم الله بإجابة مسائلهم من قبل الإمام[2].

ولم يكن الإمام منغلقاً على نفسه بل كان منفتحاً رحيب الصدر على قومه وشيعته وأمته وقد اتسع علمه وحلمه لمئات الأسئلة المحرجة لغيره، واليسيرة عليه، حتى تعدى السؤال دائرة الإنصاف إلى الإعنات، وكان الإمام يقابل ذلك بحكمة وأناة، ولم يكن الإمام لينفي عن ذاته المقدسة معرفة أصول العلوم وجذور المعارف بشتى الاختصاصات، حتى شاع أمر ذلك بين الناس، وطار صيته في البلدان.

فهذا عمر بن فرج الرخجي، وهو من أعداء أهل البيت ومن المتجاهرين بالنصب لهم، حتى قال أبو الفرج الأصبهاني:

«استعمل المتوكل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ لهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشيء –وإن قلّ– إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرما.

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/٩٩- ١٠٠.

(٢) المصدر السابق.

حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين به واحدة بعد واحدة، ثم يرقّعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر»[1].

أراد عمر هذا إحراج الإمام تعنتاً لا استفهاما وإيضاحا وذلك في سؤال إنكاري أواستغرابي وجّهه للإمام محمد الجواد(عليه السلام)، فألقمه الإمام في ردّه حجرا، فبهت ولم ينبس ببنت شفة.

تقول عمر هذا: قلت لأبي جعفر: إن شيعتك تدّعي أنك تعلم كلّ ماء من دجلة ووزنه؟!!

وفي رواية (إنك تعلم مثاقيل وزن ماء دجلة).

وكنا على شاطي دجلة (أيام المعتصم).

فقال الإمام محمد الجواد لي: يقدر الله تعالى أن يفوّض علمَ ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟

قال عمر بن فرج: قلت نعم يقدر.

فقال(عليه السلام): أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه»[2].

فالإمام(عليه السلام)، لم ينف عن نفسه العلم بمعرفة أوزان مثاقيل ماء دجلة وهو لا تحدّه حدود الأرقام، وإنما استدل على معرفته بذلك بشكل قطعي باللازم والدليل، وذلك باستقرائه بأن الله يستطيع أن يفوّض أمر ذلك إلى بعوضة ما، ولما كان الإمام أكرم على الله من بعوضة وأكثر خلقه فهو يستطيع علم ذلك.

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني/ مقاتل الطالبيين/ ٣٩٦.

(٢) المجلسين بحار الأنوار/ ٥٠/١٠٠- ١٠١/ وانظر مصدره.

لقد تقبل عمر بن الفرج هذا الإفلاج مضطرا إليه، لأنه لا يستطيع دفعه بشيء إطلاقا، ومع هذا فقد استمر على نصبه وعدائه وعناده للإمام، كما تصوره لنا الرواية عن سيدنا ومولانا علي الهادي ولده، فقد أورد الكليني بسنده عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن محمد بن سنان، قال:دخلت على أبي الحسن -يعني الإمام علي الهادي(عليه السلام)- فقال: يا محمد حدث بآل فرج حدث؟ فقلت مات عمر فقال: الحمد لله - حتى أحصيت له أربعا وعشرين مرة- فقلت: يا سيدي لو علمت أن هذا يسرك لجئت حافياً أعدو إليك!!

قال: يا محمد أو تدري ما قال لعنه الله، لمحمد بن علي أبي؟

قال: قلت: لا.

قال(عليه السلام): خاطبه في شيء، فقال: أظنك سكران!!

فقال أبي: «اللهم إن كنت تعلم أني أمسيت لك صائماً، فأذقه الحرب وذلّ الأسر».

«فوالله ما كان أن ذهبت الأيام حتى حرب ما له، وما كان له، ثم أخذ أسيراً وهو ذا قد مات -لا رحمه الله- وقد أدال الله عزّ وجلّ منه، وما زال يديل أولياءه من أعدائِه»[1].

قال المسعودي: «في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، سخط المتوكل على عمر بن الفرج الرخجي، وكان من علية الكتاب، وأخذ منه مالا

---

(١) الكليني / الكافي/ ١/ ٤٩٦.

وجواهر مائة ألف وعشرين ألف دينار، وأخذ من أخيه نحو مائة ألف دينار، وخمسين ألف دينار، ثم صالح عمر على أحد عشر ألف درهماً على أن يرد عليه ضياعه.

ثم غضب مرة ثانية ثم أمر أن يصفع في كل يوم، فأحصي ما صفع فكان ستة آلاف صفعة، وألبس جبة صوف، ثم رضي عنه، ثم سخط عليه ثالثة وأحدر إلى بغداد وأقام بها حتى مات»[1].

فاستجيب دعاء الإمام محمد الجواد فيه، فحرب في ماله، وأذل في أسره وضرب ضرباً مبرحاً، حتى مات.

ويبدو مما تقدم أن جميع المحاولات التي قادها النظام العباسي في مجال الاختبار للإمام، قد أعطت نتائج مضادة للنظام وفقهاء القصر العباسي، كما أعطت الدلائل الايجابية لأتباع الإمام وأوليائه، فقد فاق التصور في إمداداته العلمية وأفحم الخصوم في معارفه الموسوعية، وجلّى في الميدان الفكري بما عجز ذوو السن وشيوخ المدارس العلمية والكلامية، بل وأضاف الإمام إلى ذلك استقراء الغيب المجهول كما سترى وستسمع.!!



(١) ظ: المجلسي/ التجار/ ٥٠/ ٢٢١/ وانظر الهامش مصدره.

استقراء الغيب المجهول
لدى الإمام محمد الجواد(عليه السلام)

هنالك حديث شريف متواتر عن النبي(صلى الله عليه وآله)، وهو قوله:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها.. فمن أراد العلم فليأت الباب».

هذا الحديث الشريف يروي عن مائة وثلاثة وأربعين مصدراً من مصادر أهل السنة.

وقد صححه اثنان وعشرون إماما من أئمة الحديث من علماء الجمهور فضلا عن إجماع الإمامية عليه[1].

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فعلم أمير المؤمنين(عليه السلام) مصدره صاحب الرسالة الغرّاء محمد(صلى الله عليه وآله)، ومصدر صاحب الرسالة الوحي عن السماء، وإذا روى الجمهور في أحاديثه الصحيحة على شرط الشيخين مسلم والبخاري عن عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم، وسواهم من شيوخ الصحابة أن النبي(صلى الله عليه وآله) قام خطيبا (فلم يدع شيئاً ويكون إلى قيام الساعة إلا أخبرهم به) أو أنه (حدّثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة)[2].

(١) ظ: الترمذي/الصحيح/ ٣٠١/٥ + الذهبي/ ميزان الاعتدال/ ٤١٥/١ + الحمويني/ فرائد السمطين/ ٩٨/١+ أبو نعيم/ حلية الأولياء ٦٣/١ + الأميني/ الغدير في الكتاب والسنة والأدب/ ٦١/١- ٧٧.

(٢) ظ: البخاري/ الجامع الصحيح/ ١٢٩/٤+أبا داوود/ السنن ٤١٠/٢+ الترمذي / الصحيح ٤٨٣/٤ + أحمد بن حنبل / المسند ٢٥٤/٤، ٣٨٥/٥، ٣٨٩، ٤٠١ وسواها من صحاح الجمهور.

فهل ترى إن علياً(ع) كان يغفل عن ضبط ووعي وحفظ بل وتدوين ذلك، وهو صنو النبي وعيبة علمه وكان يلازمه ملازمة الظل للشاخص؟؟

الحق أن علياً من خلال مسؤوليته الرسالية وموقعه القريب من النبي(ص) كان معنياً بتسجيل ما يدور في هذا المحور بل ويدوّن ذلك أولا بأول كما سترى، فقد روي عن الإمام الصادق(ع):

«إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتابا بإملاء رسول الله(ص) وخطّ علي(ع)، صحيفة فيها كل حلال وحرام، وإنكم لتأتون بالأمر فنعرف إذا أخذتم به، ونعرف إذا تركتموه»[1].

وكان أمير المؤمنين علي(ع) يجمع «علم ما يحتاج الناس إليه من الحلال والحرام حتى إرش الخدش»[2].

والإمام جعفر الصادق(ع) يؤكد في هذا الخصوص علم أمير المؤمنين يضاف إليه إفادة الأئمة من بعده هذا العلم ا لمتوارث يقول الإمام(ع): «إنّ علياً كان عالماً، والعلم يتوارث، ولن يهلك عالمٌ إلا بقي من بعده من يعلم علمه، أو ما شاء الله»[3].

ويؤكد هذا ما رواه الحاج خليفة عن الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ) بقوله:

---

(١) الكيني / الكافي/ ١/ ٢٤٢.

(٢) الكليني / الكافي/ ١/ ٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤١+ المفيد/ الإرشاد/ ٢٩٢.

(٣) الكيني / الكافي/ ١/ ٢٢١.

«إنّ الأئمة من أولاد علي كانوا يعرفون (الجفر) رواية عن جدهم أمير المؤمنين(عليه السلام)، ويخبرون عما جاء فيه من (أبناء الغيب) وأحكام الدين وهم يتوارثون ذلك كله»[1].

وأنباء الغيب هذه تعلم من ذي علم، وقد كان الإمام علي أمير المؤمنين دقيقاً في الردّ على من نسب إليه علم الغيب أصالة، فقال:

«ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلّم من ذي علم وإنما علم الغيب:علم الساعة وما عدده الله بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

وما سوى ذلك، فعلم علّمه الله نبيّه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي»[3].

فما تحدّث عنه الإمام علي(عليه السلام) من أبناء الغيب، وكذلك الأئمة المعصومون من بعده ليس من علم الغيب اختصاصاً، ولكنه من علم الغيب إفاضة، وشتان بين الاختصاص والإفاضة، فعلم الغيب بحد ذاته مما يختص به الله وحده فهو كصفة ذاتية لله عز وجل، وغيره يعد حالة استثنائية ممكنة، يخصّ بها الله من يشاء من عباده.

وعلم الغيب بالملحظ الأول عبارة عن رصد حقائق الأشياء في الغيب المجهول تلقائياً، والتحدث عنها بلغة قاطعة فوق المنظور

(١) حاجي خليفة/ كشف الظنون/ ١/ ٥٩١.
(٢) سورة لقمان، ٣٤.
(٣) محمد عبده/ شرح نهج البلاغة للإمام علي/ ٢٣٩.

الاعتيادي، باعتبارها واقعة حقيقية دون شك، وهذا ما يختص به الله وحده ولكنّ الله عزّ وجلّ قد أخبر نبيه بجزء من علم الغيب فيما مضى ومستقبلياً، كما ورد ذلك في القرآن العظيم وأخبر بها الناس كالحديث عن خلق آدم، وسجود الملائكة له إلا إبليس، وقتل قابيل هابيل، وقصة نوح والطوفان، وحديث إبراهيم وقومه وإلقائه في النار، والأصنام، والكواكب، والهجرة، وبناء البيت، وضيف إبراهيم المكرمين، ونبأ عاد وثمود، وأهل الكهف، وذوي القرنين، وقصص موسى وفرعون، وحياة عيسى ويحيى وسليمان وداود وأيوب ويعقوب ويوسف والأنبياء الآخرين ممن سلفوا، وتحدّث عنهم القرآن غيبياً.

يضاف إلى هذا كله، حديث القرآن عن غلبة الروم وَغَلَبِها، وعن فتح مكة، وعن انهزام الجمع، وعن انتصار المسلمين، كل ذلك في زمن مستقبلي، وحدث ذلك كلّه.

وكما كان هذا أمراً واقعاً كان غيره أمراً ممكناً، فالله وحده قد خصّ الأنبياء والنبي محمداً بالذات، بإيحاء كثير من علم الغيب، ولا استحالة عقلية من أن يكون النبي (ﷺ) قد أفاض بذلك -جزءا أو كلا- على أمير المؤمنين(عليه السلام)، وأمير المؤمنين قد أفاض ذلك على المعصوم من ولده وهكذا...

وإذ أمكن ذلك شرعاً وعقلاً، فلا مانع من تحققه فعلا واستقراء[1].

والدليل على ما تقدم من القول قوله عزّ وجل:

---

(١) ظ: المؤلف/ الإمام جعفر الصادق/ زعيم مدرسة أهل البيت/ ٢٤٦- ٢٤٧.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ◆ إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1].

والمعنى في الآية الأولى: إن الله وحده هو عالم كلّ غيب يختص به، فلا يطّلع على الغيب –وهو مختص به –أحد من الناس.

والمفاد في هذا هو السلب الكلي، أي لا يظهر على غيبه أحداً.

وفي الآية الثانية في قوله ﴿إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ استثناء من قوله (أَحَدًا) في الآية الأولى.

و (مِنْ رَسُولٍ) بيان لقوله (مَنْ ارْتَضَى).

فيفيد أنّ الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من الغيب المختص به[2].

فهو جلّ جلاله يتعالى بعلم الغيب بذاته أصالة، وهو إذا شاء يعلم غيره تبعا.

وإذا سلمنا بهذا، فلا مانع أن يفيض الله من هذا الغيب على النبي محمد(ﷺ) والنبي يفيض على الإمام(عليه السلام) ، لإكمال متطلبات الرسالة، بدليل قوله: ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

وهذا العلم عند أئمتنا(عليهم السلام)، تعلّم خاصّ من ذي علم، للغاية التي بعث الله بها الأنبياء، باعتبار الإمامة امتداداً حتمياً للنبوة.

---

(١) سورة الجن، ٢٦- ٢٧.

(٢) ظ: الطباطبائي/ تفسير الميزان/ ٢٠/ ٥٣ بتصرف.

(٣) سورة السجدة، ٢٤.

وهذا ما جعل الأسئلة تتوالى على الأئمة المعصومين، لشيوع هذه الظاهرة في أحاديثهم، فكانت الإجابات متقاربة يتمم بعضها بعضاً في ضوء مابيّناه سلفا.

فعن عمار الساباطي، قال: «سألت أبا عبد الله(عليه السلام)، عن الإمام: يعلم الغيب؟ قال: لا، لكن إذا أراد ان يعلم الشيء أعلمه الله ذلك»[1].

وهنا نقطة جديرة باللحاظ: إنَّ الإمام نفى عنهم علم الغيب ذاتياً، ولم ينفه عنهم عرضيا، وأثبته للإمام إذا اقتضت الضرورة الدينية، وينبغي الإلتفات ذهنياً إلى ما رواه مُعَمَّر بن خُلاد، قال: سأل أبا الحسن(عليه السلام) رجلٌ من فارس فقال له:

أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر(عليه السلام) يعني الإمام الباقر: «يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنا فلا نعلم».

وقال: «سرّ الله عزّ وجلّ أسرّه إلى جبرئيل، وأسرّه جبرئيل إلى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأسرّه محمد إلى من شاء»[2].

وقد استنكر الأئمة(عليهم السلام) إضافة علم الغيب إليهم ذاتياً حتى يكون هناك غلو وإفراط في التقدير، ولئلا يفسح المجال لقول ما يخرجهم عن كونهم عباداً لله مكرمين.

فعن الإمام الصادق(عليه السلام): أنه خرج إلى مجلسه يوماً، وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال:

---

(١) الكليني/ الكافي / ١/ ٢٥٣.

(٢) الكليني/ الكافي/ ١/ ٢٥٦.

«يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عزّ وجل، لقد هممت أن أضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي!!»[1].

وهذا التقرير يوحي صراحة أن علم الغيب خاصّةٌ إلهية لا يشاركه فيها أحد، ما في ذلك من شك، ولكنه تعالى قد يفيض من هذا الرافد على نبيه الصادق الأمين، ويفيض رسوله على أهل بيته، ويتحدّث أهل بيته عن الأحداث المستقبلية، وعما سيكون بلغة الحتم والجزم.

وقد يقتضي الإنباء بشيء من هذا العلم كشفَ الشبَهِ، ودفع الظنون، وإحراج الخصم، وإقامة الحجة، بما تترتب عليه مصلحة دينية عُليا، فقد ورد في عدة مصادر:

إن أبا يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني زارا الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) في السجن وقال أحدهما للآخر: نحن على أحد أمرين؟ أما أن نساويه أو نشكله!! فجلسا بين يديه، فجاء رجل كان موكلا بالإمام من قبل السندي فقال:

إنّ نوبتي قد انقضت، وأنا علي الانصراف، فإن كان لك حاجة أمرتني حتى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة، فقال الإمام(عليه السلام): مالي حاجة.

فلما خرج، قال الإمام لأبي يوسف وصاحبه: ما أعجب هذا؟ يسألني أن أكلفه حاجة من حوائجي ليرجع، وهو ميت في هذه الليلة!!

(١) المصدر نفسه/ ١/ ٢٥٦.

فقاما، وقال أحدهما للآخر إنا جئنا نسأله عن الفرض والسنة، وهو الآن جاء بشيء كأنه من علم الغيب!!

ثم بعثا برجل مع الرجل فقالا: اذهب حتى تلزمه، وتنظر في أمره هذه الليلة...فمضي الرجل فنام في مسجد في باب داره فلما أصبح سمع الناعية ورأى الناس يدخلون داره!! فقال: ما هذا؟

قالوا: مات فلان في هذه الليلة...فانصرف الرجل إلى أبي يوسف ومحمد وأخبرهما الخبر، فأتيا أبا الحسن(عليه السلام)، فقالا: قد علمنا أنك أدركت العلم في الحلال والحرام، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكّل بك أنه يموت الليلة؟

قال الإمام: من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله(صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب!! فلمّا ردّ عليهما بهذا بقيا لا يحيران جوابا[1].

وهذا باب متسع لدى الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، وهو ليس من قبيل الفراسة أو الحدس أو التخمين، وإنما هو تعلّم من ذي علم.

إذا ثبت هذا وهو ثابت دون ريب، فقد كان ما فاجأ به الإمام الجواد(عليه السلام) الأمة باستقراء الغيب المجهول، والتحدث الجازم بإيحاء اللمح الغيبي، والقول الصادق بأنباء مستقبلية ليس أمراً جديدا، وإنما هو جارٍ بسبيل من سبل الأئمة(عليهم السلام)، حتى عاد حقيقة تاريخية واقعة.

هذه الحقيقة أشار إليها أمير المؤمنين(عليه السلام) بقوله:

---

(١) ظ: الراوندي/ الخرائج والجرائح/ ٢٠٢+ المجلسي/ البحار/ ٤٨/ ٦٤.

«إلا، وإنا أهل البيت، من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فأن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحق، ومن تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق»[1].

والإمام محمد الجواد(عليه السلام) في القمّة الشامخة من هذا العلم اللدني، إذ لم يتكأ في علمه على أساتيذ وشيوخ وحلقات درس، ومن كان علمه من علم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو في غنى عن جميع طرائق التعليم.

والإمامية لا تستكثر على أئمتها أي إمداد تصاعدي في العلم الموهبي، وكذلك ذوو النظر العقلي من أهل الإسلام، بما في ذلك ما تحقق على يد الصبي الإمام محمد الجواد والذي بعث الانبهار والعجب العجاب في شتى الأصعدة والمستويات.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

«لن يخالجنا أي إحساس بعجب أو استغراب عندما نقف على المأثور عن الإمام الجواد، وعلى ما قيل في سعة علمه وغزارة فضله، وعندما نلمس تدفق ذلك العطاء الفكري وامتداد آفاقه المترامية، على الرغم من صغر سن الإمام بالقياس إلى الحسابات المتداولة في أعمار الناس، وما يمكن أن يتعلموه في مثل تلك المدة الزمنية من العمر»[2].

وكان هذا التقرير فيما يتعلق بإفاضات الإمام العلمية التي لا تناسب عمره الشريف في سن الصبا، فإذا أضفنا إلى ذلك مشاهد اللمح

---

(١) ابن عبد ربه/ العقد ا لفريد/ ٤/٦٧.

(٢) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٦٢.

الغيبي في استقراء المجهول من قبل الإمام واستباق الأحداث في إنباءات الإمام القاطعة، خرجنا بحصيلة جديدة تخرق العادة في استكناه الحقائق.

ولهذا فإن ما ورد عن الإمام في هذا المجال يعتبر بحق ظاهرة من ظواهر كشف الأستار والحجب عن الوقائع القادمة بكل دقة وأمانة بحيث لا تتخلف الأخبار عن إصابة الواقع في شيء مطلقاً، وشواهد ذلك كثيرة كما سترى.

فعن إبراهيم بن محمد، قال: كان أبو جعفر محمد بن علي كتب إليّ كتاباً، وأمرني أن لا أفكّه حتى يموت يحيى بن أبي عمران.

قال: فمكث الكتاب عندي سنتين فلما كان اليوم الذي مات فيه يحيى بن أبي عمران فككت الكتاب فإذا فيه:

«قم بما كان يقوم به أو نحو هذا من الأمر: وكان إبراهيم يقول كنت لا أخاف الموت ما كان يحيى بن أبي عمران حياً»[1].

وفي هذا الكتاب ملحظان غيبيان:

الأول: الإنباء بأن عمر إبراهيم بن محمد أطول من عمر وكيله يحيى بن أبي عمران لهذا، أسند إليه الأمر قبل وفاة يحيى بسنتين.

الثاني: القطع بأن إبراهيم بن محمد سوف لا ينحرف عن منهج أهل البيت طيلة هذه المدة بحيث استحق وكالة الإمام، أو القيام بمهمة يحيى بن أبي عمران من بعده.

---

(١) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٢٦٣+ المجلسي/ البحار/ ٥٠/٣٧- ٣٨.

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: دخلت على أبي جعفر الثاني، ومعي ثلاث رقاع غير معنونة واشتبهت علي، واغتممت لذلك فتناول الإمام إحداهن، وقال: هذه رقعة الريان بن شبيب، وتناول الثانية، وقال: هذه رقعة محمد بن أبي حمزة، وتناول الثالثة، وقال: هذه رقعة فلان.

فبهت، فنظر إلي وتبسم»[1].

فبماذا نعلل هذا الإنباء؟ وكيف يتم هذا الاكتشاف؟ وبم تفسر هذه الظاهرة؟

لقد ملكت الدهشة الوسط المحيط بالإمام، وهما فريقان، أولياؤه وأعداؤه. أما الأولياء فآمنوا بالعلم الموهبي للإمام. وأما الأعداء فكانوا بين بين، بين التسليم وبين ا لعناد.

وهكذا شأن الناس، فعن محمد بن حمزة عن محمد بن علي الهاشمي، أنه دخل على الإمام الجواد، وأصابه العطش، وكره أن يدعو بالماء، يقول: فنظر أبو جعفر(عليه السلام) في وجهي، وقال: أراك عطشان؟ قلت: أجل. قال: يا غلام اسقنا ماء. فقلت في نفسي: الساعة يأتونه بماء مسموم، واغتممت لذلك.

فأقبل الغلام ومعه الماء، فتبسم في وجهي، ثم قال: يا غلام، ناولني الماء، فشرب منه ثم ناولني فشربت، وأطلت عنده فعطشت فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرة الأولى.

فشرب ثم ناولني وتبسم.

---

(١) الكليني/ الكافي/ ١/٤٩٥ + المفيد / الإرشاد/ ٣٦٧.

قال محمد بن حمزة: فقال لي محمد بن علي الهاشمي:

والله إنـي أظـن أن أبـا جعفـر يعلـم مـا في النفـوس، كمـا تقـول الرافضة»[1].

وروى الحميري أن أبا هاشم قال:

«إن أبا جعفر أعطاني ثلاثمائة دينار في صرة وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمه، وقال: أما أنه سيقول لك:

دلّني على من أشتري بها منه متاعاً، فدلّه:

قال: فأتيته بالدنانير، فقال لي:

يا أبا هاشم دلّني على حريف يشتري بها متاعا، ففعلت»[2].

أترى الإمام(عليه السلام) قد قرأ ما في نفس المرسل إليه فتحدّث بذلك، أما أنّ هناك استقراء للمجهول تلوح بوادره؟

وروي عن أبي هاشم الجعفري، قال:

كلفني جمّالي أن أكلم أبا جعفر(عليه السلام) ليُدخله في بعض أموره، قال: فدخلت عليه لأكلمه فوجدته في جماعة فلم يمكني كلامه، فقال: يا أبا هاشم: كُلْ، وقد وضع الطعام بين يديه، ثم قال ابتداء منه من غير مساءلة مني:

يا غلام، انظر الجمّال الذي أتانا أبو هاشم فضمّه إليك[3].

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٦.

(٢) المجلسي/ البحار/ ٥٠/ ٤١ وانظر مصادره وراجع/ الكليني/ الكافي/ ٤٩٥.

(٣) الكليني/ الكافي/ ١/ ٤٩٥+ المجلسي/ البحار/ ٥٠/ ٤٢.

ولم يكن هذا اللمح الغيبي الذي يستخدمه الإمام إلا لتثبيت قلوب المؤمنين، وتعميق معرفتهم بمدركات الأئمة العلمية وأبعادها الطبيعية والكسبية واللدنّيّة.

وأورد في الخرائج عن صالح بن عطية الأصحب، قال:

حججت فشكوت إلى أبي جعفر(عليه السلام) الوحدة!!

فقال: أما إنك لا تخرج من الحرم حتى تشتري جارية ترزق منها ابناً فقلت: تسير إلي؟ قال: نعم، وركب إلى النخاس وكتب إلى جارية، فقال: اشترها فاشتريتها فولدت محمداً ابني[1].

وعن عمران بن محمد الأشعري، قال:

دخلت على أبي جعفر الثاني(عليه السلام)، وقُضيت حوائجي، وقلت له: إن أم الحسن تقرؤك السلام، وتسألك ثوباً من ثيابك تجعله كفناً لها، قال: قد استغنت عن ذلك!!

فخرجت، ولست أدري معنى ذلك، فأتاني الخبر بأنها قد ماتت قبل ذلك بثلاثة عشر يوماً أو أربعة عشر يوما[2].

ونظير هذا ما رواه عمران بن محمد نفسه، قال:

دفع إلي أخي درعة أحملها إلى أبي جعفر(عليه السلام) مع أشياء، فقدمت بها ونسيت الدرع، فلما أردت أن أودعه، قال: لي أحمل الدرع.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/ ٤٣.

(٢) الراوندي/ الخرائج والجرائح/ ٢٣٧.

وسألتني والدتي أن أسأله قميصاً من ثيابه!!

فقال: ليس بمحتاج إليه!! فجائني الخبر أنها توفيت قبل عشرين يوما[1].

وكانت هذه الإنباءات – وما أوردناه غيض من فيض– مما كشف حجاب الريب عن أزمة الطفولة المدّعاة وألقت بمصادر التشكيك في مزبلة التأريخ، وكان لها الأثر الكبير في ترسيخ مفهوم الإمامة في النفوس، لأنها دلائل وبراهين ناطقة، ما اتفق أن تخلف إنباؤها ولا مرة واحدة.



(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٤٥/٥٠ وانظر مصدره.

اضطراب النظام العباسي...
من الإمام المعجزة

واضطرب النظام العباسي اضطراباً هائلا، حينما فوجئ بمقدرة الإمام العلمية والتشريعية والغيبية، وامتلاكه قلوب الناس، والتفاف الأمة حول قيادته المتبرعمة في سن الصبا وأول الشباب، وبدأت الجماهير تتساءل، وما بعد الشك إلا اليقين!!

ما هذه المميزات والخصائص لهذا الإنسان المعجزة؟؟

عن آية قوة غيبية يتحدى السلطان فيطأطئ من جبروته؟؟

فلماذا تقف السلطة بإمكاناتها متصاغرة بين يديه؟؟

لماذا بهت العلماء والفقهاء والمتكلمون أمام هذا الحدث الجديد؟

وما بال شيوخ الشيعة وأساطينها ورجالها وتجّارها وكسبتها وجمهورها وسوادها، تتلقى تعليماتها ممن لم يبلغ الحلم؟؟

فهل أصيب هذا الحشد الهائل باختلال التوازن العقلي؟ أم ماذا؟ وما طبيعة هذه الوفود من البلدان والأقاليم والقصبات تتجه بعد الحج وزيارة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) شطر بيت الإمام محمد الجواد(عليه السلام)؟

تسأله فيجيب، وتستنقبه فلا ينبو، ويتستفهمه فلا يحيد!! وتطلب إليه فلا يردّها، وتتودد إليه فيبرها ويحنو عليها!! وتتقرب منه خطوة فخطوة، فلا تلمس إلا علماً وحزماً، ولا تجد إلا نبلاً وشرفاً،

ولا تـــرى إلا جـــوداً وســـخاءً، ولا تنظـــر إلا إدراكـــاً ومعرفـــةً، ولا تكتشف إلا أصالةً ورفعةً!!

أين هم اليوم في مثل هـذا العـالم الجديد؟ العـالم الـذي لا يخضع لمعيـار الفطـرة ولا نظـام الكـون!! وإنـما ينفجـر- كـما هـو المتوقـع لـذوي الألباب- عـن مفـاهيم جديـدة تطـوي الـزمن كلمـح بالبـصر عـن مخـزون حضاري عتيد ينبع من القرآن، ويصدر عن الشرع الحنيـف، ويحكـي عـن رسول الله(ﷺ)، تشريعه وتأصيله وتمويله لهذا الدين القيم!!

وكيف تأخذ هذه الجموع المتدافعة فقـه عباداتهـا ومعاملاتهـا، وأمـر ثوابتها وأصولها وتعاليم معتقداتها وفروضها وما يترتـب علـى ذلـك مـن إدارة شـؤونها وإصـلاح معاشـها، وتهـذيب نفوسـها وتـرويض صـعبها وتطبيع علاقاتها الاجتماعية والدينية على أرض صلبة؟ من هـذا الـصبي المعجزة الذي استولى على المشاعر والأحاسيس حباً وإكباراً.

وكيـف اسـتطاع صـهر هـذا الأفـق الحـاد المتنـاقض بـين جمهـرة المشككين والمستغربين والمتحيرين؟ فجـذبهم إلى حـضرته انجـذاباً رفيعـا، واستحوذ عليهم بالدليل والمنطق والعلم الهادر!! وهل من المتعارف عليه في نظام الأحكام السلطانية، وفي حياة الفقه الدستوري أن يتصدر مذهب أهل البيت هذا اليافع الذي لم يبلغ الحلم؟

وماذا تقول الأمة، وأبوه الإمام علي بن موسى الرضـا يكتـب إليـه وهو في هذه السن المبكـرة؟ ومـن خراسـان التـي وردهـا عـام مـائتين مـن الهجـرة بالرسـائل الرقيقـة معظمـا ومـبجلا وتـرده أجوبـة ولـده شـافية

مستوعبة، فيشير منذ ذلك الحين إلى إمامته من بعده علماً بأن مولده في عام خمسة وتسعين بعد المائة من الهجرة إجماعاً؟!!

فعمره الشريف إذن خمس سنوات فحسب.

يقول محمد بن أبي عباد، وكان يكتب للرضا(ع): «إن الإمام ما كان يذكر محمدا ابنه(ع) إلا بكنيته، يقول: كتب إلي أبو جعفر!! وكنت أكتبُ إلى أبي جعفر وهو صبي في المدينة!! فيخاطب بالتعظيم!! وترد كتب أبي جعفر(ع) في نهاية البلاغة والحسن!! فسمعته أي- الإمام الرضا- يقول:

«أبو جعفر وصيي وخليفتي في أهلي من بعدي»[1].

والأكثر من هذا بعداً أن يُسأل الإمام الرضا(ع):

«فإن كان كون فإلى أين؟ فيشير بيده إلى أبي جعفر(ع)، وهو قائم بين يديه».!!

فقلت له: (والقائل صفوان بن يحيى) جُعلت فداك وهو ابن ثلاث سنين؟ قال الإمام الرضا(ع):

«وما يضرّه من ذلك؟ قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين»[2].

ويكرر الرضا(ع) هذا المعنى مؤكداً عليه، فقد روى الحسن بن محمد عن الخيراني عن أبيه، قال:

---

(١) الصدوق/ عيون أخبار الرضا/ ٢/ ٢٤٠.

(٢) الكليني / الكافي/ ١/ ٣٢١+ المفيد / الإرشاد/ ٣٥٧.

«كنت واقفا بين يدي أبي الحسن الرضا(عليه السلام) بخراسان، فقال قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟

قال:إلى أبي جعفر ابني!!

فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر!!

فقال أبو الحسن (الرضا)(عليه السلام):

«إن الله سبحانه بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر(عليه السلام)»[1].

وكان من دقة الإمام الرضا(عليه السلام)، وتفكيره الموضوعي أن لم يصطحب معه ولده الإمام الرضا إلى مرو، بل أبقاه في المدينة المنورة حفاظاً عليه من النظام الطائش الذي قد يقدم على تصفيته جسدياً، لو حصل لأبيه الأمر كما هو المتوقع، وكان هذا الملحظ الدقيق مؤشراً سياسياً رفيعاً في تمرّس الإمام الرضا(عليه السلام)، في الأحداث، ومعرفته النوعية بمؤامرات البلاط العباسي الذي لا يتورع عن شيء.

هذا من وجه احترازي خالص، ومن وجه آخر إيجابي كان بقاء الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وهو في عمر الورود، يشكّل منعطفاً تأريخياً في حياة الإمامة، فهو لم يتجاوز الخامسة من عمره الشريف، إلا أن التفاف الشيعة – بعد تصريحات أبيه السابقة– كان مكثّفاً حوله، باعتباره ظاهرة جديدة في حياة الإمامة نظراً لصغره، ومع هذا فإن الإقبال عليه كان منقطع النظير من أوليائه، وأهل بيته والهاشميين.

---

(١) المفيد الإرشاد/٣٥٨- ٣٥٩.

فقد أورد المجلسي عن أمية بن علي قوله:

«كنت بالمدينة، وكنت أختلف إلى أبي جعفر(عليه السلام)، وأبو الحسن- الرضا- بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلمون عليه»[1].

بل ذهب المسعودي إلى أكثر من هذا فقال:

«إنّه كان يدبر أمر الرضا(عليه السلام) بالمدينة»[2].

وكذلك كان أوليائه يتحينون الفرص بالاجتماع به، انبهاراً بقابلياته الفذّة وهو صغير، فعن ابن أبي النضر ومحمد بن سنان قالا:

«كنا بمكّة وأبو الحسن الرضا(عليه السلام) بها، فقلنا له:

جعلنا الله فداك، نحن خارجون وأنت مقيم، فإن رأيت أن تكتب لأبي جعفر(عليه السلام)، كتاباً نلمّ به، قالا:

فكتب إليه فقدمنا، واجتمعوا بالإمام الجواد(عليه السلام)، وقرأ كتاب أبيه وهو يبتسم[3].

وما اكتفى الإمام الرضا(عليه السلام) بهذا حتى أمر أصحابه وأولياءَه بإحداث العهد به والتسليم له في حياته.

ومما يروى في هذا الصدد، أن الإمام كان في جماعة فلما نهضوا قال لهم أبو الحسن الرضا(عليه السلام):

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٦٣.

(٢) المسعودي/إثبات الوصية/١٨٣.

(٣) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/٦٧.

القوا أبا جعفر فسلّموا له، وأحدثوا به عهدا[1].

والطريف أن يحتج الإمام محمد الجواد بلغة العصر إعلامياً في إثبات إمامته بما رواه الشيخ المفيد قائلا:

«أخبرني أبو القاسم، جعفر بن محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، قال:

خرج عليّ أبو جعفر(عليه السلام) حدثان موت أبيه، فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا، فقعد ثم قال:

يا معلّى إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2]»[3].

وقد كرر الإمام محمد الجواد(عليه السلام) جوهر هذا الاحتجاج مع علي بن أسباط بروايته، قال:

«رأيت أبا جعفر(عليه السلام) قد خرج عليّ، فأحدَدت النظر إليه وإلى رأسه، وإلى رجله، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فخرّ(الإمام محمد الجواد) ساجدا، وقال:

إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة.

قال تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4].

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩.

(٢) سورة مريم، ١٢.

(٣) المفيد/ الإرشاد ٢٧- ٣ + الكليني/ الكافي بسند آخر/ ٣٢٢/١.

(٤) سورة مريم، ١٢.

وقال الله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ...﴾[1].

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً...﴾[2].

فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة))[3].

ومهما يكن من أمر، فقد تسنّم الإمام محمد الجواد منصب الإمامة الشرعي، وقد أقام مع أبيه سبع سنين وأربعة أشهر ويومين، ونهض من بعده بالأمر إماماً ثماني عشرة سنة إلا عشرين يوما[4]..

وكان منذ صباه حتى أول شبابه، وفي جميع أدوار حياته، مضرب المثل في العفّة والزهد والعلم والاستقامة.

واشتهر ذكر الإمام في الآفاق وذاع صيته في العواصم، وتطلعت إلى أخباره الأقاليم، فلمس النظام فيه خطراً عتيداً حاضراً، ووجد فيه ظاهرة لا قِبَلَ له بها فأرجف عليه من هنا وهناك، وابتغى له الغوائل، وبدأ يبحث عن الوسائل التي تصدّ هذا التأييد الحافل به، سيّما بعد وفاة المأمون وتسلّم المعتصم للحكم في شعبان من سنة ثماني عشرة ومائتين.

فقد روي عن ابن أرومه أنه قال:

((إن المعتصم دعا جماعة من وزرائه، فقال: اشهدوا على محمد بن علي بن موسى زورا، واكتبوا أنه أراد أن يخرج.

---

(١) سورة يوسف، ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف، ١٥.

(٣) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٢٣٨.

(٤) ظ: المجلسي/ البحار/ ٥٠/ ٧/ وانظر مصادره.

ثم دعاه المعتصم فقال له: إنك أردت أن تخرج علي!!

فقال: والله ما فعلت شيئاً من ذلك.

قال: إن فلاناً وفلاناً شهدوا عليك!! فأُحضروا، فقالوا: نعم هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك، قال: وكان جالساً في بهو فرفع أبو جعفر يده، وقال:

اللهم إن كانوا كذبوا عليَّ فخذهم!!

قال: فنظرنا إلى ذلك البهو وكيف يرجف ويذهب ويجيء!! وكلما قام واحد وقع!!

فقال المعتصم: يا ابن رسول الله: إني تائب مما قلت، فادع ربك أن يسكنه فقال الإمام:

اللهم سكنه إنك تعلم أنهم أعداؤك وأعدائي، فسكن))[1].

ولم يكن الإمام مع هذه الضغوط والمفارقات لينفي عن نفسه إمامة الأمة، بل ثبتها لنفسه جهاراً وبكل وثوق واطمئنان، يصاحبه فيها التأييد الغيبي بما يعتبر معجزة، فقد قال له يحيى بن أكثم، قاضي القضاة:

((والله إني أريد أن أسألك مسألة واحدة، واني لأستحي من ذلك!! قال الإمام محمد الجواد: أنا أخبرك قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام!!

فقلت: هو والله هذا.

فقال الإمام(عليه السلام): أنا هو.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/٤٥- ٤٦.

فقلت: علامة، فكان في يده عصا فنطقت وقالت: إنه مولاي إمام هذا الزمان وهو الحجة))[1].

ومع هذا فقد، كان النظام يحاول الاستخفاف بالإمام، ويحاول الإغراء جزافاً، وهو يتصور خائبا الاستهانة بمقام الإمامة من وجه، واستغفال الآخرين من وجه، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ويظهر حجته ويكبّت عدوه، فقد جمع المأمون للإمام(عليه السلام) المغنّين!! وأهل الطرب!! وضربوا بالعود في حضرته!! والإمام لا يلتفت يميناً وشمالاً، بل قال لمن تولى كبر ذلك، وهو مخارق المغنّي: إتَقِ الله ياذا العثنون!!

فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات.

فسأله المأمون عن حاله! فقال:

لّما صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبدا[2].

ومع هذا فقد كان التشكيك المتعمد في إمامة الجواد قائماً لدى بعضهم عناداً أو جهلاً أو إصراراً أو حقداً، بل ويلعنون القائل بإمامتهم من أتباع أهل البيت!!

فقد اطّلع قاسم بن عبد الرحمن في بغداد، والناس يستشرفون لرؤية الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، فقال:

والله لأنظرنّ إليه، فطلع الإمام على بغل، فقلت:

لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون: إن الله افترض طاعة هذا!!

---

(١) الكليني / الكافي / ٣٥٣/١.

(٢) ظ: الكليني / الكافي/ ٤٩٤/١ + المجلسي/ البحار/ ٦٢/٥٠ز

فعدل الإمام الجواد إليّ وقال: يا قاسم بن عبد الرحمن: **﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾**(١).

فقلت في نفسي: ساحر والله.

فعدل إلي، فقال:

﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾(٢).

قال فانصرفت وقلت بالإمامة وشهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدت)(٣).

وقد شاءت السلطة الغاشمة أن تستطيل بقضائها، لمقام الإمام بالتوهين وابتداع الأباطيل، ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا فقد روى محمد بن مسعود عن المحمودي، قال: حدثني أبي؛ أنه دخل على ابن أبي دؤاد، وهو في مجلسه وحوله أصحابه، فقال لهم ابن أبي دؤاد: يا هؤلاء؛ ما تقولون في شيء قاله الخليفة البارحة؟

فقالوا: وما ذاك؟ قال:

قال الخليفة: ما ترى الفلانية "الرافضة" تصنع إن أخرجنا إليهم أبا جعفر "يعني الإمام الجواد" سكران، يمضي مضمخاً بالخلوق؟

قالوا: إذن تبطل حجتهم وتبطل مقالتهم!!

قلت: إن الفلانية "الرافضة" يخالطوني كثيرا ويفضون إلي بسرّ مقالتهم وليس يلزمهم هذا الذي يجري!!

---

(١) سورة القمر، ٢٤.

(٢) سورة القمر، ٢٥.

(٣) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/٢١٦.

قال: ومن أنى قلت؟

قلت: إنهم يقولون: لا بدّ في كل زمان وعلى كل حال، لله في أرضه من حجة يقطع العذر بينه وبين خلقه. قلت: فإن كان في زمان الحجة من هو مثله أو فوقه في الشرف والنسب كان أدلّ الدلائل على الحجة قصد السلطان له من بين أهله ونوعه.

قال: فعرض بن أبي دؤاد هذا الكلام على الخليفة.

فقال: ليس في هؤلاء اليوم حيلة.

لا تؤذوا أبا جعفر (يعني الإمام الجواد)[1].

وهذا النحو من التوجه في افتعال الأكاذيب وتجربة الافتراضات المختلفة، له خطورته الإعلامية بين أعداء الإمامية. أما الإمامية وأتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، فلا يعيرون لذلك أهمية، ولا يلقون إليه السمع لأنهم كما في جواب أبي المحمودي[2] فإنهم يذهبون إلى القول أن لابدّ من حجة في كل زمان، وحينما يعرض السلطان لمن هو في هذا الوصف كان ذلك لهم دليلاً أنه الحجة دونه سواه، لأنه لا يعرض إلا له، لعلم السلطان أنه صاحب مرتبة الإمامة عند أولياء أهل البيت(عليهم السلام)، ولو لم يكن كذلك لما عرض له.

---

(١) الكشي/ رجال الكشي/ ٤٦٩.

(٢) المحمودي: هو محمد بن أحمد بن حماد المروزي المتوفى أبوه في عصر الإمام علي بن محمد الهادي(ع)، فكتب الإمام إلى ولده: قد مضى أبوك رضي الله عنه وعنك، وهو عندنا على حال محمود، ولن تبعد عن تلك الحال، فلقب بالمحمودي، وهو من أصحاب الإمام الجواد والهادي والعسكري(ع)، فهنيئا لك على هذه الكرامة.

ظ: المجلسي/ البحار/ ٥٠/٩٤/ هامش المحقق.

كما أشار إلى نحوٍ من هذا الشيخ المجلسي أعلى الله مقامه[1].

ولم يكن هذا المقام الذي عليه الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ليخفى على السلطان، أو أولياء السلطان، وهم يعلمون جيداً أن ذلك من المناصب الإلهية التي لا أمر معها للبشر، ولكنه البغي والعدوان وشهوة الحكم والاستطالة على أولياء الله.

ولم يكن الإمام(عليه السلام) ليقابل السلطة إلا باللطف والنصح الكريم، شأنه بهذا شأن آبائه الطاهرين، حفاظاً منهم على النظام ورعاية للصالح العام.

فقد جاء في بعض المرويات أن الإمام محمد الجواد قال للمأمون:

لك عندي نصيحة فاقبلها.

قال المأمون بالحمد والشكر، فما ذاك يا ابن رسول الله؟؟

قال الإمام محمد الجواد(عليه السلام): أحب أن لا تخرج بالليل، فأني لا آمن عليك هذا الخلق المنكوس، وعندي عقد تحصن به نفسك، وتحترز به عن الشرور والبلايا والمكاره... وإن أحببت بعثت به إليك لتتحرز من جميع ما ذكرت لك. قال: نعم؟ فاكتب ذلك بخطك وابعثه إليّ.

قال(عليه السلام): نعم وأنفذ له ذلك مع تعليمات في آداب استعماله[2].

هذه الروح الرائدة للخير وحب النظام والألفة ومعالي الأمور، بوادر إنسانية تتفجر بها فطرة الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وتضطم عليها جوانحه.

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/ ٩٠.

(٢) ظ: المصدر السابق/ ٥٠/ ٩٨ عن منهج الدعوات/ ٤٤- ٤٨.

ولعل لهذا التوجه هدفاً أكبر مما يبدو لأول وهلة، فهو يريد أن لا يغلق الباب بينه وبين السلطان، ويريد أيضاً أن يجعل الخطوط التفاهمية بينه وبين السلطان مفتوحة، وإن كان ذلك بحدود معيّنة، لينفذ من خلال ذلك إلى أداء تكليفه الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقد كان مما اشتهر به المأمون شرب الخمرة، وأراد الإمام أن يحدّ من هذه الظاهرة لدى المأمون فقال له:

((لك عندي نصيحة فاسمعها مني!!

قال المأمون: هاتها.

قال الإمام: أشير عليك بترك الشراب المسكر!!

قال المأمون: فداك ابن عمك، قد قبلت نصيحتك))[1].

ولك أن تقدّر مدى معاناة الإمام من هؤلاء المستهترين بشريعة سيد المرسلين ولك أن نتصور مدى تحمله للمصاعب والمتاعب، وهو يحمل هموم أمته ودينه وعقيدته.



(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/٧١ وانظر مصدره.

الفصل الرابع

الإمام محمد الجواد(عليه السلام).. تراثياً

١ـ علم أهل البيت في تراث الإمام الجواد(عليه السلام).

٢ـ مرويّات الإمام عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين(عليه السلام) نموذجاً.

٣ـ الدور الريادي لتلامذة الإمام(عليه السلام) في نشر تراثه الخالد.

٤ـ الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الإمام(عليه السلام).

علم أهل البيت في تراث الإمام

ليس أمراً جديداً على سليل النبوة ووليد الإمامة أن يكون أحد رموز التراث العلمي في الدنيا منذ نعومة أظفاره، فآباؤه أساطين العلم ومنبع الحكمة، وبيوتهم مهبط الوحي ومدارج الملائكة، ومحافلهم أندية الفضل والفيض الإلهي.

وكان تراث الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في الذروة في المعارف الإنسانية السائرة، إذ فجر ينبوعاً علمياً ثرّاً عذب الموارد، استوعب لباب العلم ومقتطفاتها النديّة، وسلّط الأضواء الكاشفة على أصوله وجذوره الأولى، حتى عاد ظاهرة من ظواهر الإعجاز الحضاري، لم يخضع لمقاييس التعلم والتعليم، ولا اتبع الأسلوب التقليدي في طلب العلم، فالإمام لم يحضر حلقات الدرس عند أحد، ولم يحدثنا التأريخ حتى الرسمي منه أنه أخذ عن شيوخ وأساتيذ منذ صباه حتى استشهاده في الخامسة والعشرين من العمر، فقد تركه أبوه الإمام علي بن موسى الرضا في المدينة المنورة خماسي الأسنان، ولم يعهد لمعلم ما أن يعلمه شيئاً على الإطلاق، بل أمر أولياءه وشيعته بالاغتراف من معينه والرجوع إليه باعتباره الوريث الشرعي لمكنون علمه وخزانة أسراره، فعن معمّر بن خلاد، قال:

((سمعت الإمام الرضا(عليه السلام) وذكر شيئاً، فقال:

ما حاجتكم إلى ذلك؟

هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته مكاني، وقال:

إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة))[1].

بل ينسب إلى الإمام محمد الجواد نفسه، أنّه قال -في سن الصبا- ما هو أعظم أثراً، وأوسع شمولا:

((إني والله لأعلم ما في سرائرهم وخواطرهم، وإنّي والله لأعلم الناس أجمعين بما هم إليه صائرون، أقول حقاً، وأظهر صدقاً، علماً قد نبّأه الله تعالى قبل الخلق أجمعين، وقبل بناء السماوات والأرضين))[2].

وكأن الإمام يريد أن ينبّه الأمّة إلى حقيقة أكبر من العلم الاعتيادي، وهي حقيقة العلم اللدنّي الذي خُصّ به هو وآباؤه من ذي قبل، وقد أشرنا لذلك في الفصل السابق.

والحق أنّ العلم اللدنّي هو أحد مصادر علم الإمام محمد الجواد، وسبق أن بحثنا ذلك مفصلا في عمل مستقل[3].

وهذا العلم بمواهبه الإلهية هو ما يتناسب بالفعل مع الإنباء بالغيب المأثور عن الإمام، وهو ما ينسجم مع السيل المتدافع من الأسئلة التي أجاب عليها في حياته في شتى العلوم الفقهية والفلسفية والعرفانية والكلامية كما سترى ذلك في موقعه من هذا الكتاب.

وهو الأمر الذي تعلل به ظاهرة استقراء الغيب المجهول في سن مبكّرة مما لا يتوافر رصده إلا عند المرسلين والأئمة المعصومين(عليهم السلام).

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٧.

(٢) ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٤٩٣/٣ + المجلسي/ البحار / ٩/٥٠.

(٣) ظ: المؤلف الإمام جعفر الصدق زعيم مدرسة أهل البيت/ ٢٤٣- ٢٦٩.

وهو -أيضاً- التفسير الأمثل لما تحدّث به الرواة عن غزارة علم الإمام وشمولية عطائهِ الفكري، بما يحفظ لنا المعادلة المتوازنة لأبعاد علم الإمام المترامية الأطراف في سجل تاريخه المعرفي، مما لا يحيط به الفكر التقليدي في تصوّر أوّلي. وقد يرفضه المثقف العصري ابتداء قبل التمحيص والتحقيق، ولكن التجربة التأريخية الصادقة قد أثبتت بما لا يقبل الشك أنَّهُ حقيقة واقعة لا فرضية جدلية، فما اتفق للإمام محمد الجواد أن تلكأ في إجابة، ولا توقف عند مسألة، ولا تسامح في بيان جزئي أو كلي، ولا استمد معلومة لا صغيرة ولا كبيرة من راوٍ، أو محدّث أو عالم، أو تابعي، أو سوى هؤلاء من المتخصّصين.

وهذا العلم لطف إلهي لاستكمال رسالة الإمامة باعتبارها وريثاً لرسالة السماء، وهو بعيد كل البعد عن الغلو على الإطلاق، ولكنه فوق مدرسة العلم الكسبي، وقد صرح به القرآن العظيم فيما اقتصّ من خبر موسى وصاحبه، حين التقيا العالم الذي أبهم ذكر اسمه في القرآن، وتبين في الروايات أنه الخضر(عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[1].

والإمامية لا تستكثر إمداد العلم اللدنّي ومصاحبته لائمة أهل البيت(عليهم السلام)، سيّما أن ذوي النظر العقلي من أهل الإسلام يشاركون الإمامية في هذا الملحظ، وذلك لانتشار شواهده في السيرة العطرة للأئمة(عليهم السلام)، وهم يرفدون العقل البشري بما يستجد لطالبيه من الأسئلة

(١) سورة الكهف، ٦٥.

والاستفسارات الدقيقة، ومعالم هذا المشهد أكثر من أن تحصى في مفرداتها كثرة.

وهذا العلم ليس من قبيل الوحي، ولكنه يتأتى بوسائط لخّصها الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) في تقسيمه لمبلغ علم أهل البيت، ومنه العلم الحادث، فعبّر عنه بقوله:

((وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع))[1].

وقد يكون ذلك من الإلهام اليقيني الخالص، كما عن علي بن يقطين قال: قلت للإمام موسى (يعني الإمام الكاظم(عليه السلام)):

((علم عالمكم سماع أم إلهام؟

فقال: قد يكون سماعاً، ويكون إلهاماً، ويكونان معاً))[2].

وهذا الأمر ليس حادثاً، بل هو قديم يمتد إلى عصر الإمام علي(عليه السلام)، والأئمة من بعده، وكل إمام يؤكد هذه الحقيقة بضرس قاطع، وقد قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) لعبد الله النجاشي:

((والله إنّ فينا من ينكث في قلبه، وينقر في أذنه، وتصافحه الملائكة))[3]..

ولا أدلّ على هذا من هلع الطغاة وخوف الجبابرة من هذه الظاهرة، فهم يتحسسون منها، وترتعد لها فرائصهم، إذ قد تتحدث عن

---

(١) الكليني/ الكافي/ ١/ ٢٦٤.

(٢) المفيد/ الاختصاص/ ٢٨٦ + المؤلف/ الإمام موسى بن جعفر ضحية الإرهاب السياسي/ ٥٩.

(٣) الأربلي/ كشف الغمة/ ٢/ ٤١٦.

مستقبلهم، وقد تكشف عمّا خبأ الدهر لهم[1].

وكان الإمام محمد الجواد في صباه قد أخبر فيما أخبر به في ضوء هذا العلم، حديثه بموت أبيه الإمام الرضا(عليه السلام) في خراسان وهو في المدينة المنورة، والبريد لا يأتي بالخبر إلا بعد أيامٍ وليالٍ، لبعد المسافة. فعن أمية بن علي، قال:

((كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر، وأبو الحسن بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتون ويسلمون عليه، فدعا يوماً بجارية، فقال لها: قولي لهم يتهيأون للمأتم، فلمّا تفرقوا، قالوا: هلا سألناه مأتم من؟ فلمّا كان من الغد فعل مثل ذلك، فقالوا مأتم من؟ فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

خير من على ظهرها!!

فأتانا خبر أبي الحسن بعد ذلك بأيام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم))[2].

ولا أدلّ على ذلك من إخبار الإمام محمد الجواد بوفاته نفسه، وقد كابد المحن والمآسي العامة والخاصة في عصر المأمون، وهو ينتظر الفرج فيما يبدو، فعن أبي بزيع العطار: قال أبو جعفر: الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً.

قال: فنظرنا، فمات بعد ثلاثين شهراً من وفاة المأمون[3].

(١) ظ: المؤلف/ الإمام موسى بن جعفر ضحية الإرهاب السياسي/ ٦٢

(٢) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/١٦٢.

(٣) المصدر نفسه/ ٣/١٥٦.

وكان الأصل الطبيعي لعلم الإمام محمد الجواد(عليه السلام) هو ذلك الموروث العلمي الذي يتوارثه كلّ إمام عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، حتى انتهى الأمر إليه.

وهذا العلم غير قابل للرّد من جهة، وغير خاضع لعملية الاجتهاد من جهة آخرى، وغير معارض فيهما معا، فهو نصّ، ولا اجتهاد في قبال النص وإذا ثبت تلقي الإمام له مباشرة أو بوساطة فهو السنة نفسها، وإذا أفتى به الإمام فهو السنة أيضاً، وليس من شيء يصدر عن الإمام محمد الجواد إلا من خلال الكتاب والسنّة مضافا إلى علم الموهبة، فنحن -إذن- بين يدي علمه الزاخر: أمام مخزون من العلم يعتمد القرآن أولا، والسنة الشريفة ثانياً، وهذان الأثران هما المصدر الأساس للتشريع، وما أبداه الإمام محمد الجواد(عليه السلام) من خلالهما فهو التراث الخالد الذي لا يزول.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين:

((وكان المنبع الأكبر لعلم الإمام الجواد -بعد هذه المواريث المشار إليها من مدونات آبائه الغرّ الميامين، وقد رووها مسندة عن جدهم أمير المؤمنين-[1]ما تعلمه ورواه مباشرة عن أبيه الإمام الرضا(عليه السلام) خلال تلك السنوات القليلة التي عاشها في ظلاله))[2].

فاجتمع له ببركة هذين المنبعين المقدسين ما تسامى به شأناً ومقاماً، وتعالى شرفاً ورفعة، بما ضمّ من لُباب علم النبوّة وأسرار حقائق التنزيل

---

(١) كان الأستاذ آل ياسين/ تحدث عن الجفر والجامعة بإشارات فصلها في كتابه/ الإمام جعفر بن محمد الصادق/ ١٥٥- ١٦٩ + اليافعي/ مرآة الجنان ٢/ ٨١ + ابن طولون الدمشقي/ الأئمة الاثنا عشر/ ١٠٣/ بيروت ١٣٧٧هـ.

(٢) ظ: الخطيب البغدادي/ تأريخ بغداد/ ٣/ ٥٤.

وما انتهى إليه بواسطة تلك السلسلة المباركة الزاهية عن جدّه الأعظم(ﷺ) مما كان يحدّث به عن لسان الوحي وبلاغ السماء، وحكم الله في أمور العباد ومصالح البلاد.

ومن هنا كان تراث الإمامة المأثور عن الإمام الجواد(عليه السلام) بهذه الدرجة العليا من التقدير بل التقديس[1].

وإنَّ الباحث لتأخذه الدهشة وهو يغوص في أعماق ما خلّفه الإمام محمد الجواد من تراث حضاري أصيل على ما كان عليه من شدّة الرقابة ودقيق الرصد من قبل السلطة العباسية، فهي تحصي عليه الأنفاس، وتسجّل الخطوات، وتلتقط ما يتفوه به أولا بأول، وتنكّل بالأتباع والموالين من حملة علمه وفقه وحضارته، ومع قصر عمره الشريف، ومراوغه المأمون، وغطرسة المعتصم، وملاحقة والي المدينة عمر بن فرج الرخجي، فقد برزت للعيان تلك المشاهد الحافلة بالإفتاء، والفقاهة، والمناظرة، والاحتجاج بكتاب الله والسنّة، وتبرعمت تلك المعارف العليا بمفرداتها الضخمة، وهي تزحف بركبها الصاعد لتطوير حياة الإنسانية جمعاء، والتي سنتناول بعض مظاهرها على سبيل النموذج في مباحث لاحقة بأذن الله تعالى.

ويبدو للبحث أن الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، كان قد استشف من وراء الغيب أن السلطان سيقضي عليه في وقت مبكّر. الإمام بأطروحته الصادقة في الوعي والفكر والشريعة قد أكذب أحدوثتهم في الدجل والزيف والانحراف عن الخط الإسلامي، وسفّه أحلامهم في بناء الحكم

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٦٣.

على جماجم الأبرياء والشهداء، ولقي ما أفاض به من المعارضة في حدودها دويّاً هائلا في العواصم الإسلامية. وليس من الطبيعي أن تقف منه السلطة موقف اللامبالاة، والأمّة تنظر إليه بمنظور القداسة والإجلال ذاتياً، وتكن له الحبّ في أعماقها تلقائياً، واستيقظت على ملامح النور الذي يخطف الأبصار في علمه وفضله وإمكاناته المعرفية، فالتفت حوله زرافات ووحداناً بما لا مثيل له أو نظير، بحيث استطاع الإمام أن يرسّخ كثيراً من الثوابت التي جُحدت، وأن يجدد جمهرة من العوالم التي دُرِسَتْ، وإذا به ينهض بها شاهقة متعالية، وهي تسخر بزوبعة الأعاصير المفتعلة وتهزأ بتضليل تلك الأوهام المرجفة، معتمداً بعد الله تعالى على صلابته في المبدأ أولاً، وعلى التأييد الشعبي المتلاحق ثانياً، وعلى الأصالة والموضوعية والاستقلال لمدرسة أهل البيت ثالثاً، وكان دوره في تعميق هذا الاستقلال عظيماً لإثباته له بالبرهان والممارسة والتجديد.

((واستقلالية مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) حقيقة زمنية شاخصّة، فهي لا تستمد كيانها من السلطات القائمة، وهي لا تسير بركاب الحاكمين، وهي لا تستعين بالقوة لفرض سيطرتها على الأمّة، وهي لا تتوسل بالمال لتعزيز نفوذها، وهي لا تلجأ إلى الأساليب الشائعة في العصر للتغلغل في ضمائر الناس. بل قامت على سجيتها، فطرية الأداء عفوية الإرادة))[1].

وقد أرسى الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قواعد هذه المدرسة بتراثها الكبير على أصول صلبة بما أوتي من قوة تعبيرية وملكة بيانية، وموهبة خارقة في النقض والإبرام، وقدرة متميزة لدى تناول المسائل المعقّدة،

(١) المؤلف/ الإمام موسى بن جعفر/ ضحية الإرهاب السياسي/ ٥٣.

وهو يطرحها طرحاً موضوعياً دقيقاً، تقف مدارك القوم أمامه حائرة من جهة، ومعترفة بالعجز من جهة ثانية، حتى انتشر ذكره العطر في الآفاق انتشار النار في الحطب الجزل، فأذعنت له العلماء، وتحاشاه الفقهاء، وتقاصر عن مداه أهل الكلام.

وقد كثر تداول هذه الحقيقة تاريخياً، ودونتها أقلام الصدق بأحرف من نور في مختلف الأجيال، حتى برز في كل جيل في تأريخ الإسلام من يسجّل مآثر الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، بقدر الطاقة التي تسمح بها الظروف السياسية.

وقد عبّر الأستاذ باقر شريف القرشي عن مدى اعتداده بتلك القابليات الخلاقة التي سيّرها الإمام محمد الجواد في هدف مركزي عميق يتبنى وسائل الحفاظ على تراث أهل البيت غضاً جديداً متواصلا، يقول:

((من أروع صور الفكر والعلم في الإسلام الإمام أبو جعفر الثاني محمد الجواد(عليه السلام) الذي حوى فضائل الدنيا ومكارمها، وفجّر ينابيع الحكمة والعلم في الأرض، فكان المعلّم والرائد للنهضة العلمية والثقافية في عصره، وقد أقبل عليه العلماء والفقهاء ورواة الحديث، وطلبة الحكمة والمعارف، وهم ينتهلون من نمير علومه وآدابه، وقد روى عنه الفقهاء الشيء الكثير مما يتعلق بأحكام الشريعة الإسلامية من العبادات والمعاملات وغير ذلك من أبواب الفقه، وقد دوّنت في موسوعات الفقه والحديث.

لقد كان هذا الإمام العظيم أحد المؤسسين لفقه أهل البيت(عليهم السلام) الذي يمثّل الإبداع والأصالة وتطور الفكر. وروى عنه العلماء ألواناً ممتعة

من الحكم والآداب التي تتعلق بمكارم الأخلاق وآداب السلوك، وهي من أثمن ما أُثر عن الإسلام من غرر الحكم التي عالجت مختلف القضايا التربوية والأخلاقية))[1].

وهذا ما يدعو البحث إلى تسليط الضوء على عملية النقل الثقافي التي مهّد بها الإمام محمد الجواد(عليه السلام) لتراث جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأمير المؤمنين(عليه السلام) على سبيل الاستدلال في إشارات موحية ولقطات معبرة، وهو ما يحاوله المبحث الآتي.



(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام الجواد/ ٩.

مرويّات الإمام عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين(عليه السلام) نموذجاً

في هذا الجزء من البحث نضع أيدينا على مئات المرويّات التي ظفرنا بها مسندة في روايتها عن الإمام محمد الجواد(عليه السلام) ، وهو يرويها عن النبي(صلى الله عليه وآله)، وعن أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام)، وهي عبارة عن شذرات في الحكمة والأدب والأخلاق ورياضة النفس، تلتقط من هنا وهناك في مصادرها الرئيسية، لتزيّن جيد الزمان وصدره بلآلئها الثمينة، فيتناولها العلماء والباحثون وأهل الفضل بالدرس والتمحيص لإضاءة درب السائرين.

إنها كنوز تربوية وتهذيبية وأخلاقية في سلسلة ذهبية، تراصفت عقودها اللامعة في التوجيه والنصح الكريم، حدب على اختيارها الإمام الجواد(عليه السلام) في كوكبة من الأحاديث الشريفة المسندة.

روى الإمام محمد الجواد عن آبائه عن أمير المؤمنين أنه قال:

بعثني النبي(صلى الله عليه وآله) إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني:

((يا علي ما حار (ما خاب) من استخار، ولا ندم من استشار.

يا علي عليك بالدلجة فإن الأرض تطوى في الليل ما لا تطوى بالنهار.

يا علي اغد باسم الله، فأن الله بارك لأمتي في بكورها)).

وقال(ﷺ):

((من استفاد أخاً في الله، فقد استفاد بيتاً في الجنة))[1].

وروى الإمام محمد الجواد بسنده أن رسول الله(ﷺ) قال: ((إنّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرّم ذريتها على النار))[2].

وقد سئل(عليه السلام) عن دلالة الحديث بالتحريم على النار من الذرية، فقال: (خاصّ للحسن والحسين))[3].

وروى الإمام محمد الجواد بسنده عن جدّه رسول الله(ﷺ)، أنّه قال في حجة الوداع:

((قد كثرت علي الكذّابة، وستكثر من بعدي، فمن كذب علي متعمداً، فليتبؤ مقعده من النار))[4].

((فإذا أتاكم الحديث عنّي فاعرضوه على كتاب الله عزّ وجلّ وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به))[5].

وهذا أصل من أصول نقد متن الحديث وتمحيصه في ضوء كتاب الله وسنة رسول الله(ﷺ):

وروى الإمام محمد الجواد بسنده أن رسول الله(ﷺ) قال:

---

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ١٣٧/٣.

(٢) الصفدي/ الوافي بالوفيات/ ١٠٦/٤ + ابن طولون/ ألائمة الاثنا عشر/ ١٠٣.

(٣) الأربلي/ كشف الغمة/ ١٣٨/٣.

(٤) الطبرسي/ الاحتجاج/ ٤٧٧/٢.

(٥) المصدر نفسه والصفحة/ وينظر هذا الحديث في: البخاري/ الصحيح/ ٣٧/١.

((المرء مخبوء تحت لسانه))[1].

هذه الكوكبة من الأحاديث النبوية نموذج مما وضع البحث يده عليها، وللباحث أن يستدل بما ذكرنا على ما لم نذكر.

وأمّا مرويّات الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، عن جدّه أمير المؤمنين الإمام علي صلوات الله عليه، فقد تجاوزت حدّ الحصر والإحصاء، ويكفي أن الحافظ الضابط عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي وحده ((قد نقل أشياء رائعة وفوائد فائقة، وآداباً نافعة، وفِقَراً ناصعة من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) مما رواه الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا عن آبائه عنه(عليهم السلام)))[2].

وقد بلغ ما نقل عنه في ثلاثة وثلاثين موضعاً من المرويّات عدداً هائلاً، يشتمل بعضها على عدّة فقرات وعبارات من حِكم وعِبَر وأمثال.

وقد أثبتها الأربلي جميعها نقلاً عن كتاب الجنابذي فحسب[3].

وفيها من النوادر التي لم يشتمل عليها نهج البلاغة.

فإذا كان راوٍ واحد من الرواة ينفرد بهذا العدد الضخم من مرويّات الإمام محمد الجواد(عليه السلام) عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، فما بالك بمئات الرواة إذن!!

وسأختار لا على التعيين بعض هذه المرويّات مع التعقيب على بعضها.

---

(١) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام محمد الجواد/ ٨٤ وانظر مصدره.

(٢) الأربلي/ كشف الغمة/ ١٤٢/٣.

(٣) المصدر نفسه/ ١٣٧/٣ - ١٤٢.

١- روى الإمام محمد الجواد(عليه السلام) عن أمير المؤمنين قائلا:

((في كتاب علي بن أبي طالب(عليه السلام): إن ابن آدم أشبه شيء بالمعيار، إما راجح بعلم- وقال مرّة- أو ناقص بجهل))[١].

وفي هذا تصريح أن الإمام يروي هذا الحديث عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهو مدوّن في كتاب، وذلك دليل وراثته هذا الكتاب، أو أنّه بحوزته على الأقل، وهو يروي عنه مباشرة دون واسطة، وعليه قول ابن طلحة الشافعي، (ت ٦٥٢هـ):

((إن الأئمة من أولاد علي كانوا يعرفون الجفر رواية عن جدهم أمير المؤمنين))[٢].

ويؤكد صحة هذا الخبر ((ما هو ثابت تأريخيا من التزام عليّ(عليه السلام) بتسجيل أخبار الغيب التي سمعها من النبي(صلى الله عليه وآله) خلال امتداد عصر النبوة، وتدوين ذلك كلّه في (جفر) احتفظ به عنده.

والجفر جلد ولد الماعز، إذ لم يكن لديهم يومذاك ما يكتبون فيه غير الجلود))[٣].

بل هو والرق -جلد الغزال، أفضل ما يكتبون فيه.

٢- وروى الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قائلا:

((قال علي(عليه السلام) لأبي ذر(رضي الله عنه):

---

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ١٣٨/٣.

(٢) حاجي خليفة/ كشف الظنون/ ٥٩١/١.

(٣) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٦١

إنما غضبت لله عزّ وجلّ، فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك.

والله لو كانت السماوات والأرضون رتقاً على عبد، ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجاً، ولا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل))(١).

٣- روى الإمام محمد الجواد(عليه السلام) عن جدّه أمير المؤمنين(عليه السلام) قائلا:

((قام إلى أمير المؤمنين رجل بالبصرة، فقال أخبرنا عن الإخوان!!

فقال الإخوان: صنفان: إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة.

فأما إخوان الثقة فهم كالكف والجناح، والأهل ،والمال. فإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل مالك ويدك، وصافِ من صافاه وعاد من عاداه واكتم سرّه وأعنه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل إنهم أعزّ من الكبريت الأحمر.

وأمّا إخوان المكاشرة، فإنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان))(٢).

وفي إجابة الإمام تقييم موضوعي دقيق لطرفي أصناف الناس في إخائهم وصداقتهم وتحليل فريد لتراجيدية الأحوال، ودراسة تصحيحية لأولاع البشر ومكنونات الضمائر والسلوك بين القسمين.

---

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/ ١٣٨.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٨/ ٥٨.

فالإخوان بحسب تصنيف أمير المؤمنين نوعان: إخوان الثقة والصدق، وإخوان تطييب الخواطر وهزّ المشاعر دون صفاء النفس وصدق النيّة، وهم هكذا دائماً وأبدا.

فلا يطلبنّ الإنسان أكثر من هذا. والاندماج معهم بقدره مما يظهر على الوجه من طلاقة، وعلى اللسان من حلاوة.

أما أولئك النوادر من أصدقاء الشدّة فعليهم المعوّل في الأزمات فهم بمنزلة الكف من اليد، والجناح من الطائر، وهم بمقام الأهل في الشفقة، وهم كحساب المال في تلبية الاحتياج، ولهم الودّ الخالص في المصافاة ومعاداة الأعداء وكتم الأسرار، وإظهار شمائل الحسن، على عزّتهم وندرتهم.

٤- روى الإمام محمد الجواد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) كوكبة من الحكم والشوارد والأمثال لإنارة درب السالكين، واستصلاح نوازع الخلق الإنساني ودفعه إلى الخير المطلق. قال أمير المؤمنين(عليه السلام):

ومن وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمر. والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلا مؤمن أمين.

والتوكل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو.

والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور.

وغاية الزهد الورع.

ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال مثل الطمع. وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تصرف البليّة. ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر.

ومن عاب عِيب، ومن شَتم أُجيب.

ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى[1].

٥- وفي استطالة النعم وقرارها وفرارها، وفي عظمتها لدى احتياج الناس، وفي زوالها لعدم احتمال مؤنة الآخرين، وفي اصطناع المعروف حين يكون أهله أحوج إليه من أهل حاجته، نضع أيدينا على ثلاثة أحاديث يرويها الإمام عن جدّه أمير المؤمنين:

الأول، قوله(عليه السلام): إن لله عباداً يخصّهم بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها إلى غيرهم.

الثاني، قوله(عليه السلام): ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مؤنة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرّض النعمة للزوال.

الثالث، قوله(عليه السلام): ((أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه، لأنَّ لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف، فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره))[2].

٦- ويزفّ البحث إلى المتّعظين والمعتبرين وذوي الحجى، طائفة من شوارد وأوابد كلام إمام البلغاء أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) فيما رواه عنه الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

قال أمير المؤمنين: ((العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى،

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/١٣٨.

(٢) المصدر نفسه/ ٣/١٣٨- ١٣٩.

والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الخلق، والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقلل زينة القناعة، وترك المنّ زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، وترك ما لا يعني زينة الورع))[1].

٧- وللإمام علي(عليه السلام) في توجيه النفس الإنسانية، ورفع مستواها التفكيري والعقلي، واستلهام عوالم التربية المثلى، وإعداد الفرد المسلم إعداداً يتناسب مع ثقل المسؤولية، وذلك مما رواه الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قاصداً إليه، ومؤكداً عليه، عسى أن يهتدي به الناس في السلوك، وأن يجعلوه معياراً دقيقاً في رصد مظاهر العفة والكمال.

قال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام):

((حسب المرء من كمال المروءة، تركه ما لا يجمل به، ومن حيائه: أن لا يلقى أحداً بما يكره، ومن عقله حسن رفقه، ومن أدبه أن لا يترك ما لا بد له منه، ومن عرفانه علمه بزمانه، ومن ورعه غض بصره وعفة بطنه، ومن حسن خلقه كفه أذاه، ومن سخائه برّه بمن يجب حقّه عليه، وإخراجه حقّ الله من ماله، ومن إسلامه تركه ما لا يعنيه، وتجنّبه الجدال والمراء في دينه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن صبره قلّة شكواه، ومن عقله إنصافه من نفسه، ومن حلمه تركه الغضب عند مخالفته، ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له، ومن نصحه

---

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/١٣٩.

نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه جوارك تركه توبيخك عند إسائتك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك عند غضبك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة أذاك، ومن صداقته كثرة موافقته وقلّة مخالفته،ومن صلاحه شدّة خوفه من ذنوبه، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن حكمته عمله بنفسه، ومن سلامته قلّة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بإصلاح عيوبه))[1]..

٨- وفي لغة بلاغية بارعة، يضع أمير المؤمنين طائفة من الإشارات الموحية والدلائل اللائحة للالتزام بمصادر الشرع المقدس، واستقراء تعليمات الإسلام، في نوادر منا لحكم والأمثال السائرة، يرويها حفيدُه الإمام محمد الجواد عنه:

أ- العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به: شركاء!!

ب- يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم.

ج- لن يستكمل العبدُ حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

د-الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها.

هـ- لو سكت الجاهل ما اختلف الناس.

و- مقتل الرجل بين لحييه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير.

---

(١) الأربلي/ كشف الغمة/ ٣/ ١٤٠.

ز- كفر النعمة داعية للمقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك **أكثرَ مما أخذ منك.**

ح- من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان[1].

٩- وهناك ملحمة روائية عظمى يرويها الإمام محمد الجواد(ع)، عن آبائه متسلسلا عن أمير المؤمنين(ع)، فيها مدّخرات الحياة العقلية في توجيه الإنسانية تلقائياً إلى ارتقاء مدارج الخلود، وبها من بناء الهيئة الاجتماعية ترسيخ أصول الحضارة، وعليها من نفح النبوة أرَجِ العبير، ومن شذا الإمامة مِسك التعبير، ملئت بالحقائق الجمّة، وازدهرت بالعِظات البليغة، واشتملت على المُثل العليا، واستوعب آداب الإسلام، واستقطبت كثيراً من شؤون الدين والدنيا، فهي مرويّاتٌ عن إمام البلغاء علي أمير المؤمنين(ع)، وكفى بذلك شاهداً ميدانياً على ما نقول؛ فقد أورد الشيخ الصدوق "قدس سره"، بسنده عن الإمام العالم الأجلّ الموقّر الثقة الثبت السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني؛ قال:

((قلت لأبي جعفر محمد بن علي الرضا(ع):

يا ابن رسول الله، حدثني بحديث عن آبائك(ع).

فقال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه(ع)، قال:

قال أمير المؤمنين(ع):

لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استووا هلكوا.

---

(١) المصدر نفسه/ ١٤٠- ١٤٢.

قال: فقلت له زدني يا ابن رسول الله، قال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): لو تكاشفتم ما تدافنتم.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال: حدثني أبي عن جدّي عن آبائه، قال: قال أمير المؤمنين(عليه السلام): إنّكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فأني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام):من عتب على الزمان طالت معتبته.

فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): قيمة كلّ امرئ ما يحسنه.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): المرء مخبوء تحت لسانه.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): ما هلك امرء عرف قدره.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم.

قال: فقلت زدني يا ابن رسول الله، قال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام) فقال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): من وثق بالزمان صُرِع.

قال: فقلت زدني يا ابن رسول الله، فقال:

حدثني أبي عن جدّي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): خاطَر بنفسه من استغنى.

قال: فقلت زدني يا ابن رسول الله، فقال:

حدثني أبي عن جدّي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): قلّة العيال أحد اليسارين.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين:من دخله العجب هلك.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين: من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال:

حدثني أبي عن جدي عن آبائه(عليهم السلام)، قال:

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): من رضيَ بالعافية ممن دونه، رُزق السلامةَ ممن فوقه.

قال فقلت له حسبي[1].

وأنت ترى هذا التسلسل في الرواية من الجواد عن أبيه عن جدّه عن آبائه عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهو أرقى درجة إسناد في علم الرواية، وأرقى درجة مضمون في علم الدراية، وهو بعد كغيره مما سبقه من المرويّات النابضة بالحركة والحياة الحرّة الكريمة، سيلٌ متدافعُ الأمواج يغترف من ذلك البحر المحيط لأمير المؤمنين، وما أورده الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، في هذه المرويّات بسلسلتها الذهبية في الإسناد، وقوة مداليلها في الأداء والبيان، لَيَعَدُّ في أعلى مراتب الصدور، وأبهى حلل المتن في الحديث، مضامين ومفاهيم وتوجيهاً.

(١) الصدوق/ عيون أخبار الرضا/ ٢/٥٣- ٥٤.

وفي ظل مرويّات الإمام محمد الجواد عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، يؤخذ بعين الاعتبار ما رواه عن أبيه الإمام الرضا وجدّه الإمام الكاظم، وما روى عن الإمامين الصادق والباقر(عليهما السلام) أجمعين، وكذلك ما رواه عن بقية الأئمة الطاهرين، وكلّ أولئك مما يشكّل ثروة حضارية متجددة، وثورة إنسانية متطورة.

وهكذا تراث أئمة أهل البيت(عليهم السلام): كنزٌ من المعارف لا يفنى، ومَعينٌ من الثقافة لا ينضب، وجِدّة من العلوم لا تبلى.



الدور الريادي لتلامذة الإمام في نشر تراثه الخالد

وكان تلامذة الإمام محمد الجواد(عليه السلام) مزيجاً ثقافياً في التلقّي المعرفي بينه وبين أبيه في طائفة كثيرة، ووليداً حضارياً في الإفادة منه ومن ولده الإمام الهادي(عليه السلام) في جمهرة منهم،وقد عكفوا -بجدٍّ وإخلاص- على رواية حديثه ،وتدوين مروياته بما أبقى لنا ثروةً تراثيةً لا نظير لها في الأصالة والعمق والإبداع.

وكان نصيب هؤلاء الأفذاذ من وراء هذا الجهد الخلاق:

التواري عن السلطة والحذر من الطواغيت، والحرب التي لا هوادة فيها على جبهتين من النضال: منع الأرزاق وقطع الأعناق، وكفى فيهما حاجزاً عن التقرّب لأئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ولكنها التضحية المرّة في سبيل المبدأ والعقيدة.

وفي هذا الضوء لم يكن طريق هؤلاء البررة معبداً بالورود، إذن بل هو شائك ومخيفٌ حقّاً، فلا يأمل أصحاب الأئمة من الحاكمين إلا الذلَّ والمطاردة، ولم يحصدوا جرّاء ذلك إلا الإرهاب الدموي، والألم النفسي، فالرقابة الظالمة والإرصاد الأمني، والملاحقة الطائشة، والتشريد والإبعاد والتغريب، مفردات اعتيادية في معجم الاضطهاد السياسي لأولياء أهل البيت(عليهم السلام) ومبادئهم الإنسانية.

يقول الأستاذ باقر شريف القرشي دام عِزّه:

((والشيء الذي يدعو إلى الاعتزاز بأصحاب الأئمة(عليهم السلام) هو أنهم قد جهدوا في ملازمة الأئمة وتدوين حديثهم في وقتٍ كان من أعسر الأوقات وأشدّها حراجةً، وأعظمها ضيقاً، فقد ضربت الحكومات العباسية الحصار الشديد على الأئمة، ومنعت من الاتصال بهم، لئلا تتبعهم الجماهير الإسلامية، وقد بلغ من الضيق على العلماء الرواة أنهم كانوا لا يستطيعون أن يجهروا باسم أحد الأئمة الذين أخذوا الحديث عنه، وإنما كانوا يلمحون إليه ببعض أوصافه وسماته من دون التصريح باسمه خوفاً من القتل والسجن))[1].

والظاهرة الجديرة بالذكر أنَّ الأئمة السابقين من آباء الإمام محمد الجواد(عليهم السلام) ومن عهد الإمام محمد الباقر(عليه السلام) حتى عهده الزاهر، قد مهّدوا لمبادئ أهل البيت تركيزاً مكثفاً في بلورة الفكر الإمامي من خلال تلامذتهم وأصحابهم ورواة حديثهم، حيث افترشوا مساحةً كبرى في آفاق الدنيا دعاة ووكلاء ومبشّرين، ولمّا آلت الإمامة إلى الإمام محمد الجواد تضاعف هذا الزخم المتصاعد من التلامذة والوكلاء في مغرب الدولة الإسلامية ووسطها ومشرقها، إذ كانت إمامته حدثاً عالمياً جديداً قد اقترن في أبعاده بظاهرة الصبا، وهي ظاهرة غريبة على العالم الإسلامي، وقد اقترنت ظاهرة الصبا هذه بظاهرة التحدي، وكان هذا التحدي صامداً أمام تلك الإشاعات والأراجيف، وحينما أثبتت الإمامة المبكرة في تجاربها المذهلة صدق الدعوى، وأظهر الاختبار المتعدد صحة

---

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام الجواد/ ١٣٣.

المنصب الإلهي، كان ذلك دعماً لمبدأ أهل البيت في إناطة الإمامة، فقد يُعهد بها للصغير في عمره كما هي للكبير في منظور واحد، لكونها منحةً ربانية غير خاضعة لمقاييس الحكم البشري، انطلاقاً من قوله تعالى: **﴿وآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾**[1].

ولّما كانت النبوة هي التي شرعت منصب الإمامة، كانت الإمامة امتداداً شرعياً للنبوة، وكان الاحتجاج في الإثبات والمثبت هو عين الاحتجاج للنبوة من باب أولى باعتبار النبوة منصباً أعلى من الإمامة.

وكان لهذا الحدث تأثيره المباشر في التفاف الشعب المسلم الرسالي حول الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ومع أن عمره الشريف لم يمتد به زمناً طويلا بل اخترم في أول الشباب، فإنَّ الاندفاع الواعي وراء الإمام قد بلغ ذروته في التفاعل، مما خلق طبقة من التلامذة والأصحاب الأقربين قد امتازوا بالضبط والجدّ في نشر تراثه في الآفاق، فكان لهم السبق المجلّي في هذا المضمار.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين دام علاه:

((وقد رجع إليه –يعني الإمام محمد الجواد– وأفاد منه الطلاب الدارسون، والفقهاء الراغبون في الوقوف على اللباب الديني الأصيل، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل. وكلمة حق يجب أن تقال:

((إنَّ الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام على تراثه العظيم، وما حمل من فكر وعطاء، إنما يعود إلى أولئك الرواة عنه،

---

(١) سورة مريم، ١٢.

والمشافهين له الذين سمعوا منه ذلك، فحدثوا به، وأبلغوه إلى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالإفادة منه والإطلاع عليه، والاهتداء بأنواره الدالّة على سواء السبيل، ونخصّ منهم بالذكر أولئك الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك أمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات تحفظها من الضياع، وتحميها من النسيان، وكان فيهم مَن بَوَّبَ تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من جمع ما سمع في مجموعات أطلق عليها في فهارس ذلك العصر اسم (النوادر) أو (كتاب المسائل)))[1].

ولك أن تقف مبهوراً أو مغتبطاً بوقت أوحد عند هؤلاء الباحثين الموضوعيين في جهودهم العلمية بعامّة، والفقهية بخاصّة، إذ حدبوا علي التقاط الشوارد والأوابد من آراء الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ودوّنوا أمهات المسائل والنوادر من فتاواه وأقواله، فأبقووا لنا تراثاً ضخماً ما كان ليتسنى معرفته لولا حفظهم له في التدوين، وانكبابهم عليه في التأليف، ولئن فجعتنا حوادث الزمن بأغلب هذه الكتب، ونكبتنا ظروف الفتن الطائفية خاصة في العصر السلجوقي ببغداد في القرن الخامس الهجري، فذهب أعزّ تلك الآثار بين النهب والسلب، وتشتت القسم الأوفر منها بين التلف والإحراق والإغراق المتعمد، فإنَّ الله عزّ وجلّ قد عوضنا عن بعض أعيانها بالنقول عنها في كتب أخرى قدّرت لها السلامة من تلك النوازل، وخلص لنا من هذا وذاك ما ُقُوِم به الأود والخلل، فشملنا نصيب وإن لم يكن الأوفى من هذا التراث، وكان عليه المعوّل في الاستنباط والفتوى.

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٧٣.

ولم تكن عدة هؤلاء المؤلفين -من ذوي الفضل الكبير والأيادي المشكورة- قليلة، بل هي كثيرة في الإحصاء بما وقع لنا، إذ تجاوز عددهم العشرة بعد المائة من المصنّفين.

وقد أفرد لهم الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين مبحثاً خاصّاً، اشتمل على جريدة بأسمائهم وأسماء مؤلفاتهم، وكانت عدّتهم لديه(١٠٧)من أصحاب الكتب والمؤلفات، مع ذكره لأسماء كتبهم ومدوناتهم والمصنفات، معتمداً على ما حققه الرجالي المتخصّص الشيخ عناية الله القهبائي في القرن الحادي عشر الهجري، من جمعه لرجال الكشي وابن الغضائري والنجاشي والشيخ الطوسي بما أسماه (مجمع الرجال) في سبعة أجزاء.

كما رجع إلى ما ذكره ابن النديم في الفهرست[1].

وقد بلغ مجموع هذه المصنفات المروية عن الإمام محمد الجواد(عليه السلام) أو المتضمنة لرأيه ورأي آبائه، مئات الكتب الفريدة في دقّتها وتخصّصها، وللتدليل على مدى هذه الكثرة، واستيعاب المعارف الإنسانية، نضرب أنموذجا مثالياً بما حققه وأنجزه مؤلف واحد، وهو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن خالد عبد الرحمن البرقي الكوفي (ت ٢٧٤-٢٨٠هـ)، وقد عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام محمد الجواد ومن أصحاب الإمام عليٍّ الهادي(عليه السلام) وقد امتد به العمر إلى عصر الغيبة الصغرى، ومعنى هذا أنه أدرك أربعة من أئمة أهل البيت هم الجواد والهادي والعسكري والحجة المنتظر(عليهم السلام).

---

(١) ظ: محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٧٤- ٩٠.

ويبدو أنّ الرجل كان موسوعياً، فصنّف في شتى العلوم كتباً كثيرة، نؤكد منها ما ذكره الشيخ القهبائي[١] وأورده ابن النديم[٢]. وفهرسه محمد حسن آل ياسين[٣].

وقد بلغ مجموع ذلك عشرة ومائة من المؤلفات هي:

كتاب الإبلاغ/ كتاب الأجناس والحيوان/ كتاب الاحتجاج/ كتاب أحكام الأنبياء والرسل/ كتاب أخبار الأمم/ كتاب اختلاف الحديث/ كتاب أخصّ الأعمال/ كتاب الإخوان/ كتاب آداب المعاشرة/ كتاب آداب النفس/ كتاب الأركان/ كتاب الأزاهير/ كتاب الأشكال والقرائن/ كتاب أفاضل الأعمال/ كتاب الأفانين/ كتاب الامتحان/ كتاب الأمثال/ كتاب الأمم/ كتاب الأوائل/ كتاب الأوامر والزواجر/ كتاب بدء خلق إبليس والجن/ كتاب البلدان والمساحة/ كتاب بنات النبي وأزواجه/ كتاب التأريخ/ كتاب التأويل/ كتاب التبصرة/ كتاب التبيان/ كتاب التجمّل/ كتاب التحذير/ كتاب التخويف/ كتاب التراحم والتعاطف/ كتاب الترغيب/ كتاب التسلية/ كتاب التعازي/ كتاب التعويض/ كتاب التفسير/ كتاب تفسير الأحاديث وأحكامها/ كتاب التهاني/ كتاب التهذيب/ كتاب الثواب/ كتاب ثواب القرآن/ كتاب جداول الحكمة/ كتاب الجمل/ كتاب الحبوة/ كتاب الحقائق/ كتاب الحياة - وهو كتاب النور والرحمة/ كتاب الحِيَل/ كتاب خلق السماء والأرض/ كتاب الدعاء/ كتاب الدعابة والمزاح/ كتاب الدواجن والرواجن/ كتاب ذكر

(١) ظ: القهبائي/ معجم الرجال ١/١٣٩- ١٤٣/ طبعة طهران/ ١٣٨٤هـ.

(٢) ظ: ابن النديم/ الفهرست/ ٢٧٧/ طبعة طهران/ ١٣٩١هـ.

(٣) ظ: محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٧٥- ٨١.

الكعبة/ كتاب الرؤيا/ كتاب الرياضة/ كتاب الزجر والفأل/ كتاب الزهد والمواعظ/ كتاب الزيّ/ كتاب الزينة/ كتاب السفر/ كتاب الشعر والشعراء/ كتاب الشواهد من كتاب الله عزّ وجلّ/ كتاب الشوم، كتاب الصفوة، كتاب صوم الأيام/ كتاب الصيانة/ كتاب الطب/ كتاب طبقات الرجال/ كتاب الطيب/ كتاب الطيرة/ كتاب العجائب/ كتاب العقاب/ كتاب العقل/ كتاب العقوبات/ كتاب العيافة والقيافة/ كتاب العين/ كتاب الغرائب/ كتاب الفراسة/ كتاب الفروق/ كتاب فضل القرآن/ كتاب الفهم/ كتاب القريب/ كتاب ما خاطب الله به خلقه/ كتاب المآثر والأنساب/ كتاب المأكل/ كتاب الماء/ كتاب المحاسن/ كتاب المحبوبات والمكروهات/ كتاب مذام الأخلاق/ كتاب مذام الأفعال/ كتاب المراشد/ كتاب ا لمرافق/ كتاب المساجد الأربعة/ كتاب المستحبات/ كتاب مصابيح الظلم/ كتاب المصالح/ كتاب المعاريض/ كتاب المعاني والتحريف/ كتاب المعيشة/ كتاب مغازي النبي(ﷺ) / كتاب مكارم الأخلاق/ كتاب المكاسب/ كتاب المنافع/ كتاب المواهب، والحظوظ/ كتاب النجابة/ كتاب النجوم/ كتاب النحو/ كتاب النساء/ كتاب النوادر/ كتاب الهداية.

ويبدو أن البر في هذا المختار من مؤلفاته الهائلة، ليس موسوعياً فحسب بل من المغرقين في الموسوعية بحيث اشتملت قائمة مصنفاته على مفردات أغلب العلوم الإنسانية والصرفة، يضاف إليهما العلوم التكميلية لشتى المعارف.

لقد ألّف البرقي في علوم القرآن والتفسير والحديث والرواية والرجال والفقه والأحكام والكلام والاحتجاج والعقائد والفلك

والنجوم والجغرافيا والهندسة والموازين، والخلق والنشأة والبلدان والخطط، والتأريخ والتراجم والسيرة، وعلم النفس وعلم الاجتماع وحياة الكائنات، والتهاني والتعازي، والتراحم التعاطف، والترغيب والترهيب، والتسلية والتهذيب، والأرض والسماء والعالم، والحكمة والرياضة والفلسفة، والزهد والقناعة، والموعظة، والأدب والشعر والشواهد، والطب والصيدلة والصيانة، والعيافة والقيافة والزجر والفأل، والفراسة والفروق، والأنساب والطبقات والمآثر، والمحاسن والمساوئ والأضداد، والأكل والشرب والمستحبات، والتعريض والكناية والرمز ،والمعاني والمغازي، والمكاسب والمنافع، والمواهب والحظوظ، النساء والنوادر، وغير ذلك.

هذا أنموذج رفيع لعالم موسوعي كتب وألف وناظر وحاور ونقّب وحدّث، وحاول وطاول، وأراد أن يُلمّ بأشتات عوالم الفنون الشائعة بعصره، وأن يتمحّض لها جميعاً، ليقدم فيها دراسات تخصصيّة، قل، نظيرها، وعزّ أن تجتمع إفاضاتها في رجل واحد من تلامذة الإمامين الجواد والهادي(عليهما السلام)، وكان سوق الورّاقين رائجاً في بغداد، ومهمّته استنساخ الكتب، فهو يقوم بدور الطباعة اليوم، وطبيعي أنَّ هذه المؤلفات قد تناولها الورّاقون بالنسخ والتجليد، وقدموها بحفاوة إلى القارئ المسلم، ومن هنا ينطلق انتشارها، وهنا تكمُن إفادتها، فلله درّ البرقي وأمره.

فإذا تركنا جانب الموسوعية المترامية الأطراف، ووقفنا عند التخصّص الدقيق عند تلامذة الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، لرأينا الحسين بن

سعيد بن حماد الكوفي الأهوازي، وهو ثقة، قد وقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ خمسة آلاف وعشرين مورداً، كما ذكر ذلك سيدنا الأستاذ الخوئي[1].

وقد روى عن الإمام موسى بن جعفر، وأبي الحسن الإمام علي بن موسى الرضا، وأبي جعفر الإمام محمد الجواد(عليهم السلام).

وقد ترك لنا كنزاً علميا أصيلاً، كان أغلبه في علم الفقه وفروعه، ومفرداته تسجّل الأحكام في العبادات والمعاملات وكبريات مسائل الشريعة الغرّاء، مما شكّل مدرسة تخصّصية لا غنى الأساطين العلم من مراجعتها ومدارستها، واستنباط الأحكام من خلال الرجوع إلى رواياتها في شتى مسائل الفقه في أبرز موضوعاتها المتسلسلة ابتداءاً بالعبادات ومروراً بالعقود والحدود والديات، وانتهاءً بالمواريث.

وإليك بعض نماذجها مرتبةً على طريقة (الألفباء) كما سبق ذلك في كتب أحمد بن محمد البرقي:

كتاب الأيمان والنذور والكفارات/ كتاب التجارات والإجارات/ كتاب الحج/ كتاب الحدود/ كتاب الخُمس/ كتاب الديّات/ كتاب الزكاة/ كتاب الشهادات/ كتاب الصلاة/ كتاب الصوم/ كتاب الصيد والذبائح/ كتاب الطلاق/ كتاب العتق والتدبر والمكاتبة/ كتاب الفرائض/ كتاب المكاسب/ كتاب النكاح/ كتاب الوصايا/ كتاب الوضوء. وأمثالها[2].

---

(١) الخوئي/ معجم رجال الحديث/ ٢٤٨/٥.

(٢) ظ:ابن النديم/ الفهرست/ ٢٧٧ + القهبائي/ معجم الرجال/ ١٧٩/٢ + محمد حسن آل ياسين ألكاظمي/ الإمام علي بن موسى الرضا/ ١٤٠- ١٤٢.

فهذه ثمانية عشر أثراً علمياً في موضوع الفقه وحده.

ولم يكن ليُهمل جوانب أخرى من الموضوعات الدائرة في فلك التفسير والعقائد وحقوق المؤمن، والردّ على الغلاة، والزهد، والمزار والمروءة والتجمل، والمثالب، والمناقب، والملاحم، وكان أهمها:

كتاب تفسير القرآن/ كتاب التقية/ كتاب حقوق المؤمنين/ كتاب الدعاء/ كتاب الردّ على الغلاة/ كتاب الزهد/ كتاب المؤمن/ كتاب المثالب/ كتاب المروءة والتجمل/ كتاب المزار/ كتاب الملاحم/ كتاب المناقب/ وسوى ذلك[1].

وعلى هذين الباحثين يقاس جملة من المؤلفين من تلامذة الإمام محمد الجواد وأصحابه: أمثال علي بن مهزيار الذي ذكر له النجاشي وحده أربعة وثلاثين كتاباً في شتى الفنون والعلوم[2].

أما رواة حديث الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وخريجوا مدرسته العلمية فهم جمع كثير وجمهور غفير.

وقد أحصى الأستاذ باقر شريف القرشي منهم مائة واثنين وثلاثين نفراً، ضمّت تراجمهم كتب الرجال وفهارس التحقيق من أعلام الرواية والجرح والتعديل[3].

وقد أحصى الشيخ العطاردي صاحب مسند الإمام محمد الجواد(عليه السلام) مائة وواحداً وعشرين راوياً من رواة أحاديث الإمام(عليه السلام)،

---

(١) ظ: المصادر السابقة/ نفسها والصفحات.

(٢) ظ: النجاشي/ رجال النجاشي/ ٢٥٣.

(٣) ظ: باقر القرشي/ حياة الإمام الجواد/ ١٣٤- ١٨٦.

بما فيهم أصحابه ووكلاءه وخواصّه الذي يمثّلون طائفة من كبار الفقهاء، ووجوه الطالبيين والطالبيات، وشعراء الإمام، ومن حَضِي بخدمة الإمام في عصر أبيه الرضا(عليه السلام).

بينما أحصى السيد محمد كاظم القزويني في كتابه (الإمام الجواد من المهد إلى اللحد) مائتين وخمسة وسبعين راوياً من الرجال والنساء والأصحاب بعنوان: أصحاب الإمام الجواد[1].

وهكذا نجد تلامذة ورواة الإمام محمد الجواد الخاصّين به في هذا الكم الجيد من الأعداد، وفي ذلك الكيف المقبول لدى علماء الرواية، ذلك مع ملاحقة السلطات لهم ومطاردة أجهزة الأمن والرصد لأشخاصهم، ومراقبة نشاطهم حتى العلميّ منه، ومع ذلك كلّه، فقد ظهر لهؤلاء من الآثار ما بقي خالداً مع الزمن.

ولم يكن هؤلاء الرجال من المناكير ولا المجاهيل ولا سواد الناس، بل كانوا في أغلبيتهم المطلقة من أهل العلم ورجال الصناعة، ولم يكونوا مغمورين بل هم إلى الشهرة والمعرفة أقرب فأقرب، وقد عرض لترجمة كلٍّ منهم الأعلام من الرواة والمؤلفين وأصحاب الفهارس ورجال المعاجم، وجمهور المحدّثين من الإمامية، وعلماء التصنيف والببلوغرافيا، ولم يبخسوا كلّ ذي حقٍّ حقّه، وكان أبرزهم في ذكرهم من نذكره:

البرقي في الرجال/ الكشي في الرجال/ النجاشي في الرجال/ الطوسي في الفهرست/ ابن الغضائري في الضعفاء/ الصفدي في الوافي

(١) ظ: المجمع العالمي لأهل البيت/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ٢٠٩.

بالوفيات/ ابن النديم في الفهرست/ الأربلي في كشف الغمة/ ابن خلكان في وفيات الأعيان/ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة/ سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص/ الذهبي في سير أعلام النبلاء/ اليافعي في مرآة الجنان/ والصباغ في الفصول المهمة/ والمامقاني في تنقيح المقال/ والمجلسي في بحار الأنوار/ والقهبائي في مجمع الرجال/ واغابزرك في الذريعة/ والأستاذ الخوئي في معجم رجال الحديث وسوى هؤلاء.

ومن رغب في الإطلاع على أحوالهم وطبقاتهم في الحديث الوثاقة أو التعديل فلديه المتسع من الموارد هناك.



الألفاظ الجارية مجرى الأمثال
في تراث الإمام

وإتماماً للبحث فأنَّ طبيعته التراثية تقتضي أن نورد جزءاً مما أفاد به الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، من حِكم ووصايا، ومواعظ وآداب، وشوارد ونوادر تجري مجرى الأمثال في ألفاظها السائرة، باعتبارها شريحة من تراث الإمامة. وغني عن البيان أنها في ذروة البلاغة في الأداء البياني. ودقة العبارة في إيجاز القول، وكان اختيارنا لهذه الألفاظ من مصادرها الأولى يتحرى الاختصار المركّز دون الإطناب المُمل، وقد رتبتها على طريقة الالفباء جرياً على عادتنا في مثل هذه الموارد ليسهل تناولها وينتشر تداولها، وينتظم عقدها في سلك ذهبي موصول الحلقات ببلغرافياً، فيلتقي البعد الفني بالبعد الديني بإطار موحّد، ومن ثم يقترن الشكل بالمضمون في صورته الأدبية.

وكانت مصادر هذه الشذرات المختارة، ومراجع ثبتها كتب التراث والأدب والتراجم والسيرة والنوادر، التي عرضت لها، وانتشرت بين طيّاتها، وأبرزها:

ابن شعبة/ تحف العقول + الأربلي/ كشف الغمة + اليافعي/ مرآة الجنان + الأمير ورّام/ مجموعة ورّام+ ابن الصباغ المالكي/ الفصول المهمة + الحر العاملي/ وسائل الشيعة + ابن حجر/ الصواعق المحرقة+ الأمين الحسيني/ أعيان الشيعة + هاشم معروف الحسني/ سيرة الأئمة

الإثني عشر + باقر شريف القرشي/ حياة الإمام الجواد+ محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ وسواها.

وكان دور البحث فيها الاختيار والتنظيم، وجهده ينصب بذلك في التنقيب عنها بهذا المصادر والمراجع وسواها، والهدف منها توعية الجيل الرسالي بأفكارها، وإصلاح المجتمع الإنساني بآثارها، فهي في المكان الرحب الأوسع من النصح والإرشاد والإضاءة، وحسبها أنها صدرت من بيت وحي النبوة ومهبط الرسالة.



(أ)

- إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له.
- الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة.
- إتئذ تصب أو تكد.
- إياك ومصاحبة الشرير فأنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره.
- إذا نزل القضاء ضاق الفضاء.
- اعلموا إن التقوى عزّ، وإنّ العلم كنز، وإنّ الصمت نور.
- اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق واصطبر عما لا تحب فيما يدعوك إلى الهوى.
- أربع خصّال تعين المرء على العمل:الصحة والغنى والعلم والتوفيق.
- أفضل العبادة الإخلاص.

(ت)

- تأخير التوبة اغترار، وطول التسويق حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.
- التحفظ على قدر الخوف.

(ث)

- الثقة بالله تعالى ثمن لكلِّ غالٍ، وسُلّمٌ لكلِّ عالٍ.
- ثلاثة يبلُغن بالعبد رضوانَ الله تعالى:

كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة.

وثلاث من كُن فيه لم يندم:

ترك العجلة، ولين الجانب، والتوكل على الله عند العزم.

(ج)

- الجمالُ في اللسان، والكمالُ في العقل.

(ح)

- الحوائجُ تطلب بالرجاء، وهي تنزلُ بالقضاء.

(ر)

- راكبُ الشهواتِ لا تقالُ عثرته.

(س)

- السؤدد كلُّ السؤدد لمن اتقى ربّه.

(ش)

- الشريف كلُّ الشريف مَن شرفه علمُه.

(ط)

- الطمعُ على قدر النيل.

(ع)

- عزُّ المؤمن غناهُ عن الناس.
- العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم.
- العافيةُ أحسنُ عطاء.

(ق)

- قد عاداك من سترَ عنك الرشد إتّباعاً لما تهواه.

(ك)

- كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه.
- كفى بالمرء خيانةً أن يكون أميناً للخونة.

(ل)

- لا تعادِ أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسناً فإنّه لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيه فلا تعادِه.
- لا تكن ولياً لله في العلانية، وعدواً له في السر.
- لا يضرّك سخطُ مَن رضاهُ الجور.
- لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغهِ فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأمل فتقسو قلبوكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم.

(م)

- من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده.

- من أصغى إلى ناطق فقد عَبَده، فإن كان الناطق عن الله فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عَبَدَ إبليس.

- المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصّال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه.

- من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

- من أطاع هواه أعطى عدوه مناه.

- من هجر المداراة قاربه المكروه.

- من لم يعرف الموارد أعيته المصادر.

- من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة، فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة.

- من عتب من غير ارتياب أعتب من غير استعتاب.

- من لم يرضَ من أخيه بحسن النية لم يرض بالعطية،

- من وعض أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه.

- ماهدم الدين مثل البدع، ولا أزال الوقار مثل الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تُصرف البلية.

- ما استوى رجلان في حسب ودين إلا كان أفضلهما عند الله أدبهما.

- من شَتَمَ أجيب، ومن تهوّر أجيب.

- من طلب البقاء فليُعدّ للمصائب قلباً صبوراً.
- من عمل بغير علم كان ما أفسد أكثر مما أصلح.
- مقتل الرجل بين فكّيه.
- من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان.
- ما شكر الله أحدٌ على نعمة أنعمها عليه إلا استوجب بذلك المزيد قبل أن يظهر على لسانه.
- موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر.
- من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه.
- من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل.
- من كتم همّه سقم جسده.

(ن)

- نعمةٌ لا تُشكرْ سيئةٌ لا تُغفر.
- الناس أشكال، وكلٌّ يعملُ على شاكلته.
- الناس إخوان، فمن كانت أخوته في غير ذات الله، فإنها تعودُ عداوة، وذلك قول الله عزّ وجلّ:
- ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾[١].

(١) سورة الزخرف، ٦٧.

(ي)

- يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم.



وبهذه الألفاظ الجارية مجرى الأمثال من أقوال سيدنا ومولانا الإمام محمد الجواد(عليه السلام) يكون مسك الختام لهذا الفصل من الكتاب.

الفصل الخامس

الإمام محمد الجواد (عليه السلام).... فقاهة

١ـ مسائل ذات أهمية خاصة.

٢ـ يحيى بن أكثم في مُسائلةِ الإمام (عليه السلام).

٣ـ الإمام (عليه السلام) وفقهاء عصره في بلاط المعتصم.

٤ـ علل الأحكام عند الإمام (عليه السلام).

مسائل ذات أهمية خاصّة

سبق القول أن الإمام محمد الجواد(عليه السلام) أعلم الأمة في أحكام الشريعة وأفقه الناس في الدين، وقد أثبتت التجارب الاختبارية صدق هذا الملحظ بما لا يقبل الشك،وعاد واضحاً في المناخ العلمي أسبقية الإمام إلى استنباط الأحكام من ينابيعها الأولى مِن دون الرجوع إلى أساتيذ أوشيوخ، فهو نسيج وحده باعتباره الوريث الشرعي لعلم أهل البيت(عليهم السلام)، حتى قال سبط ابن الجوزي عنه:

((كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود))[1].

ومصادر التشريع عند الإمامية:الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ولا يعنينا في هذا البحث الخوض في الاستدلال على صحة هذا المنهج ورصانته، فقد سبق القول فيه بما سبق من البحوث المخصّصة له في هذه الموسوعة[2].

والذي نودّ الإشارة إليه هنا أن السنة عند الإمامية تشمل قول المعصوم وفعله وتقريره، والمعصوم عندهم يتحقق حصراً: بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام والأئمة الإثني عشر من أهل البيت(عليهم السلام).

---

(١) سبط ابن الجوزي/تذكرة الخواص/ ٣٦٨.

(٢) ظ: المؤلف في كتابيه: الإمام محمد الباقر مجدد الحضارة الإسلامية + الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت.

والإمام محمد الجواد(عليه السلام) هو الإمام التاسع منهم، فقوله وفعله وتقريره هو السنة بعينها.

وهذا الحقل في حياة الإمام محمد الجواد(عليه السلام) - على الرغم من موقف التأريخ الرسمي تجاهه- باب واسع متلئب، حفل بإجابات الإمام الشرعية، والإفصاح عن مشكلات أمهات المسائل الفقهية.

وكان ما وصل إلينا في هذا الحقل قليلٌ جداً بالنسبة لإفاضات الإمام وإطروحاته الفقهية المتنوعة، وقد حكم على تضييع هذا التراث علينا عاملان:

١- الرقابة الصارمة التي أحيط بها الإمام الى درجة إحصاء الأنفاس، مما ضيّق على صدور ذلك حيناً، وإتلافه ومصادرته حيناً آخر.

٢- الحقبة الزمنية التي صاحبت عمر الإمام فما امتد به العمر، ولا اتسعت الحياة معه لأن تُلقى تلك المعارف الإلهية على طبيعتها الاعتيادية، فقد اخترمت باخترام عمره.

والحق إنّ معالم مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في عصر الإمام الجواد(عليه السلام) كانت قد ظهرت لوائحها المشرقة من خلال الجهود المضنية للأئمة منذ تأسيس قاعدتها الصلبة ببركاتهم، فالإمام محمد الباقر وأياديه البيضاء في التعميق للفكر الإمامي، والإمام جعفر بن محمد الصادق وزعامته لمدرسة أهل البيت، والإمام موسى بن جعفر وإمداده المعرفي رغم السجون والمعتقلات، والإمام علي بن موسى الرضا بما أتيح له من محافل العلم العامرة، ودواوين الاحتجاج والمناظرة الحافلة، وما انتشر من تلامذتهم في الأقاليم وبقاع الأرض، كان قد أرسى دعائم مدرسة أهل البيت على أسس ثابتة، وكانت متابعة الإمام محمد

الجواد لهذا البناء الأشم متابعة رائدة استوعبت الثغرات التي أحدثتها السياسة المعاصرة ضدّ هذا الكيان، وكان التشيع قد ضرب بأطنابه في مشارق الأرض ومغاربها، واتسعت دائرته لتشمل أغلب الديار الإسلامية، وكان علماء الطائفة ومحدّثوهم في الرعيل الأول المتقدم لنشر مبادئ أهل البيت سرّاً وعلناً.

وكان اهتمام الإمام محمد الجواد(عليه السلام) منصبّاً على استثمار الجهود السابقة لآبائه، وتجسيدها على الواقع العملي، وكانت إجاباته الفقهية تؤكد على الأحكام في فروع العبادات والمعاملات مما يحتاج إليه الإنسان لتعود أصلاً شرعياً يُرجع إليه، باعتباره أحد مصادر السنة الشريفة.

إلاّ أن هنالك واقعاً يجب أن لا نغفله يتمثل في الضغوط التي منعت الأئمة من التعبير عن كلّ ما يجول بأذهانهم من أحكام الشريعة التي صادرت السياسية الظالمة جزءاً كبيراً من حقائقها، بل التهمته التهاماً حثيثاً بشكل وآخر، حتى أوقعت المسلمين في مأساة من شؤونهم الدينية، فعطّلت جملة من الأحكام وراء تعليلات سيّرها الفقهاء الرسميون حتى اخترمت جملة وتفصيلاً، ومن ثم طال عليها الزمن فأوشكت على الاندثار من لائحة الأحكام إلا عند طبقات محددة من الإمامية ممن تمسّكوا بذلك تبعاً لائمتهم عليهم السلام.

وفي طليعة هذه الأحكام (الخمس) الذي صدع به كتاب الله قائلاً: **﴿وَاعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[1].

---

(١) سورة الأنفال، ٤١.

والآية تصرّح بفرض نسبة مالية تخرج من الأرباح (الغنائم) بقدر خمسها، وتتوسع كتب الفقه المتخصّصة بأقسامه، ووجوبه، ومصارفه، وقد عبّر عن تعريفه اصطلاحا.

الفقيه الأكبر الشيخ محمد حسن النجفي بقوله:

(وهو حقٌّ ماليٌّ، فرضه الله مالك الملك بالأصالة على عباده في مالٍ مخصوص له ولبني هاشم...عوضَ إكرامه إياهم بمنع الصدقة).

ولا يعنينا الخوض في معنى (الغنائم) في دلالتها بقدر ما يعنينا أنها تخصّ الأرباح حربية وتجارية وسواهما كما عليه التحقيق.

والذي نؤكّد عليه أن هذه الفريضة قد عطّلت تماماً في استخراجها من الأرباح، وفي دفعها لبني هاشم، كما جرت على ذلك السياسة المعاصرة لأئمة أهل البيت(عليهم السلام).

وقد مرت هذه الفريضة بأدوار حرجة نتيجة الفرض القاطع من الحكّام لظاهرتها باعتبارها عاملاً فاعلاً كبيراً في دعم مرجعية أهل البيت واستمرار عملهم القيادي، فالخمس سهمان عند الإمامية: سهم الإمام وهو المتصرف فيه أو من يُنيبُهُ، ويقبضه المرجع الأعلى أو الفقيه الجامع للشرائط لصرفة على الفقراء ومصالح المؤمنين، وسهم السادة، ويصرف على فقراء بني هاشم وأيتامهم وعوائلهم وتدبير شؤونهم.

ولكنّ الأئمة لم يستطيعوا مواجهة هذا الرفض الصارم من كلّ الجهات، فسكتوا عن حقهم حيناً، وألزموه أصحابهم سرّاً، متشدّدين على ذلك ما استطاعوا إليه سبيلاً وقد بدأت المعركة في هذا المضمار منذ وفاة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال أمير المؤمنين(عليه السلام):

((إن الله تعالى قبض نبيه(ﷺ)، وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي.. وإنّ أول ما انتقصناه بعده إبطال حقّنا في الخمس))[١].

ولكن أمير المؤمنين آثر ظلامته شخصياً وظلامة بني هاشم من أجل تلافي الفتن والناس حديثو عهد بالإسلام، فأغمض عن حقّه وآله صابراً ومحتسباً.

وقد منع أبو بكر بني هاشم الخمس[٢].

((وكان أبو بكر يقسم الخمس.. غير أنه لم يكن يعطي قربى رسول الله ما كان النبي يعطيهم))[٣].

وقد أبى عمر بن الخطاب أن يعطي الخمس لبني هاشم[٤].

وأعطى عثمان الخمس لأصهاره وقرابته ومنعه بني هاشم[٥].

وحينما تولى أمير المؤمنين(عليه السلام)، الخلافة أبقى ما كان، ولم يغيّر شيئاً كراهية الخلاف للشيخين، فقد روى أبو يوسف القاضي (ت١٨٢هـ) ما قاله محمد بن إسحاق لأبي جعفر محمد بن علي الباقر(عليه السلام):

((قال: قلت له: ما كان رأي علي كرم الله وجهه في الخمس؟

قال: كان رأيه فيه رأيَ أهل بيته ولكنّه كره أن يخالف أبا بكر وعمر))[٦].

---

(١) المفيد / الأمالي/٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) ظ: الزمخشري / الكشاف/ ١٥٩/٢.

(٣) ظ: أبو عبيد/ الأموال/ ١٣٨. ط مؤسسة ناصر/ بيروت/ ١٩٨١.

(٤) ظ: ابن قتيبة/ المعارف/ ١٥٩ م. ط دار الكتب المصرية/ القاهرة/ ١٩٦٠.

(٥) ظ/ الأصبهاني/ الأغاني/ ٥٧/٦/ طبع دار الكتب المصرية.

(٦) أبو يوسف القاضي/ الخراج/ ١٦٨/١.

وعن محمد بن إسحاق أيضاً، قال:

((سألت أبا جعفر محمد بن علي، فقلت: علي بن أبي طالب حيث وليَ من أمر الناس ما ولي، كيف صنع في سهم ذوي القربى؟

قال: سلك به سبيل أبي بكر وعمر.

قلت: وكيف وأنتم تقولون ما تقولون؟

فقال: ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه!!

قلت: فما منعه؟

قال: كره —والله— أن يُدّعى عليه خلاف أبي بكر وعمر))[1]..

وكانت نظرة أمير المؤمنين موضوعية في أبعادها كافّة، ((ليتأكد —الباحث— إن منعاً مدروساً وصدّاً مدبّراً كان وراء كفِّ الإمام علي(عليه السلام) عن بحث مسألة الخمس ميدانياً سواء من خلال المطالبة، أو إظهار القبول وأخذه، ولا سيّما أنّ الحالة آخذة بالتفاقم والحدّة، الأمر الذي يحتم ضرورة اللجوء إلى الصبر والمسالمة ريثما تحين الفرصة للمطالبة بالحقوق))[2].

واستمر منع الخمس على أشدّه في العصر الأموي، وسمح عمر بن عبد العزيز بإعطائه لبني هاشم في خلافته عام مائة من الهجرة فقد روى ابن سعد في الطبقات عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: ((أوّل مال قسمه عمر بن عبد العزيز لمالٌ بعث به إليها أهل

---

(١) أبو عبيد/ الأموال/ ١٣٧.

(٢) محمد صادق الموسوي الخرسان/ الخمس: الحوافز والمعطيات/ ٧٤.

البيت... فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار، وكتب لنا: إني إنْ بقيت لكم أعطيتكم جميع حقوقكم))[1].

وفي الدولة العباسية مُنع ذلك جملة وتفصيلاً إلا فيما رُوي عن المأمون مع تشكيكنا في صحته.

ولكنّ الإمام محمد الباقر(عليه السلام)، قد أفاض في ذلك تمثلاً لرأي أمير المؤمنين، وتلقّى ذلك الإمامية وساروا عليه سرّاً، وذلك لتصريحه جهاراً ((إنَّ لنا الخمس في كتاب الله))[2].

وكذلك صنع الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، فكان الخمس يعطى له مباشرة سرّاً أو بيد أحدٍ من أصحابه الثقات، ولكنّ الحركة بالعمل بهذه الفريضة قد بدأ ولو من وراء حجاب كثيف.

وهكذا الحال في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام)، حيث كانت الرقابة صارمة وإنْ تنفست جزئياً في عهد الإمام الرضا نسبياً.

حتى إذا تسلّم الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، منصب الإمامة الشرعية رأينا له دوراً خاصا في التأكيد على الخمس، والمطالبة به، وأبدى بذلك أطروحته لشيعته بما أوصاهم به، بما يعتبر به محرراً لهذا الحكم من الاستئثار والابتلاع والتعطيل، قال(عليه السلام):

((وإنما أوجبت عليهم الخمس في سنتي هذه في الذهب والفضة التي قدحال عليهما الحول، ولم أوجب ذلك عليهم في متاع، ولا آنية، ولا دواب، ولا خدم، ولا ربح ربحوه في تجارة ولا ضيعة، إلا في ضيعة

(١) ابن سعد/ الطبقات/ ١/١٦٨.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٦/٣٨٣.

سأفسّر لك أمرها، تخفيفاً منّي عن موالي ومنّاً منّي عليهم لما يغتال السلطان من أموالهم، ولما ينوبهم في ذاتهم، فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كلّ عام، قال تعالى:

﴿وَاعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فالغنائم والفوائد يرحمك الله فهي الغنيمة يغنمها المرء، والفائدة يفيدها، والجائزة من الإنسان للإنسان التي لها خطر، والميراث الذي لا يحتسب من غير أب أو ابن، ومثل عدو يصطلم فيؤخذ ماله، ومثل مال يؤخذ ولا يعرف له صاحب، وما صار إلى موالي من أموال الخرمية الفسقة، فقد علمت أن أموالا عظاما صارت إلى قوم من موالي، فمن كان عنده شيء من ذلك فليوصله إلى وكيلي، ومن كان نائياً بعيد الشقة فليعمد لإيصاله بعد حين فإنّ نية المرء خير من عمله))[2]..

والنبي(ﷺ) وأهل بيته(عليهم السلام) يفسّرون الغنم: بالربح التجاري في المعاملات والمتاجرة وأمثالها، والنقد، والكنز، والمعادن، وما يستخرج من الأرض والبحر، والمال المختلط حلاله بحرامه دون تمييز، والزائد عن المؤنة السنوية.

وسواء أحصل الربح في حرب أو في سلم، والمراد بالحرب هنا غنائم الحرب، أم في الغنائم الأخرى أعلاه، والمبحث محرر في كتاب الأحكام فتوائياً واستدلالياً[3].

---

(١) سورة الأنفال، ٤١.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٦/ ٣٥٠.

(٣) ظ: محسن الطبابائي الحكيم/ مستمسك العروة الوثقى/ ٩/ ٣٨٧ - ٥٢٨.

وفي زمن الغيبة تنحصر الأصناف في الآية إلى سهمين عند الإمامية هما: سهم الإمام وسهم السادة من بني هاشم، يقول السيد السيستاني دام ظلّه الشريف:

((يقسم الخمس في زماننا -زمان الغيبة- إلى نصفين:

نصف لإمام العصر الحجة المنتظر -عجل الله تعالى فرجه وجعل أرواحنا فداه- ونصف لبني هاشم: أيتامهم، ومساكينهم وأبناء سبيلهم، ويشترط في هذه الأصناف جميعاً الإيمان كما يعتبر الفقر في الأيتام، ويكفي في ابن السبيل الفقر في بلد التسليم))[1].

ويستخرج الخمس لدى تحقق الربح، وللمستخرج تأجيله إلى رأس السنة التي جعلها بداية لأرباحه، فيستخرج ما زاد على مؤنته السنوية، ويستثنى احتياجاته الضرورية بحسب طبيعة منزلته في المصارف الواجبة والحقوق والمستحبات كلٌّ بحسبه.

وقد تحدث الفقهاء عن أهمية الخمس، وعرضوا للروايات التي تجعل مانعه في عداد الظالمين والغاصبين، والتشدد في إعطائه، فما أيسر ما يدخل العبد النار بمنعه.

جاء في المستمسك: ((وهو من الفرائض، وقد جعلها الله تعالى لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وذريته عوضاً عن الزكاة إكراماً لهم، ومَن منع منه درهماً أو أقلَّ كان مندرجاً في الظالمين لهم، والغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلاً لذلك كان من الكافرين. ففي الخبر عن أبي بصير قال: قلت: لأبي جعفر(عليه السلام): ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟

(١) علي الحسيني السيستاني/ منهاج الصالحين/ ١/ ٤١٠.

قال(عليه السلام): مَن أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم. وعن الإمام الصادق(عليه السلام) إن الله لا إله إلا هو حيث حرّم علينا الصدقة، أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام، والخمس لنا فريضة، والكرامة لنا حلال.

وعن أبي جعفر(عليه السلام): لا يحلّ لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا حقنا.

وعن أبي عبد الله(عليه السلام): لا يعذر عبد اشترى من الخمس شيئاً أن يقول: يا رب اشتريته بمالي!! حتى يأذن له أهل الخمس))[1].

والذي نشير إليه هنا أنّ دفع الخمس كان متزلزلاً بين المنع والخوف والحذر، فهو فريضة معطّلة إلا عند الواعين من أتباع أهل البيت(عليهم السلام)، يؤدّونها سرّاً بحسب الطاقة البشرية في التحمّل والرقابة والتصفية.

ومن خلال هذا الأفق الضيق في الشدة والرصد نجد دور الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، بارزاً في إرساء هذا الأمر.

فبادئ ذي بدء أباح لأوليائه التصرّف في أموالهم، والترفيه على أنفسهم ومن ثم يكون استخراج الخمس.

كتب الإمام محمد الجواد(عليه السلام) بخطّه إلى بعض أصحابه: (الخمس عبد المؤنة))[2].

ويرى البحث أن للإمام محمد الجواد(عليه السلام) منّة في ترسيخ هذا الأمر سواه في عنق كل إمامي إلى يوم القيامة، إذ ثبّت مرتكزات التشيع على

---

(١) محسن الطباطبائي الحكيم/ مستمسك العروة الوثقى/ ٩/ ٣٨٦.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٦/ ٣٤٨.

أساس رصين في كلّ مجال من مجالات الحياة، سيّما في إحياء هذه الفريضة المعطّلة، لقد اعتقد أحمد بن محمد بن عيسى أن الإمام في موجدة على زكريا بن آدم فدفع ذلك الإمام قائلاً له:

((يا أبا عليّ ليس على مثل أبي يحيى يعجل!! وكان من خدمته لأبي(عليه السلام) ومنزلته عنده وعندي من بعده، غير أني احتجت إلى المال فلم يبعث.

فقلت: جعلت فداك هو باعث إليك بالمال، وقال لي: إن وصلت إليه فأعلمه إنّ الذي يمنعني من بعث المال:اختلاف ميمون ومسافر.

فقال: احمل كتابي إليه، ومره أن يبعث إلي بالمال.

فحملت كتابه إلى زكريا فوجّه إليه بالمال))[1].

ودلالة هذا الحدث، أن الإمام محمد الجواد(عليه السلام) كان يطالب أولياءه ببعث الخمس إليه ويؤكد عليه، وقد يمتنع بعض أوليائه من بعث المال إليه لأسباب خارجية، فإذا زالت تلك الأسباب جرى الأمر على طبيعته.

وكان الإمام(عليه السلام) حينما يقبض الخمس قد يراسل صاحب المال بتسلمه للمال، كما عن إبراهيم بن محمد، قال عن الإمام الجواد بعد دفع حسابه:

((كتب إليّ قد وصل الحساب، تقبّل الله منك، ورضي عنهم، وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة، وقد بعثت إليك من الدنانير بكذا، ومن الكسوة بكذا، فبارك لك فيه وفي جميع نعم الله إليك))[2].

---

(١) الكشي/ الرجال/ ٤٩٧+ البحار ٦٧/٥٠- ٦٨.

(٢) الكشي/ الرجال/ ٥٠٦ + المجلسي/ البحار/ ١٠٨/٥٠ - ١٠٩.

فمضافاً إلى إشعاره بوصول الحساب، فقد دعا له ولأصحابه ممن دفعوا حق الله، وبعث إليه بدنانير وكسوة تكريماً وكرماً.

وقد يستغلّ بعض أصحابه كرمه وسخاءه فيتجاوز بذلك حدود الأمانة، ويتعدّى ما ينبغي له، فيتناول شيئاً من الحقوق المفروضة، ويستأذن بعضهم الإمام أن يكون في حلّ منها فيكون الموقف محرجاً، فالإمام لا يغتفر التجاوز، ولكنّه لا يترك كرمه وطيبة النفس.

فعن علي بن إبراهيم عن أبيه، قال:

((كنت عند أبي جعفر الثاني(عليه السلام)، إذ دخل إليه صالح بن محمد بن سهل الهمداني، وكان يتولّى له. فقال للإمام: جعلت فداك؟ اجعلني من عشرة آلاف درهم في حلّ!! فإني أنفقتها!! فقال له أبو جعفر(عليه السلام): أنت في حلّ، فلمّا خرج صالح من عنده، قال أبو جعفر(عليه السلام): أحدهم يثب على مال آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وفقرائهم ومساكينهم وأبناء سبيلهم فيأخذه ثم يقول:

اجعلني في حلّ!! أتراه ظن بي أنّي أقول له لا أفعل؟ والله ليسألنهم يوم القيامة عن ذلك سؤالا حثيثاً))(1).

وقد جاهد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في سبيل تعميق الوعي إزاء هذه الفريضة الملغاة (الخمس) من قبل الطواغيت وحكام الجور بحيث أغلقوا على آل رسول الله منافذ العيش الكريم بل الكفاف منه، وقد قام الإمام(عليه السلام) بدوره الايجابي تجاه استخراج الخمس حتى آخر حياته.

---

(1) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٧ + المجلسي/ البحار/ ٥٠/١٠٥.

فقد قال محمد بن الفرج:

((كتب إلي أبو جعفر(عليه السلام): احملوا إلي الخمس فأني لست آخذه منكم سوى عامي هذا، فقبض(عليه السلام) في تلك السنة))[1].

وكان من المحمودين عند الإمام، عبد العزيز بن المهتدي القمي الأشعري، ويبدو أنّه أرسل حقّاً شرعياً في تفصيلٍ في الموضوع.

فكتب إليه الإمام(عليه السلام): ((قَبَضْتُ والحمد لله، وقد عرفت الوجوه التي صارت إليك منها، غفر لك ولهم الذنوب، ورحمنا وإياكم))[2].

وكانت خطوة الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، في هذا الملحظ جريئة جداً نظراً للرصد المطبق من جهة، وللضياع الشامل لأحكام الدين من جهة أخرى، وللتعثّر في إعطائهِ هذا الحق من الموالين أحياناً، ولهذا حدب الإمام مشفقاً على انتشال هذه الفريضة من التعطيل والجمود، ووهبها الحياة والحركة، حتى روي أنه قال –بين التقرير للحقيقة والعتاب الجميل–:

((إنّ موالي –أسأل الله صلاحهم– أو بعضهم قد قصّروا فيما يجب عليهم، فعلمت ذلك، فأحببت أن أطهرهم وأزكيهم بما فعلت من أمر الخمس في عامي هذا))[3]...

وينبغي أن يُدرك جيداً أن الخمس من حقوق المنصب الإلهي للإمام، في حقه المفترض، وهذا ما يفسّر لنا التأكيد على إخراجه،

(١) ابن شهر آشوب/ المناقب/ ٣/٤٩٥.

(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٥.

(٣) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٣٤٩.

والسعي الحثيث على تحصيله، والاعتداد بمورده موضوعياً، فالمنصب في حاجة إلى المال لإنجاز مشاريع الإمام في إنعاش الفقراء وإعالة المحرومين وتيسير المصالح في هدف مزدوج. وهؤلاء الذين حُرموا من الصدقات وهم بنو هاشم لا بد لهم من بديل، ولا بدّ لقائمٍ على شؤون ذلك، وكان الخمس هو الحلّ المنطقي لإشكالية منع الزكاة عنهم، بإيجاب الخمس لهم، وذلك مقتضى العدل الإلهي في ضمان حياة المسلمين أجمعين.

هذه التداعيات المتشابكة وضرورتها الملحّة هي التي تُفسر لنا حالة التشدّد والإصرار على استخراج الخمس والتأكيد عليه من قبل الإمام محمد الجواد(عليه السلام) تبعاً لآبائه(عليهم السلام)، حتى أصبح اغتصابه علّةً لكثير من الظواهر المحرّمة في الإسلام، ففي صحيحة ضريس الكناسي: قال أبو عبد الله(عليه السلام): ((أتدري من أين دخل على الناس الزنا؟

فقلت: لا أدري!!

فقال: من قبل خمسنا أهل البيت، إلا لشيعتنا الأطيبين، فإنهم محلل لهم ولميلادهم))[1].

والتحليل هنا محمول على الجواري اللاتي استولى عليها السلطان، وهو ليس من الخلافة الشرعية في شيء، فشاء الإمام أن يتنازل عن حقّه ذاك في هذا الجانب من أجل الطيبين من شيعته لا أنّه اسقط الخمس عنهم، لما رأينا من تشدّدهم في هذا الملحظ كما تشير إلى ذلك الروايات[2].

---

(١) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٣٧٩/٦.

(٢) ظ: المصدر نفسه/ ٣٧٦/٦ وما بعدها.

ولم يكن نشاط الإمام محمد الجواد الفقهي مقتصراً على هذا الوجه، بل تعدّاه إلى جملة من الفروع والأحكام فيما يُبتلى به المؤمنون، ومن ذلك أحكام الصلاة، والحج، والنذر، والكفارات، والوقف مشكلاته، الشفعة، والزواج، والميراث، وسواها[1].



---

(١) ظ/ المصدر نفسه/ ٢٥٣/٢ + ٢ /٣٠٣ + ٣١/٦ + ٣٠٤/١٣- ٣٠٨ + ٢٠٧/١٤ + ١٥ + ٢٢٠ + ٦٧/١٧ وسوى ذلك.

يحيى بن أكثم في مسائلة الإمام

وحياة أئمة أهل البيت مع الفقهاء الرسميين ذات أبعاد تأريخية شائكة، تمتدّ جذورها إلى بعد عصر الرسالة مباشرة، فقد تصدر للإفتاء والرواية والحديث نفر مِمن ادعى الصحبة، فكثر الكذب على رسول الله(ﷺ) وتمادى الانتحال، وظهرت على الأفق أحاديث مفتعلة تتعارض مع صريح القرآن، فكان هذا المناخ الجديد بديلاً عن مرجعية أهل البيت(عليهم السلام)، والإمام علي قد يُشاور حيناً، ولكنّه لا يُستفتى أحياناً كثيرة، وقد يقرّب فترة، ولكنّه يستبعد فترات أخرى، وكانت الإسرّائيليات تغزو المجتمع المدني شاء ذلك أو أبا، وتصدّر جيلٌ من اليهود ممن أظهروا الإسلام لقضايا المسلمين التشريعية، فكان كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وأمثالهما ممن أدخلا على الإسلام ما ليس منه.

حتى إذا استولى الأمويون على الحكم اتخذوا بطانة من وعّاظ السلاطين يبرمجون التشريع وعلم الكلام وفق رغبات النظام الحاكم، واستُبعد الأئمة(عليهم السلام) استبعاداً تاماً على المستوى الرسمي وإنْ تغلغل نفوذهم الجماهيري في المستوى الشعبي، ولكنّه بسرّية وكتمان شديدين، ومع هذا فقد ذهب الكثير ضحايا لمجرد انتسابهم للتشيّع، وحرّف كثير من مفاهيم الإسلام نتيجة الزيغ عن مرجعية أهل البيت، وقرّب الوضّاعون فدُست أحاديث لم ينطق بها النبي(ﷺ) ورويت أخبار ما أنزل الله بها من سلطان، ووضعت فضائل ومناقب للأمويين

بألسنة هؤلاء الكذبة، حتى إذا جاء الحكم العباسي كان الانحراف عن الصراط واضحاً، ونفوذ فقهاء البلاط قوياً، والدولة تُنعم عليهم بالأعطيات والجرايات والجوائز والهبات، حتى استفحل الداء العياء، وعمّت البلوى، واتسعت الإشكاليات المعقدة بما فاض به الإناء وتمادت السياسة بغيّها وانحرافها عن النهج الإسلامي، فقيّدت الأفكار والآراء، ودعت إلى تعطيل الأحكام وتجميد النظر الشرعي، فألغت عملية الاستنباط من أدلّتها التفصيلية وأغلقت باب الاجتهاد.

ولم يقف أئمة أهل البيت(عليهم السلام) من هذا الاعتداء السافر موقف المتفرج واللامبالاة، ولكنهم جدّوا وشمّروا عن ساعد النضال العلمي في أطاريح جديدة شملت الدعاة والمبلّغين والتلامذة والأصحاب، وهم يمدّونهم بالعلم الخالص المستند إلى الكتاب والسنة، وأمروا بتقييد العلم، وتدوين الحديث، وضبط الرواية، وأسسوا عملية الاجتهاد بالرجوع إلى الأصول التي شرعوها، والقواعد التي ثبتوها وعملوا جاهدين إلى برمجة التعدد في التخصّص، فكان الرواة والمحدّثون، وأهل الكلام، ومفسرو القرآن، ورجال الفقه، وعلماء التشريع، عدا مجالات العلوم الإنسانية بعامّة، فكانت الحركة الفكرية دائبة في الحياة، تواكب الزمن، وتستقطب الأجيال، وكان الدور التأسيسي للإمامين محمد الباقر وولده جعفر الصادق(عليهما السلام) ذا عمق أصيل في ترسيخ دعائم هذا المنهج، وتسلّم ذلك من بعدهم الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد(عليهم السلام)، فكانت الجهود العلمية المركّزة حائلاً دون مبادرات الحاكمين في شلّ التوجه التشريعي، وإلغاء العقل الإنساني، وسيادة

الهوى والرأي الاستحساني دون مستندٍ ديني أو رسالي، وبذلك بدأ الصراع على أشدّه بين دعاة الجمود لأغراض سياسية، وبين قادة الوعي المعرفي على أساس ديني لا ريب فيه.

وفي ظلّ هذه المفارقات وتحت الضغوط السياسية الحرجة، تسلّم الإمام محمد الجواد(عليه السلام) منصب الإمامة الشرعية -بما أوضحنا آنفا- ما عرض له من الاستفزاز والتشكيك والاختبار الميداني، ولكن الإمام محمد الجواد بما أوتي من التسديد الإلهي، وبما امتلك من خصائص ومواهب وقابليات، شقَّ طريقه بثبات وصلابة وإيمان.

وحينما عزم المأمون على تزويجه من ابنته أم الفضل كبر ذلك على بني العباس، وطلبوا للمأمون أن يمهل الإمام حتى يتفقه في الدين على حدٍّ زعمهم، فقال لهم:

((ويحكم أنا اعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيتٍ علمهم من الله، وموادّه وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال!!

فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله!! قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلِّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة!! فإن أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصّة والعامّة سديدَ رأي أمير المؤمنين، وإنْ عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم ذلك ومتى أردتم.

فخرجوا من عنده، واجتمع رأيهم على مسائلة يحيى بن أكثم، وهو قاضي الزمان أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفسية على ذلك!!

وعادوا إلى المأمون، فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون أن يُفرش لأبي جعفر(عليه السلام) دَسْتٌ ويجعل فيه مسوّرتان ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر(عليه السلام) وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسوّرتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر(عليه السلام).

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال:أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال له أبو جعفر(عليه السلام): سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول –جعلني الله فداك– في مُحْرِمٍ قتل صيداً؟

فقال له أبو جعفر(عليه السلام):

قتله في حلٍّ أو حرم؟

عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟

قتله عمداً أو خطأ؟

حرّاً كان المحرم أم عبداً؟

صغيراً كان أم كبيراً؟

مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟

من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟

من صغار الصيد كان أم من كباره؟

مصرّاً على ما فعل أم نادماً؟

في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟

محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجه العجز والانقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي.

ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم:

أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

فلما تفرّق الناس وبقي من الخاصّة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر(عليه السلام):

إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلّته من وجوه قتل المحرم الصيد؟ لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر(عليه السلام): نعم.

إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها فعلية شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، فإذا قتل فرخاً في الحلّ فعلية حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل

وقيمة الفرخ، فإن كان من الوحش، وكان حمار وحش فعلية بقرة، وإن كان نعامة فعلية بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعلية الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحرّ في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟

فقال أبو جعفر(عليه السلام) ليحيى: أسألك؟

قال يحيى: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك!!

فقال له أبو جعفر(عليه السلام):

أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلّت له.

ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: والله ما اهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه؟

فقال أبو جعفر(عليه السلام):

هذه أمةٌ لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال لهم:

هل فيكم أحد يجيب عن المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يطرف القول فيما تقدم من السؤال؟

قالوا: لا والله إنّ أمير المؤمنين أعلم بما رأى.

فقال لهم المأمون: ويحكم إن أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) وهو ابن عشر سنين؟ وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنه غيره؟

وبايع الحسن والحسين(عليهما السلام)، وهما ابنا ست سنين؟ ولم يبايع صبياً غيرهما. أفلا تعلمون الآن ما اختص به هؤلاء القوم؟

وإنهم ذريّة طيّبة بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟

قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم[1].

وأنت ترى الإمام محمد الجواد(عليه السلام) كيف فرّع هذه المسألة وكيف صنّفها؟ وكيف بوّبها؟ بما أذهل السائل!! ثم كيف أجاب عنها جواباً تفصيلياً حافلاً بالجزئيات الضرورية التي تغطّي الموضوع من جوانبه كلّها.

وكذلك صنع الإمام(عليه السلام) حينما سأل ابن أكثم سؤالا محيّراً لم يصل إلى جوابه، بل ولم يستوعب أبعاده، مما كشف عن قصوره بين يدي المأمون، ومن ثمّ تولى الإمام الجواب، فلم يدَع فيه قولاً لقائل.

وهكذا نجد فقاهة الإمام منفتحة على المبتكر الأصيل من الفروع الفقهية تتحرى الأهم، وتستوحي الأفضل.



(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٠- ٣٦٣.

الإمامُ وفقهاء عصره في بلاط المعتصم

ولم يكن الإمام بمنأى عن حياة البلاط الفعلية، فقد يرسل عليه في حالات معيّنة، وقد يُسأل في لحظات حرجة، وقد يُطلب إليه الرأي ولات حين مناصّ، فيكون له القول الفصل.

وفي أغلب الظن أن منشأ هذا التوجه ليس الاعتزاز بالإمام، ولا الحرص على إشاعة علمه، ولكنه الإدراك بأن للإمام الإفتاء بما يوافق الكتاب والسنة شاءوا أم أبوا، رضوا أم سخطوا، لأنّ البلاط في رجاله وعلى رأسهم الخلفية يعلمون علماً يقيناً بأن الإمام يغترف من ذلك البحر الذي لا ينضب الصادر عن رسول الله(ﷺ).

فكانت الضرورة التي تغطّي على فشلهم أن يستنجدوا بالإمام لدى المهمّات الصعبة، ولعلّ من الطريف حقاً أن كلّ مسألة مهما كانت يسيرة الفهم والجواب تجد صعوبة في تداركها وحلّها في بلاط العباسيين، لأنهم لم يُخلقوا لهذا، ولم يستضيئوا بنور العلم والإيمان.

ومن الشواهد على هذا الملحظ ما أورد العيّاشي عن زرقان، وهو أبو جعفر الزيّات، صاحب ابن أبي دؤاد القاضي، قال: ((رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم، وهو مغتمّ!! فقلت له في ذلك فقال:

وددت اليوم أني قد مُتُّ منذ عشرين سنة!!

قلت له: ولم ذاك؟

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي المعتصم!!

قلت له: وكيف ذلك؟

قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدِّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع!! في أي موضع يجب أن يقطع؟

قال: فقلت من الكرسوع!!

قال: وما الحجة في ذلك؟

قلت: لأن اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع، لقوله في التيمم: ﴿**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ**﴾[1].

واتفق معي في ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق!!

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأن الله لما قال: ﴿**وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾[2].

في الغسل دلّ ذلك على أن حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

---

(١) سورة المائدة، ٦.

(٢) سورة المائدة، ٦.

قال: دعني مما تكلموا به!! أيّ شيء عندك؟

قال: اعفني من هذا يا أمير المؤمنين.

قال: أقسم عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أما إذا أقسمت علي بالله؛ إني أقول إنهم أخطأوا في السنة، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قول رسول الله: السجود على سبعة أعضاء:

الوجه واليدين والركبتين والرجلين.

فإذا قطعت يده إلى الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ..**﴾[1].

يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها:﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**﴾[2].

وما كان لله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال أبي دؤاد: فقامت قيامتي وتمنّيت أني لم أكُ حيّا!!

قال زرقان: قال ابن أبي دؤاد:

---

(١) سورة الجن، ١٨.

(٢) سورة الجن، ١٨.

صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت:

إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة، وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار!!

قال: وما هو؟

قلت إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع في أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقواده، وكتابه. وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه!!

ثم يترك أقاويلهم كلّهم لرجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟

قال: فتغير لونه، وانتبه لما نبهته له، وقال:

جزاك الله على نصيحتك خيراً!!

قال: فأمر اليوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله فدعاه فأبى أن يجيبه.

فقال: إنما أدعوك إلى طعام، وأحبّ أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي، فأتبرك بذلك، فقد أحبّ فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك، فصار إليه، فلما طَعَم فيها أحسّ السم فدعا بدابّته، فسأله ربّ المنزل أن يقيم، فقال:خروجي من دارك خير لك!![1].

---

(١) ظ: العياشي/ التفسير/ ١/٣١٩ + المجلسي/ البحار/ ٥٠/٥- ٧.

إنّ ما استند إليه الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في حدود قطع اليد كان نابعاً من القرآن الكريم والسنة النبوية، وبذلك أفحم الخصم، وأقام الدليل والحجة.

وأعجب ذلك المعتصم مضطراً، وإن جرّ هذا الأمر على الإمام البلاء من قبل القاضي أبو دؤاد، وهو أمر متوقع بين فقهاء البلاط العباسي، ولك أن تعجب من نصيحته للمعتصم بأمر يدخل به النار كما يقرّر نفسه ذلك.



علل الأحكام عند الإمام

وولج الإمام محمد الجواد باب بيان علل الأحكام، وفيه الحكم الفقهي وعلّة ذلك الحكم، وكان الإمام قاصداً إلى ذلك لتبديد تلك السحب الكثيفة التي تلبدت في الأفق السياسي من قبل الحكم العباسي ووعّاظ السلاطين، وشرائح كبيرة من الموالين للنظام على حدّ سواء.

لقد أثيرت في طريق الإمام عدّة شبهات مضللة كان أقربها إلى أذهان السذج والبسطاء من الناس هي مسألة حداثة السن وصغر العمر، وقد شاء الحكم اللعب بهذه الورقة فما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وعلى الرغم من أن الإمام قد برهن ميدانياً على إمامته في تلك السن المبكرة من خلال إجاباته العلمية، والفقهية. والعقائدية. والتفسيرية. والفلسفية، فأن هذه الشبهة تثار في الوسط الرسمي بين الآونة والأخرى، لسببٍ وآخر.

قال الراوي، قلت لأبي جعفر(عليه السلام): إنهم يقولون في حداثة سنّك!! فقال: ((أن الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبيّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم!! فأوحى الله إلى داود(عليه السلام):

أن خذ عِصِيّ المتكلمين وعصا سليمان، واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه

قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود(عليه السلام)، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا[1].

وفي نصّ آخر، قال الراوي للإمام محمد الجواد(عليه السلام):

يا سيدي إنّ الناس ينكرون عليك حداثة سنّك!!

فقال: وما ينكرون من ذلك، قول الله عزّ وجلّ؟ لقد قال عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿**قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي..**﴾[2].

فوالله ما تبعه إلا علي(عليه السلام)، وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين))[3].

وأنت تجد الإمام(عليه السلام) في هاتين الروايتين ينطلق تكوينياً وتشريعياً بوقت واحد لردّ هذه الشبهة باستخلاف سليمان من قبل داود بأمر الله تعالى،وسليمان صبيّ يرعى الغنم، فأقام له الحجة حتى رضوا وسلّموا. ومن ثم يعطف الإمام على هذا إتباع علي(عليه السلام) لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وعمره تسع سنين، وقَبِل منه ذلك الاتّباع، وعُمُر الجواد آنذاك تسع سنين أيضاً، فهذه كتلك. هذا كلّه فضلاً عن الاختبار الدقيق الذي أسفر عن تقدم الإمام العلمي في الأسئلة المعمّقة من قِبَل أوليائه وأعدائه، فانجلى عنها ألِقَ الجبين بما سخّره من براهين وأدلة وحجج وإفاضات لا تتأتى إلا لعلماء الأمة الأفذاذ.

---

(١) الكليني/أصول الكافي/ ١/ ٣١٤.

(٢) سورة يوسف، ١٠٨.

(٣) الكليني/ أصول الكافي/ ٣١٥/١.

وفي هذا المجال نجد الإمام(عليه السلام) مفيضاً بجملة من علل الأحكام الشرعية على قدر بما يرفع فيه هذه الشبهة على الأقل من جهة، وبما يعزز الملحظ التشريعي القائم على أساس من الحكمة ومصلحة البشر.

وقد يُسال الإمام سؤالا فقهياً ولا يُراد منه إلا الإفتاء به، ولكنه -(عليه السلام)- يفتي به، ويعلّل في الموضوع، فيبيّن علّة الحكم وسببه، لعلمه أن ما يفتي به سوف ينتشر بين الناس، والناس يختلفون في مدى استيعابهم للإجابة، فبعضهم يغنيه التلميح عن التصريح، وبعضهم يكتفي بالايجاز والاختصار، وبعضهم يريد إلا طالة والإسهاب. ولم يكن الإمام ليبخل بالعطاء فيفيض من علمه ما يلبّي رغبات الجميع، كما شاهدنا هذا في إجاباته ليحيى بن أكثم وسواه.

والإمام في عطائه الثرّ هذا ينظر إلى عدّة توجهات أساسية، فقد جرّد العباسيون من فقهاء العصر أداة يراد منها تعجيز الإمام، فما أفلحوا بذلك قط، بل كان الأمر عكسياً إذ انقلب السحر على الساحر، فَفُلجوا بالحجة والمنطق. وفشلت مسألة العمر، وكانت إجاباته العلمية دليلاً على إمامته، وادّعوا فيما زعموا أنْ لا خبرة للإمام فقهيا وكان الردّ حاسماً، والتطلّعات المولوية في إفاداته الفقهية عتيدة حاضرة، ذلك كلّه بما أصابهم جرّاء تواتره وتوافره بالهلع حيناً، وبالحسد حينا آخر.

((قال المأمون ليحيى ابن أكثم: اطرح على أبي جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام) مسألة تقطعه فيها!!

فقال يحيى بن أكثم للإمام:

يا أبا جعفر: ما تقول في رجل نكح امرأة على زنا؟ أيحل أن يتزوجها؟

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره، إذ لا يُؤمن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه، ثم يتزوج بها إن أراد، فإنما مثلها مثل النخلة أكل رجل منها حراماً ثم اشتراها، فأكل منها حلالاً)).

فانقطع يحيى[1].

وكانت هذه الإجابات ضرورية لإثارة الوعي وتمكين السائل من استيعاب فلسفة الحكم الشرعي، ونشر رأي أهل البيت.

وللإمام(عليه السلام) في هذا الجانب مجالات عديدة.

روي أن محمد بن سليمان سأله عن العلّة في جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء، بينما عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، فأجاب الإمام:

أما عدة المطلقة ثلاثة قروء، فلاستبراء الرحم من الولد، وأما عدة المتوفى عنها زوجها، فإن الله تعالى شرط للنساء شرطاً، وشرط عليهن شرطاً، فلم يُحابِهن فيما شرط لهن، ولم يَجُر فيما اشترط عليهن.

---

(١) ابن شعبة/ تحف العقول/ ٤٥٤.

أما ما شرط لهن في الإيلاء... أربعة أشهر، إذ يقول الله عزّ وجلّ:

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ..﴾[1].

فلم يجوّز لأحد أكثر من أربعة أشهر في الإيلاء، لعلمه تبارك اسمه أنّه غاية صبر المرأة عن الرجل.

وأما ما شرط عليهن فإنّه أمرها أن تعتدّ إذا مات زوجها أربعة أشهر وعشراً، فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند الإيلاء، قال الله عزّ وجلّ:

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2]..

ولم يذكر العشرة أيام في العدّة إلا مع الأربعة أشهر في ترك الجماع، فمن ثم أوجبه عليه ولها[3].

وكان هذا التفصيل حكيماً في نظر الشارع الأقدس لغاية صبر المرأة عن الزوج، وما جاء من التعليل واضح لا يحتاج إلى بيان.

ومرّة أخرى يسأل محمد بن سليمان الإمام محمد الجواد(عليه السلام) عن العلّة فيما إذا قذف الرجل امرأته بجريمة الزنا كون شهادته أربع شهادات بالله، وإذا قذفها غيره سواء أكان قريبا لها أم بعيداً جُلِد الحد، أو يُقيم البينة على ما قال!!

فأجابه الإمام محمد الجواد قائلا:

((قد سئل أبو جعفر -يعني الإمام محمد الباقر(عليه السلام) - عن ذلك فقال: إنّ الزوج إذا قذف امرأته فقال: رأيت ذلك بعيني، كانت شهادته

---

(١) سورة البقرة، ٢٢٦.

(٢) سورة البقرة، ٢٣٤.

(٣) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ٤٥٢/١٥ + الصدوق / علل الشرائع/ ٧٢.

أربع شهادات بالله. وإذا قال: إنّه لم يره، قيل له: أقم البينة على ما قلت، وإلاّ كان منزلة غيره.

وذلك إن الله تعالى جعل للزوج مدخلا لا يدخله غيره، والد ولا ولد يدخله بالليل والنهار، فجاز أن يقول: رأيت، ولو قال غيره: رأيت، قيل له: وما أدخلك الذي ترى هذا فيه وحدك؟ أنت متّهم، فلا بدّ أن يقيم عليك الحد الذي أوجبه الله عليك))[1].

وقد تروى هذه المسألة بصورة أخرى والنتيجة واحدة في الجواب[2].



(١) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ١٥/٥٩٤.

(٢) المجتمع العالمي لأهل البيت / الإمام محمد بن علي الجواد/ ١٨٠/ وانظر مصدره.

الفصل السادس

الإمام محمد الجواد (عليه السلام).... مُنَظِراً.

١ـ بيئة الفكر الكلامي في عصر الإمام (عليه السلام).

٢ـ قضايا التوحيد الإلهي.

٣ـ الإمامُ (عليه السلام) يناظر في السنّة.

بيئة الفكر الكلامي في عصر الإمام

ازدهرت الحياة العقلية في عصر الإمام محمد الجواد(عليه السلام). وكانت النهضة الحضارية قد بلغت قمّتها في عهده. فقد أولاها الإمام جهاده وجهوده، وربّى جيلاً متحفزاً من العلماء النابهين، وتزعّم جمهرة من الفقهاء الأكابر، وثقّف طائفة من المتكلمين وعلماء الاحتجاج، ودرّب ناشئة من المتلّهفين على تلقّي المعرفة، ومن هنا انطلقت الثقافة في فنونها المعددة تغزو الميدان الاجتماعي، ابتعاداً عن المناخ السياسي المتعثر بالدماء والحروب والفتن والمؤامرات.

وكان لهذا الانقلاب المفاجئ في حياة الأمة المسلمة أسبابه ومسوغاته ومؤثراته في كثير من الأبعاد ولعل الأستاذ نيكلسون من أبرع من صوّر ذلك تصويراً مقارباً للواقع من الناحية الاجتماعية فقال: ((وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعاً... غدوا فجأة طلاباً للعلم، أو على الأقل أنصاراً للأدب، وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان، ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهّفين، ثم يصنّفون بفضل ما بذلوه من جهدٍ متصل هذه المصنفات التي هي أشبه شيء

بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورةٍ لم تكن متوقعة من قبل))[1].

وكانت حواضر العالم الإسلامي تعجّ بالعلماء والمتعلمين في كلّ من: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والكوفة الغرّاء، والبصرة الفيحاء، وبغداد دار السلام التي تميزت بكونها مقّر الدولة، وملتقى العلماء، وقبلة المهاجرين والدارسين.

يقول الدكتور غوستاف لوبون: ((كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل من يونان، وفرس، وأقباط، وكلدان، يتقاطرون إلى بغداد، ويجعلون منها مركزاً للثقافة في الدنيا))[2].

وكانت مدارس الإفادة والإضاءة غزيرة العطاء عند الفرق الإسلامية الثلاث: الإمامية، والمعتزلة، الأشاعرة. إلا أن مدرسة الإمامية كانت أعمقها أصولاً، وأرسخها جذوراً، لأنها تستمد أصالتها من روافد جامعة أهل البيت عليم السلام، بما عرفت به من العمق ودقة الآراء التي فجّرها الأئمة المعصومون متصلة برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

فكانت علوم القرآن. والحديث الشريف، والتفسير، والفقه، والأصول، والفلسفة، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، مضافاً إلى جزء كبير من العلوم الصرفة كالطب والكيمياء والفيزياء، والهندسة، والفلك، والرياضيات من أبرز مظاهر التنوع الثقافي الذي حفل به عصر الإمام محمد الجواد(عليه السلام).

---

(١) حسين إبراهيم حسن / تاريخ الإسلام السياسي / ٣٢٢.

(٢) غوستاف لوبون / حضارة العرب / ٢١٨.

وكانت الأمة الإسلامية بأغلبيتها الساحقة تمثّل التأييد الصامت لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، وتستمد معارفها مها رغم الرصد وكثافة الرقابة وتحسس الدولة.

وكان المكر السياسي للسلطة العباسية يشجّع الخوض بمتاهات علم الكلام، فهو يريد إشغال الأمة بنفسها عن نفسها، ويجدلها فيما بينها عن مشاكلها، وبتحزّبها الكلامي عن تجمعها السياسي.

ويبدو للبحث أن الهدف من وراء علم الكلام قد انحرف عن الخط الأساسي الذي يجب أن يسير عليه، فبدلاً من أن تكرّس الجهود لردّ الزنادقة والملحدين والمشكّكين، تحوّلت إلى صراع غبي مقيت بين المعتزلة والأشاعرة إلى الحد الذي كفّر بعضهم بعضاً، وليست تلك مهمة علم الكلام في أيّ حال من الأحوال.

بينما وقفت الإمامية موقف الحذِر المتيقّظ من هذا المناخ، فأعرض صفحاً عن كثير من المهاترات، واتجه اتجاها ايجابيا في نقض شبهات المنحرفين، وردّ مزاعم الزندقة والإلحاد، وحمل على المشككين ليعود بالمناخ الفعلي إلى جذره التاريخي في الدفاع عن حوزة الإسلام.

ومهما يكن من أمر، فأن الحياة الكلامية بإيجابياتها وسلبياتها وتناقضاتها قد أبقت لنا ثروة حافلة بالإبداع وعصارة الآراء، مما قد يعدّ خلاصة التجربة الإسلامية في الجدل والمناظرة والاحتجاج.

وكان الخط الهادئ المتّزن يمثّل في أولياء أهل البيت عليهم السلام، فكان علم الكلام لديهم وسيلة إلى دحض الشبهات، وإبطال

آراء المنحرفين، وقد برز من أساطينهم في هذا الفن جمع مشهود له بالاستقامة وحسن التأني على طول الخط الممتد من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي الأول. وهي حقبة امتدت قرنين من الزمان في حضرة الأئمة وقيامهم بالأمر الإلهي مما سبق لنا الإشارة إليه في كتبنا السابقة من هذه الموسوعة.

((والذي يراه البحث أنّ الحياة الجديدة لم تكن هادئة أو مستقرة، بل هي إلى الصخب والضجيج أقرب، وهي تمثّل مدى الانشطار الإسلامي إلى فرق وجماعات وتكتلات...

وكانت حتمية تجربة السماء الفطرية تقتضي أن ينتصر الاتجاه العقلي الرصين على تلك التهاويل الغريبة التي اجتاحت العالم الإسلامي في سرعة مذهلة، وهي تتضخم ضمن مخطط سياسي صاعق، أبرم بنوده سلاطين الجور وأدعياء الفكر الوافد))[1] فانجرّ كثير من النزاع إلى مداخلات غير بريئة

بيد أنّ الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قد ابتعد بثقله الرسالي عن هذه المظاهر، واتجه إلى إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين، وإثراء الشعلة الوهّاجة في درب الموحدّين كما سترى.



(١) ظ: المؤلف / الإمام موسى بن جعفر ضحية الإرهاب السياسي / ١١٣.

قضايا التوحيد الإلهي

من أبرز ملامح عصر الإمام(عليه السلام) في مسائل علم الكلام، ما يتعلق بقضايا التوحيد، وما يدور في فلك معرفة الله تعالى، وما يثار حول أسماء الباري وصفاته، وما يراد من معاني الألفاظ في الذات والرؤية والتشبيه والتجسيم، وما يجري هذا المجرى من مصطلحات كلامية ولّدتها حركة الترجمة للفلسفة الإغريقية لدى المسلمين، وأوجدتها موجات الامتزاج بين الشعوب المختلفة في ظل الإسلام نتيجة اتساع الدولة الإسلامية بالفتوح لبلاد المشرق وقصبات المغرب، وما أثارته مدارس الشك والارتياب لدى الوافدين على الديار الإسلامية من أشتات الجنس البشري، وما زرعه أولئك الحاقدون على مبادئ الشريعة الغرّاء، فسيّروا الشُبَه والمقالات، وأوردوا الأسئلة الاعتراضية أو الاحتجاجية لكلّ ما هو جديد على الساحة أو غريب عنها أحياناً.

ولّما كانت مهمة الإمام محمد الجواد(عليه السلام) مهمّة رسالية، فقد شمّر عن ساعديه جداً ونشاطاً وحيوية، فردّ الشبهات، وصدّ الهجمات، وفسّر ما يدور في معجم القوم من مصطلحات وإشارات، وفنّد ما جاء فيها من نزغات جارحة واعتداءات صارخة، وأعاد الحق إلى نصابه، وذلك من خلال إجاباته واستدراكاته في الوصول إلى حقائق الأشياء، باعتباره الإمام المفترض الطاعة على المسلمين، وهو المعنيّ الأول والأخير في عصره للذبّ عن أصالة الإسلام حيناً، والكشف عن قيمة ومثله العليا

حيناً أخر، لهذا كان النضال في الميدان الكلامي أصلاً من أصول جهاده العلمي الذي طبّق الخافقين، وهو يؤكد هذا الملحظ، ويخلص إلى الإشارة الصريحة لذاته في أولوية النصرة والدفاع فيقول:

((إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً، فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي))[1]...

والإمام في هذا الحصر يصدر عن واقعية لا مبالغة معها، ويؤكّد على جانب إمامته فيه وفي أهل بيته على عادة الأئمة عليهم السلام في إعلان ذلك والتصريح به في أحلك الظروف رغم كل المخاطر التي تحيط بهذا التصريح الجريء، لأنه بمثابة الثورة المضادّة لكلّ ولاية ظالمة وخلافة مدّعاة.

وفيما نحن فيه من حياة المناظرة والحوار الكلامي نجد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) فارس هذه الحلبة في عصره، وخرّيت هذه الصناعة في تمرّسه.

روى أبو هاشم الجعفري قائلاً:

كنت عند أبي جعفر الثاني(عليه السلام)، فسأله رجل – ويبدو أنّه كان على جانب من الفلسفة الإلهية – فقال: ((أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ فأسماؤه وصفاته هي هو؟

فانبرى له الإمام محمد الجواد(عليه السلام) محللاً ومبرمجاً ومقسّماً، فقال: ((أن لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول: هو هي، أي أنّه ذو عدد وكثرة!! فتعالى الله عن ذلك.

(١) الكليني / الكافي ٢/٤٦.

وإن كنت تقول: لم تزل هذه الصفات والأسماء، فإن (لم تزل) يحتمل معنيين:

فإن قلت: لم تزل عنده فعلمه، وهو مستحقها، فنعم. وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها، وهجاؤها، وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه، ويعبدونه، وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم، الذي لم يزل والأسماء والصفات مخلوقات المعاني، والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف والائتلاف، وإنما يختلف ويأتلف المتجزئ، فلا يقال: الله مؤتلف، ولا الله كثير، ولا قليل، ولكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزئ، والله واحد لا متجزئ، ولا متوهّم بالقلة والكثرة، وكلّ متجزئ متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له.

فقولك: إن الله قدير، خبّرت انه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم، إنما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصور والهجاء، ولا ينقطع ولا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربنا سميعاً؟

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

((إنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع!! ولم نصفه بالسمع المعقول بالرأس، وكذلك سميناه بصيراً، لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون وشخص وغير ذلك، ولم نصفه بنظر لحظ العين. وكذلك سمّيناه

لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى، وموضع النشوء منها، والعقل والشهوة للسفاد والحدب على نسلها، وإفهام بعضها عن بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفية للمخلوق المكيّف.

وكذلك سُمي ربنا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق، لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً.

فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ، ولا ندّ، ولا كيف، ولا نهاية، ولاتبصار بصر، ومحرّم على القلوب أن تمثله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تكونه، جلّ وعزّ عن أداة خلقه، وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً))[1].

وينظر إلى إفادة الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في هذا العرض الفلسفي من خلال مستويين:

المستوى الأول: كون الإمام(عليه السلام) منظراً على سوية عالمية بحيث استطاع من خلال إجابته الدقيقة المنظّمة، ومن خلال استدراك حيثيات الموضوع أن يستوعب قضايا التوحيد في جزئياتها المتشعّبة، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا استقطبها شرحاً وتفصيلا ملك على المسائل سمعه وبصره.

---

(١) ظ: الكليني / الكافي ١/١١٦ - ١١٧ + الصدوق / التوحيد / ١٤٢ - ١٤٣ + الطبرسي / الاحتجاج ٢/٤٦٧ - ٤٦٨.

المستوى الثاني: إن الإمام(عليه السلام) بحث ما يسمى في علم الكلام بالصفات الثبوتية والسلبية، واستدل على مفاهيمها بالدليل البديهي تارة، وبالاستقراء المنطقي تارة أخرى، فالله سميع بصير لطيف، بمعنى لا يشمل الحواس المتداولة والمعروفة فيما تعارفنا عليه، فهو سميع بمعنى أنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، وهو بصير بمعنى أنه لا يخفى عليه ما يرى بالأبصار، وهو لطيف بمعنى علمه باللطيف الدقيق من حقائق الأشياء وأجناس المخلوقات وخفيّات الأمور، وما جرى هذا المجرى.

ومن هذا الباب سأله أحدهم:

هل يجوز أن يقال لله تعالى: إنه شيء؟

فقال(عليه السلام): نعم، ويخرجه عن حد التعطيل وحد التشبيه[1].

ومن هذا القبيل ما سأله به محمد بن عيسى قائلاً:

إني أتوهم شيئاً!!

فأجاب الإمام(عليه السلام):

((نعم، غير معقول، لا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام، وهو خلاف ما يُتصور في الأوهام، إنما يتصور شيء غير معقول ولا محدود))[2].

والإمام(عليه السلام) يعالج المناظرة في صيغة كلامية واضحة بحيث يستوعبها السائل بحسب ثقافته وإدراكه، فتبدو له الإجابة يسيرة الفهم، واضحة البعد، دقيقة التشخيص، لا لبس فيها ولا إيهام.

---

(١) الكليني / الكافي ١/ ٨٢.

(٢) الصدوق / التوحيد / ١٦٤.

سأله أبو هاشم الجعفري عن قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[1].

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام): ((يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، لم تدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟))[2].

وروى أن أحد أصحابه سأله عن معنى الواحد، فقال (عليه السلام):

إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾[3][4].

وفي هذا السياق يسأله داود بن القاسم عن معنى الصّمد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[5].

فيقول الإمام: ((يعني المصمود إليه في القليل والكثير)) أي المقصود[6].

هذه الإجابات السريعة الموجزة لم تكن مرتجلة ولا اعتباطية ولكنها صادرة عن فكر تنظيري عميق ذي تجربة احتجاجية نادرة.



(١) سورة الأنعام، ١٠٣.

(٢) الصدوق / التوحيد /٦٩.

(٣) سورة الزخرف، ٨٧.

(٤) الكليني/ الكافي ١١٨/١.

(٥) سورة الإخلاص، ٢

(٦) الكليني / الكافي. ١٢٣/١.

الإمام يناظر في السنّة

وكما ناظر الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في القرآن وشؤونه في ضوء قضايا التوحيد القائمة في مضمار التنظير الكلامي، فإنه -(عليه السلام) - ناظر في السنة الشريفة، وردّ الأحاديث الموضوعة، وفنّد الكاذب من الروايات، بأدلّة عقلية ونقليّة واستقراء لعوالم الحديث الشريف.

فقد أورد فريق من المؤرخين أن المأمون بعد ما زوّج الإمام من ابنته أم الفضل، كان في إحدى مجالسه، وعنده الإمام(عليه السلام)، ويحيى بن أكثم قاضي القضاة، وجماعة آخرون من الوجوه والأعيان والقادة.

فقال يحيى بن أكثم للإمام محمد الجواد(عليه السلام):

ما تقول يا ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله): في الخبر الذي روي أنه نزل جبرائيل(عليه السلام) على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقال: يا محمد، إن الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر، هل هو عنّي راضٍ؟ فإني عنه راضٍ!! فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

لستُ بمنكر فضلَ أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله(صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع:

((قد كثرت علي الكذابة، وستكثر فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي،

فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به)).

وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ [1] فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل من مكنون سرّه؟ هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء؟!!

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأن جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ، وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبهّما بهما.

قال يحيى: وقد روي أنهما سيدا كهول أهل الجنة!! فما تقول فيه؟

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

وهذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً، ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنوا أمية لمضادّة الخبر الذي قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الحسن والحسين بأنهما: سيدا شباب أهل الجنة.

فقال يحيى بن أكثم: وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة!!

---

(١) سورة ق، ١٦.

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

وهذا أيضاً محال، لأن في الجنّة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟.

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي إن السكينة تنطق على لسان عمر!!

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

لستُ بمنكر فضائل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسددوني!!

فقال يحيى: قد روي أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: لو لم أبعث لبُعث عمر!!

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكان الأنبياء عليهم السلام، لم يُشركوا طرفة عين، فكيف يُبعث بالنبوة من أشرك، وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟

وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): نبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي إن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: ما احتبس الوحي عنّي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب!!

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

---

(١) سورة الأحزاب، ٧، والآية لن ترد كلها في الرواية فأكملناها.

وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي(ﷺ) وفي نبوته، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ...**﴾[1] فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟.

قال يحيى بن أكثم: روي أن النبي(ﷺ) قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر!!

فقال الإمام محمد الجواد(عليه السلام):

وهذا محال أيضاً، أن الله تعالى يقول: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[2].

فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله(ﷺ) وما داموا يستغفرون الله تعالى[3].

وهذه المناظرة التي فُرضت على الإمام فرضاً بقصد إثارة الصراع الإنساني، أجاب الإمام عن مفرداتها بالدليل العقلي تارة، وبالدليل النصّي تارة أخرى، دون أن تمسّ بأحد مسّاً عنيفاً، ولكن أجوبته كانت مُسكتة بحيث لم يتجرأ السائل أن يجد فيها مطعنا فيردّ عليها، وإنما أفحم إفحاماً لا متنفس معه.



(١) سورة الحج، ٧٥.

(٢) سورة الأنفال، ٣٣.

(٣) الطبرسي / الاحتجاج / ٢٢٩ - ٢٣٠ + المجلسي / البحار / ٨٠- ٨٣.

الفصل السابع

الإمام محمد الجواد (عليه السلام).. شهيداً

١ـ الإمام (عليه السلام) يتوقع الشهادة.

٢ـ كيفية اغتيال الإمام (عليه السلام).

٣ـ دوافع اغتيال الإمام (عليه السلام).

٤ـ تشييع جثمان الإمام (عليه السلام) ودفنه.

٥ـ مشهد الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في الكاظمية المقدسة.

الإمام(عليه السلام) يتوقع الشهادة

حينما استدعى الإمام محمد الجواد(عليه السلام) إلى بغداد من قبل المعتصم بن هارون الرشيد، وصل إليها بعد أدائه مناسك الحج لليلتين بقيتا من المحرم عام عشرين ومائتين من الهجرة[1].

واحتفلت بغداد بالإمام احتفالاً عارماً، والتف حوله العلماء والفقهاء ورجال الحديث وقادة الفكر الكلامي، واحتفى به المعتصم – ظاهرا – احتفاءً عظيماً، وفزع إليه طلاب العلم وروّاد المعرفة، فكانت تلك الأيام مشرقة بهذا السراج الهادي إلى النهج النبوي، وتوّجت بالعطاء العلمي الزاخر والوعي المستفيض، واشرأبت الأعناق إلى هذا الشاب المعجزة تستلهم هداه، وتستوحي تعبيره النابض بشتى المعارف الإسلامية، واستبشر أتباع أهل البيت(عليهم السلام) بهذا الفتح المبين، وهم يرون ذلك الانبهار المتصاعد بشخصية الإمام، ويستمعون لذلك الثناء العاطر على إمكاناته الهائلة، ولم يكن ليدور بخلدهم أن الزمان سيجهز عليه بسرعة قياسية، إلا أن الالتفاف الشعبي حول الإمام، ونفوذه الواعي في ضمير الأمة مما أغاظ البلاط العباسي، فبدأ يدبر المؤامرة النكراء لاغتياله.

وقد كان الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قد استشعر بلمح غيبي دنو أجله في هذه السفرة، وتوقع استشهاده بهذه الرحلة توقعاً يُعتدّ به تاريخياً، فقد روي عن إسماعيل بن مهران قال: ((لمّا أخرج أبو

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٨، عن المناقب٤/٣٧٩.

جعفر(عليه السلام) من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجته، قلت له عند خروجه:

جعلت فداك، إنّي أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الأمر من بعدك؟

قال: فكرَّ بوجه إلي ضاحكاً وقال: ليس حيث ظننت في هذه السنة!! فلمّا استدعي به إلى المعتصم صرت إليه، فقلت له: جعلت فداك، أنت خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك؟

فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم التفت إليّ، فقال:

عند هذه يُخاف عليَّ!! الأمر من بعدي إلى ابني عليّ))[1].

وهذا تنبؤ من الإمام على نحو غيبي استقاه -دون شك- من آبائه(عليهم السلام).

والمعروف أنّ الإمام(عليه السلام) كان في عنفوان شبابه فهو في الخامسة والعشرين من عمره، ولم يحدثنا التاريخ أنّه كان يشكو من أي مرض أو عارض صحي قد أصابه، فهو سليم من الناحية الصحية، وليس هناك أي سبب لموته المفاجئ إلا ما دبّره المعتصم له من الاغتيال.

والطريف جداً أن الإمام(عليه السلام) قد حدّد موعد وفاته وهو في عصر المأمون قبل عهد المعتصم، فعن ابن بزيع قال: قال أبو جعفر(عليه السلام): الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً.

قال: فنظرنا، فمات بعد ثلاثين شهراً[2].

---

(١) المفيد / الإرشاد /٣٦٩.

(٢) ظ: المجلسي / البحار ٥٠/ ٦٤ + الحر العاملي / إثبات الهداة ١٩٠/٦.

وفي سنة وفاته(عليه السلام)، قال محمد بن الفرج: كتب إلى أبو جعفر(عليه السلام): ((احملوا إليّ الخمس فإنّي لست آخذه منكم سوى عامي هذا)) فقبض في تلك السنة[1].

والأهم من جميع ما تقدم، ما صدر عنه(عليه السلام) ليلة وفاته مخبراً بها بما روي عن أبي مسافر، عن الإمام(عليه السلام)، أنّه قال في العشية التي توفي فيها: إنّي ميّت الليلة، ثم قال: نحن معشرٌ إذا لم يرضَ الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه[2].

وهذا من غرائب الأمور في إطارها الاعتيادي، إلا أننا إذا نظرنا إليها من ذلك الباب الذي علّمه رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين(عليه السلام)، وعلّمه أمير المؤمنين لأبنائه المعصومين، تُرفع الغرابة لأنه علم من ذي علم، استوعبه الأئمة عن جدهم(صلى الله عليه وآله).

وحينما استشعر الإمام(عليه السلام) بدنو أجله، كان لابد أن يتخذ الإجراءات الكفيلة بمواصلة مسيرة أهل البيت في مبدأ الإمامة، فعَهِد إلى ولده الإمام علي الهادي(عليه السلام)، بما روه الخيراني عن أبيه:

إن الإمام الجواد بعث إليه رسولاً قال له:

((إن مولاك يقرأ عليك السلام، ويقول لك:

إنّي ماضٍ، والأمر صائر إلى ابني علي، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي))[3].

---

(١) المجلسي / البحار ٥٠/ ٦٣ عن المناقب ٣٨٩/٤.

(٢) المجلسي / البحار ٢/٥٠.

(٣) المفيد / الإرشاد / ٣٦٩.

وكان الشيخ الصدوق قد روى عن الصقر قوله:

((سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام)، يقول:

إنّ الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي))[1].

وما روي في هذين النصّين وسواهما، يعتبر أصلاً في النص على إمامة ولده الإمام علي الهادي(عليه السلام)، يضاف إليها الإخبارات السابقة والأصول المدونة الأخرى، وهو أي الإمامية أجمع.



(١) الصدوق / إكمال الدين ٢/ ٥٠.

كيفية اغتيال الإمام(عليه السلام)

والأمر المقطوع به الذي توصل إليه البحث أن الإمام أبا جعفر محمد بن علي الجواد(عليه السلام) لم يمت حتف أنفه، وإنما مات مسموماً على يد المعتصم العباسي.

وقد اختلفت الرواية في كيفية سمّه وطريق ذلك على أقوال:

١- أجمل ابن بابويه الأمر فقال:

سَمّ المعتصمُ محمدَ بن علي(عليه السلام) [١].

٢- إنّ المعتصم أنفذ إليه شرب حمّاض الأترّج تحت ختمه علي يدي أشناس، فقال للإمام:

إن أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي دؤاد سعد بن الخصيب، وجماعة من المعروفين، ويأمرك أن تشرب منها بماء الثلج، وصنع في الحال، وقال: اشربها.. وأصرّ على ذلك، فشربها عالماً بفعلهم[٢].

٣- إن المعتصم، أمر أحد وزرائه بأن يدعو الإمام إلى منزله على وليمة فدعاه.. فلمّا صار إليه طعم منها، فلما طعم أحسّ السمّ، فدعا بدابته وذهب إلى داره، فلم يزل يومه ذلك وليله، في خلفة (الهيضة وانطلاق البطن) حتى قُبض(عليه السلام)[٣].

(١) المجلسي / البحار ٨/٥٠ وانظر مصدره.

(٢) ابن شهر آشوب / المناقب ٣٧٩/٤.

(٣) العياشي / تفسير العياشي ٣٢٠/١.

٤- إنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر الجواد(عليه السلام)، فأشار على ابنة المأمون زوجته بأنْ تسمّه، لأنه وقف على انحرافها عنه... فأجابته إلى ذلك، وجعلت سمّا في عنب رازقي، ووضعته بين يديه، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي... ومات الإمام سميماً[1].

٥- وروى المسعودي: أنّ جعفر بن المأمون قد حرّض وأغرى زوجة الإمام أم الفضل- وكانت أخته لأمه وأبيه - على أن تدسّ السمّ إلى الإمام ففعلت ما طلب منها[2].

ومهما يكن من أمر فقد استشهد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) مسموماً، وفاضت روحه المقدّسة، والتحق بالشهداء والصالحين والصدّيقين وحسن اؤلئك رفيقاً.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء باتفاق المؤرخين[3]. والأشهر والذي عليه العمل وترتيب الآثار أنّه توفي في آخر ذي القعدة الحرام عام عشرين ومائتين[4].

وقيل أنّه توفي في الحادي عشر من ذي القعدة[5].

وقيل أنّه توفي في الخامس أو السادس من ذي الحجة[6].

---

(١) المجلسي / بحار الأنوار ١٧/٥٠ وانظر مصدره.

(٢) المسعودي / إثبات الوصية /٩٠.

(٣) الكليني / الكافي ٢٩٧/١ + الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ٥٥/٣ + ابن خلكان / وفيات الأعيان ٣١٥/٣ + ابن الصباغ / الفصول /٢٥٨.

(٤) ظ: الكليني / الكافي ٤٩٢/١ + المفيد / الإرشاد /٣٦٨ + الطوسي / التهذيب ٩٠/٦ + ابن حجر / الصواعق /١٢٣ + الشبلنجي / نور الأبصار /١٤٩.

(٥) ظ: المجلسي / البحار ١٥/٥٠ + محمد حسن النجفي / جواهر الكلام ٩٩/٢٠.

(٦) ظ: الكليني / الكافي ٤٩٧/١ + المسعودي / إثبات الوصية /١٩٠.

وأنّى كان يوم الوفاة، فقد ذهب الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد (صلوات الله عليه) شهيد صلابته وقيادته الفذّة، وصريع مواهبه وكفايته النادرة، وله من العمر خمس وعشرون سنة. قال محمد بن سنان: قبض أبو جعفر محمد بن علي، وهو ابن خمس وعشرون سنة، وثلاثة أشهر، واثني عشر يوماً، سنة عشرين ومائتين، عاش بعد أبيه تسع عشرة سنة إلا خمسة وعشرين يوماً[1].

وكونه عاش بعد أبيه تسع عشرة سنة يعني أنه تولّى منصب الخلافة وعمره ست سنوات.

بينما ذهب آخرون أن مدة إمامته سبع عشر سنة. أو ثماني عشرة سنة إلا عشرين يوماً[2].



(١) الأربلي / كشف الغمة ٢١٧/٣.

(٢) ظ: المجلسي / البحار ٧/٥٠.

دوافع اغتيال الإمام(عليه السلام)

مُنيَ الحكم العباسي بهزيمة كبرى بين يدي الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ففي الوقت الذي أراد به النظام تصيير الإمامة في نظر الشعب المسلم أضحوكة، وولاية أهل البيت في نظر أتباعهم ألعوبة، وذلك للقول بإمامة هذا اليافع الدارج في سنواته السبع!! وإذا بهم يفاجئون بسيل متحدّر من الأعالي يغمر التلاع والتلال والأباطح بالعلم والمعرفة والإفاضة الإنسانية المترامية الأطراف، وإذا بهذا الصبي الإمام يصبح أعجوبة الزمن وحديث الجيل المعاصر، وإذا بشيوخ الإسلام تنحني أمام عظمته الكبرى، وإذا بأساطين العلم شاخصة الأبصار وهي ترنو إليه خاشعة وإذا بقادة الفكر وأرباب الكلام يتطلعون إلى مزيد من الأفكار الجديدة، والإمام يتحدّث إلى هذا الجمع الحاشد من العلماء بنظر ثاقب وقلب ثابت، تتفجر الحكمة ببيانه، وينطلق صوت الحق مدوّياً بلسانه، صلباً لا يتزلزل، وشامخاً لا يتدانى، حتى انهزم الجمع وولو الدبر!! ولو أردنا استقراء الحوادث المحيطة بحضرة الإمام(عليه السلام)، لوجدناها تنبئ جميعاً بمخطط القضاء عليه مبكراً، وذلك مما يمثل دوافع اغتياله وأسباب قتله المفجع.

وبإمكان البحث تشخيص جملة من هذه الدوافع والأسباب، في نقاط قد تستوعب الجزء الأكبر منها في تلخيص مركّز:

١- كان الإمام محمد الجواد(عليه السلام) لدى تبرعم شبابه قبلة القاصد والوارد من طلاب العلم وروّاد المعرفة الحقّة لمسائل الشريعة وأحكام

الدين، وهم يتوافدون زرافات ووحداناً شطر سُدّته المنيعة بالتأييد الإلهي، وكان هذا التلاحم في التوافد، والاندفاع في القصد إليه بأعداد كبيرة مما يثير غضب الحاكمين وسخط المتنفّذين، فتألّبت عليه السلطات الجائرة وأجهزتها الأمنية، وأسرعت بحبك المؤامرة الكبرى لاغتياله.

وعلاقة تفوّق الإمام العلمي باستشهاده علاقة وثيقة الصلة، لأنّ من أوليات المتصدي للخلافة الإلهية الشرعية، وقيادة جماهير الشعب المسلم في ذلك الاتساع الجغرافي والامتداد على طول البلاد الإسلامية وعرضها، لابدّ أن يتسلح -بادئ ذي بدء- بالعلم النابض المتحرك مع متطلبات الزمن والحضارة، ولا بدّ له من الكفاية العالية في الأداء والبيان لتلبية متطلبات الشعوب الإسلامية في معرفة فروع الأحكام ومسائل الشريعة، وهذا هو المتوافر بغزارة معمّقة بأكثر من المتصوّر لدى الإمام الجواد(عليه السلام)، وهو المتوقع من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) في الشعور العام، فإذا دعم ذلك الشعور بالتطبيق الخارجي كانت النظرية متكاملة الأبعاد، بينما مركز الخلافة الرسمي المتمثّل بسلطان الزمان قد ثبت خسرانه في هذا المجال، فهو صفر الكفين من أبسط مقومات هذا الجانب.

٢- كانت ردّة الفعل الشعبية على هذا الاكتشاف السريع الذي لا يحتاج إلى الصبر والإطالة. إن تعلق الشعب المسلم بالإمام محمد الجواد في الإضاءة والإنارة لمعالم الطريق السويّ في الهدي والرشد، فحينما استدعي إلى بغداد من قبل المعتصم كان التفاف الفقهاء والعلماء وحملة الفكر الإنساني المجرّد من التعصب منقطع النظير حوله، وكانت الفروق المميزة بين المناخ العقلي الذي يحمله الإمام، وبين الأفكار العشوائية التي

مُني بها قادة النظام تحتم اضطلاع الصفوة المثقفة بعبء التمييز بين المؤشـرَيْن: الصاعد المتطلّع في الرؤية، والهابط المتخبّط في الانحراف، والنظام يعي ما في هذا من الخطر المحدق الذي يدفع بالأمة إلى تزلزل عقيدتها بصلاحية رجال الدولة، وهم يتربعون على عروشها باسم الإسلام، ولا يحيطون بأدنى الضروريات معرفةً منه، فما على السلطان بعد هذا إلا أن يتخلّص من الإمام عاجلاً، وبالقضاء عليه.

٣- وفي ضوء ما تقدم فإنّ الإشكاليات ازدادت ضراوة ضدّ الإمام من قبل السلطان، كما ازدادت القواعد الشعبية التصاقاً بالإمام(عليه السلام)، فالسلطان يكيد له ويمكر به، والشعب المسلم يتمسّك به أساساً راسخاً قد تمكن من القلوب واستولى على المشاعر والأحاسيس.

هذه المفارقة في كلّ تبعاتها المحزنة والمفرحة، ولّدت جواً من الحساسية الملتهبة في المناخ السياسي والشعبي، فالموازين في الأحكام السلطانية والنظم الإسلامية لها موقفها الصريح في الحكم للإمام، إذ الولاية الإلهية لا تنطبق إلا عليه من خلال ضروريات الدين، وهو ما توصل إليه الواعون من الوسط الشعبي المستقل، والتفكير السياسي يرى في هذا التقرير الخطر كلّ الخطر على مراكز الدولة وذات السلطان، وفي مثل هذه المعادلة يكون التخلّص من حياة الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قضيّة مركزية للحكم.

٤- كان للوشايات وتقريرات الأجهزة المسؤولة عن الأمن أثرها الفاعل في تأليب النظام الحاكم على الإمام، فهي تُفتعل وتُتَقَوّل وتُفترى تقرّباً للنظام بما لا أصل له، وهذا جارٍ في كلّ زمان ومكان لدى الأنظمة

الدكتاتورية التي تتراءى لها أشباح الهزيمة في كلّ بادرة، فالإمام لا يحاول حكماً، ولم يسعَ إلى سلطان، والمعنيّون بحفظ النظام يحاولون تأكيد التهم ضدّ الإمام، ويكاد المريب أن يقول خذوني، ومن هذه المقولة كان التخوّف جاثماً على صدور الحاكمين، يضاف إلى ذلك الأحقاد المتأصّلة والكراهية لأهل هذا البيت في مسلكهم الداعي إلى العدل الاجتماعي، وحقوق الإنسانية، والمساواة بين أبناء الشعب الواحد، وهذا ما يطوّح بأحلام حكّام الزمان الذين اتخذوا عباد الله خولاً، ودينهم دخلاً، ومال المسلمين دولاً، فاجتمع هذا وذاك في لا تفكير جدّياً بالقضاء على الإمام وهو في أول شبابه، وأوج نشاطه القيادي، وهو ما حصل على يد المعتصم بن هارون الرشيد!!

٥- كان الأثر الاجتماعي الفريد لسلوك الإمام في حياته المتواضعة، وزهده الواقعي في فطرته الذاتية، وخلقه الرفيع في مثله العليا، مثار جدلٍ كبيرٍ إزاء غطرسة السلطة، وكبريائها، وجبروتها، وإسرافها، وتبذيرها، وكان هذا الجدل يصبّ في رافد الإمام عائدية، وكأنّه التصويت الصامت على أحقّية الإمام بإدارة الدولة الإسلامية، فالإمام يعيش حياة المسلم الاعتيادي في كلّ مظاهرها البسيطة، في البيت والمسجد والمحافل العامة، وفي الممارسات السكنية والغذائية والألبسة والأثاث ومتطلبات الحياة، والحكام يتراوحون في ذلك البرج العاجي بين لهو وعبث ومجون، يرتكبون المحرمات ويسعون إلى اللذائذ، ويتحينون الفرص للاقتناص الشهوة المحرمة واللذة المشبوهة، والارتماء بأحضان الجواري والقيان، وإحياء

حفلات الرقص والغناء، وإعمار موائد الخمور والفجور، عدا الظلم الفاحش والطغيان المستيطر.

ويبقى الشعب المسلم في فصائله الواعية وشرائحه المختلفة مبهوتاً تجاه هذه الفوارق الفجّة في كلّ شيء!! وهذه مشاهدات ميدانية لها وزنها الوثائقي لدى من ألقى السمع وهو شهيد، وهو مما ازدادت معه شعبية الإمام، وتلاشت به هيبة السلطان.

وشعر الحكم العباسي بهذه المسألة الخطيرة، وعليه أن يتأهب بجهد حثيث يصوّر الحاكم بأنه خليفة الله في أرضه وإنْ ظلمَ العباد ومزّقَ البلاد، وتقف ثقافة الإمام الرائدة ضدّ هذا الاتجاه الجبري، ويعود الحكم إلى حلّ لمشكلته المتفاقمة، ولا حلّ لديه سوى القضاء على الإمام وهكذا كان. واخترم عمر الإمام وهو في ريعان شبابه، وسلامة من صحّته وبدنه، وباستشهاده تنطوي تلك الصفحة المشرقة التي أنارت الدنيا بشعاعها الهادي.

وسيظلّ الإمام محمد الجواد(عليه السلام) شعلة وضّاءة تذكي حرارة النضال العلمي، وجذوة متوهجة تهدي إلى الله تعالى.

والعاقبة للمتقين.



تشييع جثمان الإمام(عليه السلام) ودفنه

جُهّز بدن الإمام، وغسّل طبقاً للموازين الشرعية واجبها ومستحبها، وأدرج في أكفانه الطاهرة، وقد تناهى خبر استشهاده إلى أحياء بغداد والقصبات المجاورة، فخفّ لتشييعه الناس علماء وفقهاء وجماهير، وحُمل إلى مثواه الأخير- والجثمان على أعناق الرجال – إلى مقابر قريش في الكاظمية المقدّسة، ودفن في جوار جده الإمام موسى جعفر(عليه السلام)، وهي مسألة إجماعية نصّ عليها جميع من ترجم للإمام محمد الجواد فكانا جنباً إلى جنب في مضجع طاهر تجللهما السكينة، وتباركهما الطمأنينة بعناية إلهية ((حيث مثواهما الزاهر ومرقدهما المقدّس الذي أصبح محجّة لزيارة الناس من كلّ حدب وصوب، ومَعلَماً يزهي حتى اليوم بصرحه الشامخ وقبتيه الذهبيتين، [ومنائره الأربع] وبنائه الحاوي لبدائع الفن والريازة والزركشة، وروائع ضروب التطعيم الفضّي والزجاجي البالغ أسمى مراتب الجمال المدهش والحُسن الأخّاذ))(1).

يقول الإمام الشيخ راضي آل ياسين قدس سرّه: ((إذا وقفت داخل حرمه المقدس صرت في روضة كبيرة، طولها من القبلة إلى الجوف أربعة وعشرون متراً، وعرضها من شرق إلى غرب عشرة أمتار، وفي وسط هذه الروضة الضريح الفضّي يغشى العيون وميضاً ونوراً، وهو

(1) محمد حسن آل ياسين / الإمام محمد الجواد / ٥٤.

يشغل من هذه الساحة سبعة أمتار من القبلة إلى الجوف طولاً، وخمسة أمتار عرضاً، ويرتفع عن الأرض أربعة أمتار تقريباً، وبابه في وسط جهته الشرقية... وداخله صندوقان مفروش عليهما الفضة... والصندوق الذي في جهة القبلة منهما هو مرقد الإمام موسى بن جعفر والآخر مرقد الإمام محمد الجواد عليهم السلام))[1].

وفي المبحث الآتي عرض تفصيلي مكثف عن المشهد.



(١) راضي آل ياسين / تاريخ الكاظمية / ١٥٤.

مشهد الإمام محمد الجواد(عليه السلام) في الكاظمية المقدسة

الكاظمية المقدسة روضة غنّاء تحيط بها أزاهير الرياحين، وتتخللها حدائق الورد، ولتعمرها البساتين الفارعة في أشجارها ونخيلها، ويكاد أن يحيط أراضيها نهر دجلة من ثلاث جهات تستدير عليها، يُنعش من هوائها، ويُطيّب مناخ أجوائها، حتى عادت مصطافاً ومرتعاً، وفيها البناء التراثي في عمارتها القديمة، وفيها البناء الجديد في طوابقه ومدارجه، ومن حولها البيوت الفارهة والقصور المعتدلة في تنظيمها واصطفافها، وقد اتسعت في العمارة والبناء حتى كادت تبلغ العطيفية شرقاً، والتاجي جنوباً، وسواهما شمالاً وغرباً، وفي وسطها يربض مشهد الإمامين موسى بن جعفر(عليه السلام) وحفيده الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وهو من الخارج حتى الداخل عبارة عن صحن كبير بين الاستطالة والتربيع، ذي جدار ضخم وسور عالٍ على أساس متين من الآجر والطابوق الأثري القديم، بُنيت من داخله غرف من جهاته الأربع يأوي إليها الزائرون عند الحاجة، وفيها المكتبات ومقرّات بعض العلماء ورجال الدين، وعادة ما يُدفن فيها العلماء وأهل الدين والأشراف وأعيان الشيعة، وأمام كلّ غرفة إيوان بمساحة أربعة عشر متراً تقريباً بُلّطت باحته بالرخام، وغُلّفت جدرانه بالكاشاني المقرنص والمزركش والمزجّج، ويحتوي الصحن على عشرة أبواب للداخل إليه والخارج منه.

وقد وصف الشيخ راضي آل ياسين الصحن بقوله: ((وهو محل متسع المساحة ذرعه من شرق إلى غرب ١٣٠ متراً، وطوله من جنوب إلى شمال

١٣٥ متراً، وقد أحيط بسور بُنيت في وجهه الغرف والإيوانات، فأشغلت من سعته مستديراً عرضه سبعة أمتار، وأرضه المحفوفة بالإيوانات والغرف مفروشة كلّها بالمرمر، وفي باطنها سراديب محكمة البناء... طولاً وعرضاً وعمقاً، وهي مرتّبة بأشكال لطيفة ونقوش طريفة، وفي جبهة هذا السور كتيبة فائقة الحسن، وبقلم ثلثي كبير تقرؤ بعض سور القرآن المجيد، وتنتهي بالزاوية التي بالشمال الغربي لصحن المراد... وتُشَق في هذا السور الإيونات التي في وسطها الغرفات، فتراها مرتّبة منظّمة تروق العيون، وهي (٨٦) إيواناً و(٧٥) غرفة وذلك لأن بعض مواقع الايونات اتفقت مداخل للصحن، ففي الجبهة القبلية ثلاثة وعشرون إيواناً، منها إيوانان صغيران في الزاويتين، واثنتان وعشرون غرفة لمكان الباب الكبير أواسط هذه الجهة.

وفي الجهة الشرقية ثلاثة وعشرون إيواناً، منها أربعة صغار في الزاويتين وفي جانبي الباب الكبير، وتسع عشرة غرفة لمكان البابين الصغير والكبير...

وفي الجهة الغربية ثلاث وعشرون إيواناً، منها أربعة صغار كما في الصحن الشرقي، وإحدى وعشرون غرفة لمكان البابين الكبير والصغير في هذه الجهة.

وفي الجهة الشمالية أربعة عشر إيواناً واثنتا عشرة غرفة لمكان البابين الشماليين))[1].

ويُفضي الصحن الشريف إلى طارمات ثلاث مسقفة ببناء ضخم، وقد زيّنت بالنقوش الثمينة بالذهب والفضة واللازورد و(العينة كاري) وهي قطع المرايا الصغيرة المصنوعة بأشكال هندسية عاكسة ثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية. وهذه الطوارم الثلاث هي:

---

(١) راضي آل ياسين / تاريخ الكاظمية / فصل منه / إعداد سبطه الطيب محمد حسين آل ياسين / ١٦٢ - ١٦٣. عن مجلة الهدى العمارية.

١- طارمة باب المراد، وهي الطارمة الشرقية.

٢- طارمة قريش، وهي الطارمة الغربية.

٣- طارمة القبلة، وهي الطارمة الجنوبية.

وقد وصفها جميعاً بأحجامها وأشكالها وكتابات جدرانها الشيخ آل ياسين[١].

ويتخلل كل طارمة إيوان ذهبي أو زجاجي على نمط فريد من الأحكام والهندسية المعمارية، وتفصل هذه الطوارم بجدار أروقة الحرم الشريف، عن طريق الأبواب الذهبية التي توصل إيوان الطارمة بالرواق المفضي إلى الحرم المطهّر، وأكبرها طارمة (باب المراد) المسماة تبركاً بلقب الإمام محمد الجواد(عليه السلام).

وهذه الأروقة جميعها يفضي بعضها إلى بعض من جهات الحرم الشريف الأربع، وكلّها مبلّطة بالرخام الثمين المرمري، وجدرانها مزيّنة بالرخام النفيس إلى ارتفاع أكثر من مترين، ثمّ تبدو الجدران والسقوف كلّها مزيّنة ومنقوشة بالمرايا والزجاج المقرنص والمقطع بأشكال هندسية خاصة تسمى بالعرف (العينة كاري) وهذه الأروقة ثلاثة سميت بأسماء الجهات التي تتجه إليها وهي الرواق الشمالي، والرواق الغربي والرواق الشرقي، وهي تتصل بالروضة المقدّسة للإمامين الكاظم والجواد(عليهما السلام) من خلال عدة أبواب، أهمها أبواب الرواق الشرقي، وبينه وبين الحرم بابان، ويتصل من جهته الشرقية بطارمة باب المراد عدة أبواب هي:

الباب الشمالي، والباب الجنوبي، والباب الأوسط.

---

(١) المرجع السابق / ١٨٧ - ١٨٩.

وليس بالإمكان عزل الإمام الكاظم عن حفيده الإمام الجواد في حديثنا عن الحرم الكاظمي الشريف، فقد اضطم على جثمانيهما الطاهرين، وهي فرصة نتحدّث بها عن الضريحين المباركين وتوابعهما بحسب الإجمال بإذن الله تعالى.

والروضة المقدسة قد وصفها وصفاً ميدانيا دقيقاً سماحة الأخ الشيخ محمد آل ياسين بقوله:

((ونعني بها (الروضة)[1] ذلك الفضاء المحيط بالضريح داخل المشهد مما اصطلح الناس على تسميته بـ (الروضة) وهي تنقسم إلى قسمين أو روضتين:

جنوبية، وتدعى روضة الإمام الكاظم(عليه السلام).

وشمالية، تدعى روضة الإمام الجواد(عليه السلام).

ويصل بينمها من الشرق الغرب طريقان ضيّقان، ويقع الضريح المطهّر في الوسط بين الروضتين.

إن طول الضريح الفضي (٦،٧٤م) وعرضه (٥،١٧م) وترتفع أعلى نقطة فيه قرابة ثلاثة أمتار ونصف المتر عن الأرض، وهو مشبّك ومنقوش على نحو جميل جداً..

وقد أقيم على الضريح على قاعدة من الطابوق والإسمنت مغلّفة من خارجها بالرخام، تعلو عن أرض الروضة ٢٢ سم، ويعلو فوقها

---

(١) ويبدو لي أن هذه التسمية ذات منشأ قديم يمتد إلى عهد الرسول الأعظم (ص) حيث قال: (بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) فعمم هذا القول على الضرائح المقدسة، ووصف به حرم كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

المشبك، بارتفاع ١٤٢ سم، وبعرض ١٠٧ سم لكلّ نافذة منه، ويفصل بين كل نافذة وأخرى فاصل أو عمود مطليّ بالفضة بعرض ٢٠ سم.

وفي سنة ١٣٨٥ هـ وضعت كتيبة قرآنية بعرض ٢٤ سم فوق الشبابيك متّصلة بها، وقد صنعت قاعدتها من الميناء، وكتبت عليها بالذهب سورتا الدهر والفجر.

ثم تأتي فوق هذه الكتيبة نقوش ذهبية تدور حول الضريح كلّه بارتفاع حوالي ١٣٠ سم، وقد تمّ صنعها عام ١٣٧٨ هـ وكانت قبل ذلك من الفضة.

ويقع باب الضريح في وسط جهته الشرقية، وبداخل الضريح (الصندوقان الخشبيان) الموضوعان على القبرين الشريفين، وهما صندوقان كبيران متساويان في الهيئة والحجم، مسطحا أشكل، من الخشب الجيّد المتين، طول كل منهما نحو ثلاثة أمتار ونصف المتر، وعرض كل منهما نحو مترين، وكذلك ارتفاعهما، وهذه الأبعاد تقريبية. وكلّ صندوق منهما يتكون من أربعة ألواح كبيرة، وثمانية ألواح صغيرة، متصلة بأطراف الألواح الكبيرة، أي أن كلّ جهة من جهات الصندوق الأربع تتكون من ثلاثة ألواح، أحدها كبير في الوسط، وفي كلّ طرف منه لوح صغير تعلوه الأفاريز المزخرفة والمزيّنة بالنقوش والكتابات، وكلّ لوح من هذه الألواح الصغيرة والكبيرة مكوّن من عدد كبير من قطع صغيرة صنعت بأشكال هندسية مختلفة ومتنوعة، تتصل مع بعضها فتتداخل وترتبط بمتانة وإحكام حتى يتكون منها لوح واحد منسّق يُحيط بأطرافه الأربعة إطار مزخرف ينتهي بالأفاريز، يعلوها الغطاء، وهو محاط بإفريز بارز، وكلّ قطعة من تلك القطع الهندسية الصغيرة زخرف وزيّنت بنقوش هندسية وزهرية، ونقوش أخرى مختلفة بالحفر والتطعيم والتلوين.

وتكاد تكون زخرفة كلّ لوح تختلف عن اللوح الآخر، وقد عرف هذا النقش بنقش (الخاتم) وهو أدقّ وأجمل نقش معروف.

وقد استعمل للزخرفة والتطعيم خشب الآبنوس، والعنّاب، والليمون، والصاج، وعظم العاج، والجمل، والحصان، والأصداف، وسبائك البرونز، والمعادن الملونة، من مُذهبة ومُفضّضة، والأصباغ المعنوية الملونة البرّاقة، ودهن الصندلوس، ومواد دهنيّة أخرى، إلى غير ذلك مما لا يمكن استيفاء وصفة، كما تزيّن بعض الألواح كتابات نُسخيّة مركّبة متداخلة بأحرف بارزة واضحة جميلة، وقد كتب بعض الكلمات بالخط الكوفي على طريقة النقش للتزيين))[1]...

وليس فيما تقدم وصفه مبالغة أو إضافة، بل هو واقع مشاهد ميدانياً أدركناه بأنفسنا، ولو سمح للخيال أن يتأنق باختيار ألفاظ الوصف لما فيه من الإبداع وحسن الصنعة، لفاق الوصف هذا القدر من الإضاءة والتنوير.

((والصندوقان مغلّفان بالزجاج السميك حماية لهما من الغبار، وقد شارك في نفقة هذا الزجاج كلّ من الحاج عبد الهادي الچلبي الكاظمي والحاج محمد علي أبو الصمّون.

وسقف الضريح من الداخل من الخشب الساج الجيّد المصنوع على شكل نقوش هندسية وزهرية...

إن طول كل روضة عشرة أمتار واثنان وستون سنتمتراً، بعرض سبعة أمتار وخمسة وخمسين سنتمتراً، وطول كلّ من الطريقين الموصلين بين الروضتين ٦،٧٤ م بعرض ١،١٧م.

---

(١) محمد حسن آل ياسين / تاريخ المشهد الكاظمي / ٦٩ – ٧٠.

والروضة بقسميها وطريقيها مُبلطة بالرخام الجيّد، وتزيّن جدرانها من الأرض إلى ارتفاع ١٤٠سم قطع الرخام أيضاً، وقد تمّ عمل هذا الرخام في ٢٥ محرم الحرام سنة ١٣٧٠ هـ.

ثم يلي الرخام كتابة قرآنية بعرض ٧٥ سم، وتبدأ بعدها النقوش الزجاجية الرائعة المسماة بـ (العينة كاري) مرتفعة على الجدران إلى باطن القبّتين المنقوش بنفس بالكاشاني الجميل، وفي أعلى الروضتين نوافذ للتهوية والنور تنفذ إلى سطح الحرم، ويرتفع كلّ واحد منها حوالي مترين، وفوق هذه النوافذ من الخارج كتيبة قرآنية من الطابوق الكاشاني بعرض ٦٠ سم، تدور حول سطح الروضتين، وقد جدِّدت سنة ١٣٨٧ هـ.

والقبتان والمآذن الأربعة الصغيرة مغلّفة - بأجمعها - بالذّهب، وكذلك المآذن الأربعة الكبيرة في قسميها العلوي من مكان وقوف المؤذن فيها إلى قمتها.

وعلى الرغم من عدم استطاعتنا تحديد ارتفاع القبتين والمآذن وضبط قطر كل منها، فقد علمنا من بعض المطّلعين أن عدد الطابوق الذهبي في كل قبة سبعة آلاف طابوقة بامتداد ٢٠ سم × ٢٠ سم لكل واحدة))[1].

هذه قبسات لامعة - قد تكون مفيدة - من تاريخ المشهد الكاظمي ضمّت بين دفتيها أبعاداً وصفية ميدانية لضريحي الإمامين العظيمين موسى بن جعفر ومحمد الجواد(عليهما السلام)، وهي تسجّل جزءاً من التطور التاريخي الجاري على المشهد في نظرات سريعة.

وهنا ينبغي أن نشير أنَّ سيدنا الأستاذ الإمام السيد أبو القاسم الخوئي "قدس سرّه" ، قد أوعز قبل ربع قرن من الزمان بإقامة ضريح

(١) محمد حسن آل ياسين / تاريخ المشهد الكاظمي / ١٥٤ - ١٥٨.

جديد نفيس للروضة الكاظمية المقدّسة، وتصميم ذلك وفق أحدث المواصفات الفنية التي تتوافق ومعالم التطور الحضاري في صنع الضرائح جِدّةً وهندسة وبراعة ومادّة مزيجة بين الذهب الخالص والفضة المنتقاة، ولوائح الزجاج المرمري النفيس، وصفائح الساج الثمين، وقد حالت الحكومة البائدة والحرب العراقية الإيرانية عن وصوله إلى الكاظمية، وقد علمتُ –إجمالاً – بأنّه صنع بأمانة وإتقان على أيدي أمهر الصنّاع والعَمَلَة والمهندسين المتخصصين في العالم.

وفي عام ٢٠٠٤ م قدِمَت لجنة من العلماء والتجّار وأرباب الصناعة ورجال الفن، وكان من بينها صديقنا العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الروحاني– كما أخبرني بذلك وهو أحد تلامذة سيدنا الأستاذ الخوئي"طاب ثراه" ، وهم يحملون الضريح المطهّر بصناديق وخزائن محكمة لغرض القيام بنصبه.

وقد تمّ نصبه في موقعه من الروضة الكاظمية المباركة على القبرين الشريفين منذ عام على ما حدّثني به ولدنا المفضال الشيخ حسين آل ياسين "دام مجده"، ولم أستطع الوقوف على ذلك بنفسي، فقد حالت برامج الإرهاب الدموي، وجرائم القتل السياسي والطائفي عن سفرنا إلى بغداد والكاظمية منذ سقوط النظام وحتى اليوم: الجمعة ١١/شوال/ ١٤٢٧ هـ =٣/ ١١ / ٢٠٠٦م. والله المستعان، وهو حسبنا ونعم النصير.



قصيدتان للمؤلف في الإمام(ع)

نظم المؤلف قصيدتين في مدح الإمام محمد الجواد(ع) كانت الأولى بتاريخ نيسان عام ١٩٧٦م، وكانت الثانية بتاريخ ٤/٥/ عام ١٩٩٩م إثر شفائه من عملية جراحية كبرى تعرّض بعدها لمضاعفات أشرفت به على الموت فنذر لله تعالى إن هو شافاه أن يُحيّي الإمام محمد بن علي الجواد بقصيدة فكان ذلك.

القصيدة الأولى، وعنوانها:

(الإمام محمد الجواد)

سَمَوتَ.. وأنتَ سرٌ في اعتقادي ... بمنزلة الشغافِ من الفؤادِ
ورمزٌ للأصالةِ والتسامي ... وفيضٌ للإحاطةِ والسدادِ
وكنزٌ من كنوزِ العلم أضفى ... على الآفاقِ بابَ الاجتهادِ
وركبٌ من فتوةِ هاشميٌ ... حثيثِ الخطوِ.. صلبِ الإنقيادِ
ركيناً.. لم تزلزله الرزايا ... وقد لاقى صنوفَ الإضطهادِ
وتعرُكهُ الصروفُ فيحتويها ... حديدَ الطرفِ.. ممتنعَ الرقادِ
يُديرُ الحقَّ في عزمٍ وحزمٍ ... ويمضي الأمرَ في أيِّ اعتدادِ
لقد نَفَسَتْ بكَ الدنيا فريداً ... فَحزتَ المجدَ فيها بانفرادِ
تَعُجُّ بكَ المآثرُ والمعالي ... وتفتخرُ الحواضرُ والبوادي
رأى التاريخُ فيكَ عميدَ دينٍ ... رفيعَ الشأنِ.. منتصبَ العمادِ
فقلَّدَكَ الخلودَ.. وكنتَ فَذّاً ... بعيدَ الغورِ.. رحبَ الإمتدادِ

❖❖❖

تجلّى نورُكَ الألِقُ اتقاداً ... فغطّى كلَّ نورٍ واتقادِ
فأنتَ لكلِّ مكرُمةٍ فتاها ... وأنتَ الصوتُ فيها والمنادي
سليلُ محمدٍ.. وفتى عليٍّ ... وصنوُ طريفِ مجدِكَ والتِلادِ
فما ((سقراط)) إلاّ مستمدٌ ... لحكمتِكَ المنوطةِ بالرشادِ
و ((رسطاليس)) قد قصُرت يداهُ ... و ((إفلاطون)) دونكَ في العِدادِ

وكــلُّ فــضيلةٍ رُسِــمتْ.. تنــادي بفـضلِكَ.. والـشمائل.. والأيـادي
أرادَ اللهُ رَفْعَـــــكَ سَـــــرمدياً فـــأنّى تـــستطيلُ يـــدُ العبـــادِ؟
وأنّـــى يـــستعيدُ الـــشعرُ معنـــىً؟؟ وأنـــتَ بكـــلّ معنـــىً مـــستعادِ
إذا العلمـــاءُ قـــد مُنِعـــوا حـــديثاً فقــد نَــشَرَتْ فــضائِلَكَ الأعــادي
وإنْ حُـبِسَ اللـسانُ القـولَ عيّـاً فمجـــدُكَ نـــاطقٌ في كـــلِّ نـــادِ
وإنْ عَـــصَفَعتْ بمغنـــاكَ الرزايـــا فـــذكرُكَ ســـائرٌ بـــين الـــبلادِ
تَـــؤُمُ ضَـــرِيحَكَ الأرِجَ المُنـــدّى وفـــودُ اللهِ مِـــن حَـــضَرٍ وبـــادِ
فَيَعمُـــرُ بالـــصلاةِ وبالتنـــاجي ويُزهِـــرُ بالـــدعاءِ وبالـــسهادِ
كـــأنَّ المـــسكَ ضَـــمَّخَ جانِبَـــيْهِ بأشـــذاءِ الـــروائحِ والغـــوادي
يُبـــاكرُه ُالنـــدى غَـــضّاً ذكيّـــاً ويـــسقي روضَـــهُ صـــوبُ العهـــادِ

❖❖❖

(أبــا الهــادي) ســلامُ اللهِ يَــسري علـــى تاريخـــكَ النَـــضِرِ المعـــادِ
وعمـــرٌ بالـــصلاحِ قـــضى شـــباباً ذخيرتُـــهُ المزيـــدُ مِـــنَ الجهـــادِ
كـــأنَّ الخمـــسةَ العـــشرينَ عامـــاً حيـــاةُ مُعَمِّـــرٍ صـــلبَ القيـــادِ
كـــشفتَ بهـــا عـــن الأمـــد المجلّـــي وطِلْـــتَ بهـــا الجيـــادَ مـــن الطَـــرادِ
ســـديدَ الـــرأيِ.. لم تَهْـــدَأ عـــصوفاً يُحيـــل رؤى الطغـــاةِ إلى رمـــادِ
ويَعتـــصرُ النـــضالَ يحـــفُّ عـــوداً ليُورِيـــهِ بـــأيِّ شَـــبا زنـــادِ
ويَـــدفعُ بالـــضميرِ.. وقـــد تهـــادى: إلى لُقيـــا مـــراحٍ مُـــستزادِ
إلى كَنَـــفِ الرجولـــةِ والمعـــالي وأروقَـــةِ المـــروءةِ والنَجـــادِ
فكـــان النُبـــلُ منـــدفعاً ســـيولاً وكـــان الفـــضلُ يزخـــرُ بازديـــادِ

وسـارَ العلـمُ في ركـبٍ وقـورٍ — صـليبَ العـودِ.. مخـضرَّ المـدادِ
فللتـاريخِ مـا أبقـى جِهـادٌ — وللأجيـالِ أصـداءُ الجـلادِ
لقـد ضَـمَّدتَ جُـرحَ الـدينِ فيـه — وهـل تُؤسَـى الجـروحُ بـلا ضَـمادِ
فأنـتَ (العـروةُ الـوثقى) بحـقٍ — وحـصنُ اللهِ في الكُـربِ الـشدادِ
و (بـابٌ للحـوائجِ) جئـتُ أسـعى — إليـهِ.. فطـابَ لِـيْ نَيـلُ الُمـرادِ
وسـرتُ علـى خطـاهُ بـلا انحـرافٍ — وصـرتُ علـى هـداهُ بـلا ارتـدادِ
علـى بـابِ الجـوادِ أنَخـتُ رَكْـبي — فكـانَ الفـتحُ في (بـابِ الجـوادِ)
ولا عجـبٌ.. فقـد قـالوا قَـديماً: — (وفـدتُ علـى الكـريمِ بغـيرِ زادِ)



أما القصيدة الثانية للمؤلف في الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، فعنوانها:

(فتى الرضا)

فتى الرضا..لاحُرِمنا مِنكَ مُكتَسباً وأنتَ في اللهِ ما أعطى وما وهبا
تَستلهمُ النعمةَ الكبرى.. فتمنحها قلباً جريحاً.. وفكراً واجماً وصبا
تُشيعُ فيه حياةَ الخيرِ فارهةً وتَستَردُّ عليه كلَّ ما سُلبا
تَهدي إلى الحقِّ في عليائِه غَدقاً وتحملُ الصدقَ..إمّا حالفوا الكَذبا
سَيّرتها حِكَماً في الكون غامرةً مَنْ شِئتَ مهتدياً أو شئت مُحتسبا
تلوذُ فيكَ الليالي مِن جرائرها وتستجيرُ بكَ الأيامُ مُنقلبا
أنتَ الإمامُ الذي تُرجى شفاعتُهُ يومَ القيامةِ.. أُمّاً برّةً وأبا
زوروا (الجوادَ) وأمّوا قُدسَ ساحتِهِ فكلُّ فخرٍ إلى أمجادِهِ انتسبا
تجاوزَ الدهرَ تاريخاً وفلسفةً وراحَ ينشدُ هذا العالمَ الرحِبا
كالفجرِ تستقطبُ الدنيا أشعتُهُ والبحرُ يُرسِلُ في أمواجِهِ السُحُبا

❖❖❖

فِكْرُ (الأئمةِ) نورٌ يستضاءُ بِهِ يَضُمُّ مُقترباً مِنّا ومُقتربا
مُحلِقاً في الذُرى.. لم يَلْفِ شائبةً ولا ثقّلتَ في الميزان واضطرَبا
وفَيضُهُ كشعاعِ الشمسِ في فَلَكٍ على سُرادق (أهلِ البيتِ) قد ضُرِبا
في الأرضِ مِنْهُ تَرانيمٌ وهيمنةٌ وفي السماء دويٌّ يَخرِقُ الحُجُبا

وفي (الجوادِ) تَراءى الغَيبُ ملحمةً ... تَستَمطِرُ الغيثَ أو تَستنزِلُ الشُهبا
فتىً مِنَ(الخَمسِ والعشرينَ)في لُجُبٍ ... طَوى بِخِبرَتِهِ الأجيالَ والحُقبا
قَدِّيسُ مُجتَمَعٍ.. عملاقُ فلسفةٍ ... رُبّانُ عائمةٍ تجري بها خَبَبا
الحِلْمُ والعلمُ والأعدادُ طائفةٌ ... مِنَ الخصائصِ.. لا عَيّاً ولا نَصَبا
وقُبّةُ الوحيِّ في أسمى مَدارجها ... تَغذُو العُقولَ وتُزجي المرتعَ الخَصِبا
القائدُ الفَذُّ.. لم تَفتُرْ عزائِمُهُ ... والرائدُ الأمر.. رأساً يسحقُ الذَنَبا
شَبيهُ (يحيى) و(عيسى) في إمامتِهِ ... مَنْ يَقْرَؤ الذكرَ يُبصرْ آيةً عَجبا
ردَّ الألوفَ على الأعقابِ، يَحشِدُها ... (المأمون).. لا مَنطقاً تبدي ولا ذَرَبا
ما كان غيرُ (أبي الهادي) بِحُجَتِهِ ... لِيَستَطيلَ عليها مِنعةً وإبا
تلكَ الأراجيفُ قد نأءتْ فما وجَدَتْ ... غَيرَ (الجوادِ) إماماً يَكشِفُ الرِّيبا
تُرخِي الإمامةُ أثقالا.. فيحمِلُها ... رسالةً.. ويَعِيها مُشفِقاً حَدِبا
يا مَنْ رأى الشاطئَ الميمونَ طائرُهُ ... يَهدي السلامةَ مَنْ أسرى ومَنْ رَكِبا

❖❖❖

ويانزيلا على بغدادَ مُحتضناً ... في (الكاظميةِ) جدّا خاشعاً رَهبا
(موسى بنُ جعفر)مَنْ جَلَّتْ مواقفُهُ ... ومَنْ تَحدّى مِنَ الطُغيانِ مؤتشبا
حِلفَ السجونِ..بحيثُ الدهرُ ذو غِيَرٍ ... والملكُ يهتزُ في أعطافه طَرَبا
حَسبُ الطواغيتُ أياماً مزلزلةً ... أما (الأئمةُ).. فالناجونَ مُنقلبا
ها.. بَعدُ لم تَنقضِ الدُنيا.. ومجدُهُمُ ... يَعلُو النياشينَ والألقابَ والرُتَبا
أمّا (عليٌّ) فقد أبقتْ فضائِلُهُ ... في الخافقينِ سِجِلا حافلا رَحِبا

وقد سما (الحسنُ الزاكي) بِحكمَتِهِ ظِلا.وحازَ (الحسينُ) السبقَ والقَصبا

حَسبُ (الصحيفة) زين العابدين هدىً و (باقرُ العلم) أبقى مَنهلا عَذِبا

و(صادقُ القولِ). عملاقٌ بأوديةٍ مِنَ العلومِ تُريكَ الدرَّ مُخشَلبا

و (كاظمُ الغيظِ) في برٍّ وفي دِعَةٍ يَهدي الرضا حكمهُ والحِلمَ والغضبا

حتى إذا زخرَ الوادي بمائجةٍ من (الجوادِ) رأيتَ الخِصبَ والعشبا

غَذّى المعارفَ أجيالاً بما وهبا وقد أفاضَ عليها النورَ مُنسكبا

رسالةٌ بِفمِ التوحيدِ هادفةٌ تُوَحّدُ الفكرَ والإسلامَ والعَرَبا

❖❖❖

يا سيدي إنَّ بعضَ الشعرِ منطلقٌ مِنَ الضميرِ نداءً صارخاً لَجِبا

شَرِبتُ حُبَّكُمُ طِفلاً.. وخامَرني فَتىً.. وذا الشيبُ في رأسي قد التهبا

أرجو المماتَ عليهِ في وَلايتِكم مَنْ يَأمنُ البدءَ فيكم.. يأمنُ العُقبا

ما كنتُ اسألُ إذ أبدي وَلايَتَكُم أجراً.. سوى آيةِ القُربى لِمَنْ نُسِبا

فأنتمُ الآيةُ العُظمى التي نطقَتْ بالمعجزاتِ.. وكلُّ الكائناتِ هَبا

وأنتمُ الحجةُ الكبرى.. وعندَكُمُ علمُ الكتابِ.. وما قد خُطَّ أو كُتِبا

الواقفونَ على (الأعرافِ) تَكرُمَةً والحاملونَ لواءَ الحمدِ مُنتَصِبا

غداً شفاعتُكُم تُرجى.. ورحمَتُكم تَجري.. لَتُنقِذَ هذا المذنبَ الثَرِبا

فكم له وقفةٌ في الدهرِ فَجّرَها مُجاهداً في سبيلِ اللهِ مُحتَسِبا

واليومَ يأمُلُ أنْ يُشفى على يَدِكُم ومَنْ أتى البحرَ حازَ اللؤلؤَ الرَطِبا

تنازعتهُ مِنَ الأمراضِ جمهرةٌ فعاشَ ما عاشَ مَنهوكاً ومُحتربا

بـابُ (الـسلاطين) لم يعـرفْ أزقَّتَهـا و (بـابُ حِطّـةَ) يَـسعى مِنـه مُقتربـا
يـأبى لـه الفكـرُ خَطّـاً طائِـشاً نَزِقـاً ورُبَّ ثـورةِ فكـرٍ أعقَبَـتْ لَعِبـا
صبراً على الحـقِّ.. لا يبغـي بـهِ بَـدَلا فمـا تنكَّـبَ يومـاً نَهجَـهُ الـصعبا

٢٥/١٢/١٩٩٩ - ٢٧/ شعبان / ١٤٢٠ هـ



خاتمة المطاف ونتائج البحث

بعد هذه المسيرة الممتعة الحافلة بسيرة الإمام التاسع من أئمة أهل البيت الإثني عشر(عليهم السلام)، الإمام محمد الجواد(عليه السلام) الذي كان بحقّ (معجزة السماء في الأرض) في الخصائص والمميزات والإدارك الرسالي منذ صباه حتى شبابه المخترم بالاغتيال، حتى عاد وحيد عصره في المآثر والمفاخر وعلوم العترة الطاهرة، بما تحدّثت عنه فصول هذه الرسالة بتكثيف مركّز، وإيجازٍ معمّق، ربما أمكننا إلقاء بعض الضوء على أهم ما توصلنا إليه من حقائق صادعة تجمل بشكل نقاط رئيسة، إكمالا لمتطلبات البحث العلمي الموضوعي.

١- توصلنا في الفصل الأول إلى صيغة ذات عمق تاريخي شملت ترجمة الإمام ونشأته المثالية وخصائصه الإنسانية، ورعايته لأتباعه وأوليائه، وإبراز تلك النغمات العرفانية في سلوكه(عليه السلام)، ومن ثمّ عرضنا لطائفة من آراء علماء الأمة وفقهائها وكتّابها في شخصية الإمام من جهات متعددة، بما نعدّه بحثاً تاريخياً وذاتياً في إطار مزدوج.

٢- بحثنا في الفصل الثاني حياة الإمام وموقفه الصلب في عصر السلاطين الذي عاش به، وكان ذلك البحث خارجاً عن حدود المنهج التقليدي في العرض والأسلوب والنتائج، إذ خضع لفلسفة (النقد التاريخي) واستيحاء (البعد الاستقرائي) لظواهر عصر السلاطين في مفارقاتها وإفرازاتها، ومدى قلق الحاكمين من تصاعد شعبية الإمام،

وموقفه الصارم في حياة المأمون من الأحداث والتحدّيات، وتألق نجمه المعرفي في شتى الحقول بما ثار الإعجاب من جهة، والحقد من جهة أخرى، ورصد سياسة المأمون الدبلوماسية تجاه الإمام، وعرض سيل المخالفات الصريحة للشريعة الغرّاء متمثلة باندفاع النظام العباسي في عصر المأمون خليفة وولاة وعمالا وراء الشهوات والإسراف والعبث والمجون، بما ثبت فيه عدم صلاحية القائمين في النظام على الحكم باسم الإسلام.

وأبان البحث مدى تخطيط المعتصم بن هارون الرشيد على تصفية الإمام حسداً حينما ظهر الزخم القيادي للإمام مشرئباً في التفاف القاعدة الجماهيرية حول سيادته المطلقة في التشريع وأداء الأحكام، وتفرّده الخالص بالحبّ والمودّة من قبل الشعب المسلم، بما فضحت به ألعوبة الحكم وأكذوبة الدعوى بأولويته بالخلافة مع وجود الإمام، مما جعل المعتصم حاقداً غاشماً يعجّل باغتيال الإمام من وجه، ومما جعل أتباع الإمام وأولياءه يعتقدون بأنه الإمام القائم بالأمر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً من وجه آخر، ذلك ما حدا بالإمام أن يبيّن حقيقة الموضوع بكلّ وضوح، فكلّ إمام قائم بأمر الله تعالى، ولكنه ليس الإمام الذي يقوم بالسيف لتأسيس الدولة الإسلامية العالمية، فذلك هو الثالث من ولده، وهو الحجة ابن الحسن العسكري عجل الله فرجه.

٣- وعرضنا في الفصل الثالث من البحث أخطر قضية في تاريخ الإمامة، واعتبرناها ظاهرة إعجازية خرقت نواميس الكون ومقاييس

العادة، وهي مسألة (الإمامة في سن مبكرة) وأوضحنا من خلالها أن الله تعالى قد احتج للإمامة في مرحلة الصبا بالنبوة في مرحلة الصبا حذو القذة بالقذة، فكما أرسل عيسى(عليه السلام) نبياً في اليوم الأول من ولادته، ويحيى نبياً صبياً، فكذلك كان الإمام الجواد(عليه السلام) إماماً مفترض الطاعة في السابعة من عمره الشريف، مؤيداً بالعناية الإلهية، ومسدداً باللمح الغيبي الذي اخترق حجب الثابت من الأنظمة الكونية إلى المتحول من الإرادة الإعجازية، فسار شيوخ الشيعة وأعلام الإمامية وجمهرة الشعب المسلم وراء القول بإمامة محمد الجواد(عليه السلام) بكلّ وقوف واطمئنان، في حين عمد النظام إلى استغلال هذه الظاهرة للطعن بالقائلين بإمامة أهل البيت أجمعين، ولكنّهم صدموا بأنها ورقة خاسرة، وفوجئوا بالإمكانات الهائلة لتي يتمتع بها الإمام بعد تعّرضه للاختبار العلمي من قبل أعدائه وأوليائه بالشكل الذي أثبت فيه بما لا يتقبل الشك صدق أمانته وخارق مؤهلاته واستيعابه لعلوم الدين والدنيا وهو في عمر الصبا، فانقلب الأمر وبالاً على السلطة أولاً، وتثبيتاً لقلوب المؤمنين ثانياً، وكلا الأمرين قد أوجد حالة قصوى في اضطراب النظام العباسي من الإمام المعجزة، وكان استقراء الغيب المجهول لدى الإمام، والتحدّث بما سيكون فكان من أبرز دلائل إمامته المبكّرة.

٤- وخصّصنا الفصل الرابع من هذا الكتاب لاستقطاب المعالم التراثية للشريعة الإسلامية والمعارف الإنسانية التي نهد بها الإمام وعمل على نشرها في الآفاق من خلال التحدث عن علم أهل البيت ودوره الفاعل في تراث الإمام العلمي، واخترنا مروياته عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)

ومروياته عن جدّه أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) أنموذجاً أرقي لذلك التراث الذي طبّق الخافقين ذكره، وانتشر في العالم عطره، وأكّدنا على الدور الريادي لتلامذة الإمام من الرواة والمؤلفين خاصّة في نشرهم لتراث الإمام الخالد، وأعطينا لذلك فهرسة ببلغرافية إحصائية دقيقة، شملت عشرات العلوم الأساسية وعشرات العلوم التكميلية وعشرات العلوم الإضافية التي كتب بها المؤلفون، أو رواها المحدّثون، أو أثبتها المصنّفون، بما يؤكد نظرية علم الإمام الخارق للعادة والسنن الكونية الطبيعية، فكان ذلك من حسنات الدهر الكبرى في عطائه العلمي الثرّ، ومن مفاخر الدنيا في أصالته وموضوعيته.

ومن ثمّ أثبتنا على طريقة (الألفباء) معجماً تراثياً حافلاً بالألفاظ الجارية مجرى الأمثال لدى الإمام، استوعبت معالم الآداب النفسية للإنسان، وأكّدت على التحلّي بالشمائل والفضائل وكرم النفس والأخلاق والصبر والمواساة والتوكل على الله، والإيثار والبر والإحسان، مما ينبغي أن يتّصف به الشعب المسلم، ولم نشرح ذلك ولم نعلّق عليه بسبب بديهي، هو أن هذه الحكم الناطقة من (السهل الممتنع) فهي واضحة في التعبير، سليمة في الأداء، مفهومة لدى المتلقي، فقد روعي فيها من قبل الإمام - فيما يبدو لي - أن تكون بالشكل الذي يعرفه كل واحد، ويُفيد منه كلّ أحد، وذلك إحدى دلائل تمرّس الإمام في أساليب البيان العربي.

٥- وبحثنا في الفصل الخامس ذلك الأثر الضخم في فقاهة الإمام على سبيل النموذج لا الإحصاء فتناولنا قضية (الخمس) لأهميتها

الخاصّة، باعتبارها فريضة معطّلة، وقد نصّ عليها القرآن العظيم، وأجرتها السنة النبوية، ومُنعت في العهد الراشدي إلا في غنائم الحرب، وكان هنالك عرض موجز لتاريخ هذه المشكلة وهي تخبو حيناً وتتوقد حيناً آخر، حتى إذا تسلم الإمام محمد الجواد القيادة الشرعية للأمة، أحيا هذه الفريضة بشرائطها وأكّد عليها في خطاباته ومراسلاته، وشدّد النكير على منعها واختطافها، وألزم أولياءه بدفعها، وكان بهذا وذاك ممن ثبّت مشروعية الخمس بعد ابتلاعه، وعبّر عن أثره في بناء هيكلية مبدأ الإمامة والمرجعية الدينية، فهو حقّ الله ورسوله وأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) يُصرف في مواقعه المنصوص عليها في فروع الأحكام.

وفي ضوء حملات الاختبار للإمام كان ليحيى بن أكثم قاضي القضاة في عصر المأمون خط استراتيجي في مسائلة الإمام عن أبرز ما يدور في ذهنه من مسائل يطرحها بسيطة غير معقدة، فينقضّ الإمام كالصقر مفرّعاً ومفصّلاً ومشقّاً ومجزئاً ومبرمجاً لتعود المسألة الواحدة ذات أبعاد مكثّفة ترعب ابن أكثم وتسقط في يده، فيعود متلمساً الجواب حريصاً على الاستماع طالباً للمزيد من الإيضاح، وقد اختلس اختلاساً حتى بان عجزه وظهرت فهاهته في أكثر من مورد ومورد.

وكان لفقهاء عصر الإمام(عليه السلام) من وعّاظ السلاطين في بلاط المعتصم العباسي شأن في انتزاع الرأي الصريح للإمام في مسائل أكبرها قطع يد السارق، في حدود من الكف، وشروطه في الإنطاق، وتفصيلاته الأخرى، وحينما يتحدثون بما يمليه الهوى والاستحسان يكون الإمام متحدثاً بالدليل من القرآن والسنة النبوية، فيأخذ المعتصم بما قرّر الإمام

ويفتي به، فيمتلئ قلب ابن أبي دؤاد بالحقد والغيظ والحسد، فيخطط للانتقام من الإمام بما يشهد به على نفسه بأنه يدخل النار جرّاء وشايته بالإمام وشحن صدر المعتصم عليه.

وكان لعلل الأحكام وبواعثها ملحظ موجز لدى الإمام أشرنا إليه، إذ غُطّي على تراثه فما وصل إلينا منه إلا القليل، وكان هذا القليل مصدراً أساسياً لهذا الكتاب.

٦- ووجدنا الإمام محمد الجواد مُنظراً احتجاجياً في بيئة علم الكلام وتنامي حركتها واتساعها في عصر الإمام، فأعطى الفصل السادس ملخصاً معمّقا لمناخ الحياة العقلية والأفكار الكلامية في ذلك الأفق الذي رانت عليه سحب الانشقاق الداخلي في صفوف المسلمين، والكشف عن موقع الإمام وأثره في توحيد الكلمة وجمع شمل الأمة.

وتناول الفصل فضلاً عما تقدم قضايا التوحيد الإلهي التي نهد الإمام بالتنظير المنطقي لأعقد مسائلها مستدلاً على ذلك بالقرآن الكريم في آياته المخصصة لتلك الأطاريح التي شغلت بال المتكلين والاحتجاجيين، فكان له قصب السبق في تنزيه الباري عن التجسيم والتثنية والرؤية، وتعليل الألفاظ في الذات والصفات والأسماء، وأمثال ذلك مما جاء نتيجة امتزاج المسلمين بالشعوب، ونشاط حركة الترجمة في الفلسفة وثقافة الإغريق.

ومن ثم وجدنا الإمام مُنظّراً قديراً فيما ابتُليت به السنَّةُ النبوية من الدس والوضع والافتراء والإسرائيليات وما أصّلته مظاهر التعصب الأعمى والفتن المذهبية... فكان الإمام يردّ الحديث المنسوب للنبي(ﷺ)

وهو مفترىً عليه بما يستدل فيه عقلاً ونقلاً ورواية ودراية، وكان لحسن التأني وآداب المجاملة ولطيف التخلص دور فاعل في إسكات الخصم، وردّ الحق إلى نصابه، بعيداً عن الإثارة والاستفزاز.

٧- ونهد الفصل السابع بأجواء استشهاد الإمام(عليه السلام)، وكان مفصلاً ناهضاً بتوقع الإمام الشهادة من خلال إخباره بها من جهة، ومن خلال التوجّه الطاغوتي للنظام باختطاف حياته الغضّة في ريعان الشباب لما أحرج به ذلك النظام في كفاية القيادة وأبعاد شعبيته الجماهيرية وامتلاكه القاعدة الضخمة في ضمير الشعب المسلم، فاستدعي إلى بغداد في عصر المعتصم وغادر مدينة جدّه(صلى الله عليه وآله) وأدى مناسك الحج وتوجّه إلى مقر العاصمة للدولة العباسية. وتحدّث الفصل عن كيفية اغتيال الإمام مسموماً بما ذكر من الروايات في ذلك، واختار البحث منها الوجه الرابع بحسب القرائن التاريخية المؤيدة بشواهد الأحوال.

وعرضنا إلى دوافع اغتيال الإمام بإلقاء الضوء على هزيمة الحكم العباسي على يد الإمام، حينما أراد النظام أن يجعل من إمامته المبكرة أضحوكة، وإذا بالصبي الإمام يصبح أعجوبة في عمله الفيّاض، فتخشع له الأبصار وتمتد الأعناق مما شجع إلى تسريع عملية التخلّص منه وتصفيته جسدياً، فقد تمسّك الشعب المسلم بالإمام في إنارة معالم الطريق المستقيم، وذلك ما يتقاطع عادة مع الخط العباسي في ادعائه الخلافة وقيادة الأمور، واعتبروا توهّج سمعة الإمام تمثل الخطر الأقصى على مراكز الدولة وسلطة الحاكم باسم الإسلام، فعجّلوا بالقضاء عليه في أول شبابه، وذكر الفصل بإيجاز تشييع جثمان الإمام ودفنه إلى جنب

جدّه الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) في مقابر قريش وهي الكاظمية اليوم. وتحدّث الفصل بتكثيف معمّق عن مشهد الإمام الجواد(عليه السلام) في الكاظمية المقدسة في ضوء الكشف الميداني والمشاهد الشخصية مفيداً مما كتبه الإمام المجاهد الشيخ راضي آل ياسين في (تاريخ الكاظمية). ومما حبّرته يد الفقيد السعيد العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله[1] في كتابه (تاريخ المشهد الكاظمي).

وقد جاء هذا الجزء من الفصل غنيّاً بالوصف الدقيق والدراسة الميدانية التي تعطي الصورة الصادقة عن واقع المشهد المقدّس في أبعادٍ قياسية وهندسية ورياضية وذلك فضل من الله تعالى على عبده الذليل العاصي:

محمد حسين علي الصغير

النجف الأشرف



(١) توفي الأستاذ محمد حسن آل ياسين عضو المجمع العلمي العراقي وكبير علماء الكاظمية المقدسة قبيل الغروب من يوم السبت ٢٦/جمادى الثانية /١٤٢٧ هـ. ٢٢/تموز / ٢٠٠٦م وشيّع تشييعاً ضخماً في الكاظمية، ودفن في حجرة لمشايخ آل ياسين قرب (باب المراد) من الصحن الكاظمي الشريف. وكانت ولادته عام ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١م في النجف الأشرف في أوائل مرجعية أبيه الآية الكبرى الإمام الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفى ٢٨/رجب/١٣٧٠ هـ.

فهرست الآيات القرآنية
بحسب ورودها في الكتاب

سورة البقرة

الصفحة	رقمها	الآية
٩٩	١٢٤	وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.
٨٨	١٤٨	أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
٤١	١٨٦	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ.
٢٢٥	٢٢٦	لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.
٢٢٥	٢٣٤	يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا..
٢٧	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً..

سورة آل عمران

٤٧	٤٢	وَإِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
٤٧	٤٥	إِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ.
٩٦	٥٩	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

سورة النساء

٩٨	٥٩	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً.

الآية	رقمها	الصفحة

سورة المائدة

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ...، وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ.	٦	٢١٦
إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ❖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ.	٥٥-٥٦	٩٧

سورة الأنعام

لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ.	١٠٣	٢٣٨

سورة الأنفال

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.	٣٣	٢٤٢
وَأعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.	٤١	١٩٣-١٩٨

سورة يوسف

حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ...	٢٢	١٣٥
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي.	١٠٨	٢٢٢

سورة إبراهيم

أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ	٢٤	٢١

سورة الكهف

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا.	٦٥	١٤٧

سورة مريم

وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.	١٢	٥- ١٠٠- ١٣٤- ١٧١
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا.	١٧	٤٦
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.	٣٠	٥

الآية	رقمها	الصفحة

سورة طه

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ❖ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ.	٣٨-٣٩	٤٧

سورة الحج

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ.	٧٥	٢٤٢

سورة النور

وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.	٣٢	٧٤
قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ	٧٧	٤١

سورة لقمان

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.	٣٤	١١٧

سورة السجدة

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ.	٢٤	١١٩

سورة الأحزاب

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.	٧	٢٤١
...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.	٣٣	٩٩

سورة يس

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ	٣٦	٩٥



ثبت الكتاب

خير ما نبتدئ به: القرآن العظيم.

١. الأبشيهي ، محمد بن أحمد بن الفتح المحلي . (وفاته ٨٥٢ هـ)

المستطرف في كل فن مستظرف.

٢. ابن أبي الحديد: أبو حامد، عز الدين: عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ):

شرح نهج البلاغة

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٥٩م.

٣. ابن أعثم: أبو محمد، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ):

كتاب الفتوح.

طبعة الهند ١٣٨٨هـ.

٤. ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم: محمد بن محمد الجزري(ت٦٣٠هـ).

أسد الغابة في معرفة الصحابة.

طبعة القاهرة/١٣٨٠هـ.

٥. ابن الأثير (نفسه).

الكامل في التاريخ.

دار الكتاب العربي/بيروت، د.ت.

٦. ابن العماد الحنبلي. «ت ١٠٨٩هـ»
شذرات الذهب.
القاهرة، ١٣٥٠ هـ.
٧. ابن تغري بردي جمال الدين، أبو المحاسن الظاهري (ت٨٧٤هـ).
النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة.
طبعة وزارة الثقافة والإرشاد – القاهرة
٨. أحمد ابن تيمية. (ت ٧٢٨)
منهاج السنة.
مطبعة القاهرة، ١٣٢١هـ.
٩. ابن حجر الهيثمي، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن علي المكي (ت٩٧٣هـ).
الصواعق المحرقة – القاهرة ١٣١٢هـ.
١٠. ابن حجر (نفسه).
تهذيب التهذيب.
دار صادر – بيروت/ د.ت.
١١. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).
الإصابة في تمييز الصحابة
دار إحياء التراث العربي – بيروت/د.ت.
١٢. ابن حمدون البغدادي، عالي بهاء الدين، محمد بن الحسن البغدادي (ت٥٦٢).
تذكرة ابن حمدون.
مطبعة النهضة، القاهرة ١٣٤٥هـ

١٣. ابن خلدون.(ت ٨٠٨هـ)
المقدمة.
١٤. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ).
وفيات الأعيان وأنباء الزمان.
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٤٩م.
١٥. ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ).
الطبقات الكبرى.
دار صادر –بيروت ١٣٨٨هـ.
١٦. ابن شعبة أبو محمد الحسن بن علي الحراني الحلبي (من أعلام القرن الرابع).
تحف العقول عن آل الرسول.
تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم. المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ١٣٧٥هـ.
١٧. ابن شهر آشوب، أبو جعفر، رشيد الدين، محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ).
المناقب: مناقب آل أبي طالب.
المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٧٥هـ.
١٨. ابن طاووس، رضي الدين، أبو القاسم، علي بن موسى بن جعفر الحسني (ت ٦٦٤هـ).
مهج الدعوات.
طبعة طهران، ١٣٢٣هـ. ش.

١٩. ابن طلحة، كمال الدين، محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ).
مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.
المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٧١هـ.
٢٠. ابن طولون الدمشقي(ت ١١٠٤هـ).
الأئمة الاثنا عشر.
٢١. ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ).
الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
مطبوع بهامش الإصابة، دار المعارف – القاهرة ١٣٥٨هـ.
٢٢. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٧هـ).
العقد الفريد.
تحقيق أحمد الزين وجماعته، مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٦٧م.
٢٣. ابن عساكر، أبو قاسم، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧٣هـ).
تاريخ دمشق.
تحقيق: محمد باقر المحمودي، دار التعارف – بيروت ١٩٧٠م
٢٤. ابن عساكر (نفسه).
تهذيب ابن عساكر.
دار السيرة – بيروت ١٣٩٩ هـ.
٢٥. ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).
الإمامة والسياسة.
الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٢٥ هـ.

٢٦. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).
البداية والنهاية.
طبعة مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٦م.
٢٧. ابن ماجة،محمد بن يزيد الربعي القزويني (ت ٢٧٣هـ).
سنن ابن ماجة.
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر– بيروت.
٢٨. أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ).
سنن ابي داوود
القاهرة ١٣٧١هـ.
٢٩. أبو عبيد، القاسم بن سلام، الهروي ،الأزدي الخزاعي ، بالولاء ، (ت٢٢٤هـ).
الأموال.
مؤسسة ناصر، بيروت، ١٩٨١م.
٣٠. أبو نعيم، الحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ).
حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء.
دار الفكر العربي – بيروت ١٤٠٥ هـ.
٣١. أبو يوسف.
كتاب الخراج.
٣٢. أحمد أمين (أستاذ في الجامعة المصرية).
فجر الإسلام.
مطبعة دار الترجمة والتأليف والنشر – القاهرة ١٩٥٥م
٣٣. أحمد أمين.
ظهر الإسلام.
طبعة القاهرة، ١٩٥٤م، مطبعة النجف، ١٣٨٩.

٣٤. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
مسند أحمد.
دار صادر – بيروت د.ت.
٣٥. الأربلي علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ).
كشف الغمة في معرفة الأئمة.
مطبعة النجف – النجف الأشرف ١٣٥٨هـ
٣٦. الأصبهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ).
الأغاني.
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية– القاهرة ١٩٦٨م.
٣٧. الأصبهاني (نفسه).
مقاتل الطالبيين.
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٩٥٦م.
٣٨. آغا بزرك الطهراني أبرز علماء الببلغرافيا والتصنيف في القرن العشرين.
الذريعة إلى تصانيف الشيعة.
طبعة النجف الأشرف – طبعة طهران، دار الأضواء–بيروت ١٤٠٦هـ.
٣٩. الأميني، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت١٣٩٠هـ).
الغدير في الكتاب والسنة والأدب.
دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٧هـ– ١٩٧٧هـ.

٤٠. باقر شريف القرشي (أستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف).
حياة الإمام الباقر.
مطبعة النعمان – النجف الأشرف ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٤١. باقر شريف القرشي (نفسه).
حياة الإمام الصادق.
دار الأضواء – بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٤٢. باقر شريف القرشي.
حياة الإمام محمد الجواد، دراسة وتحليل.
مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م.
٤٣. البحراني، هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ).
البرهان في تفسير القران.
المطبعة العلمية – النجف الأشرف ١٣١٤هـ
٤٤. البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).
صحيح البخاري.
المطبعة الأميرية الكبرى – بولاق، القاهرة ١٣١٤هـ
٤٥. البرقي أبو عبد الله، محمد بن خالد (ت٢٧٤-٢٨٠هـ).
كتاب المحاسن.
دار الكتب الإسلامية – طهران د.ت.
٤٦. بروكلمان، المستشرق الألماني الأستاذ كارل بروكلمان (١٨٦٨م – ١٩٥٦م).
تاريخ الشعوب الإسلامية.
ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت ١٩٦٠م.

٤٧. البشاري المقدسي.(ت ٣٨٠هـ)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

٤٨. البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ).

أنساب الأشراف.

دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٥٩م.

٤٩. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ).

سنن الترمذي.

نشر المكتبة الإسلامية – القاهرة د.ت.

٥٠. الجهشياري، محمد بن عبدوس.(ت ٣٣١هـ)

الوزراء والكتاب.

مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٧هـ.

٥١. حاجي خليفة (ت ١٠٦٧).

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

دار إحياء الكتاب العربي، بيروت.

٥٢. الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ).

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.

دار إحياء التراث – بيروت/ د.ت.

٥٣. حسن إبراهيم حسن.

تاريخ الإسلام السياسي.

٥٤. حسن الصدر (من علماء الكاظمية المقدسة).(ت ١٣٥٤ هـ)

تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام.

مؤسسة الأعلمي – بيروت/د.ت

٥٥. جاك. ريسلر
الحضارة العربية.
٥٦. حيدر الحسني.(ت ١٢٦٥ هـ)
عمدة الزائر.
بيروت، ١٣٩٩هـ.
٥٧. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ).
تاريخ بغداد.
دار الكتاب العربي، بيروت/د.ت.
٥٨. الخوئي: أبو القاسم الموسوي الخوئي (المرجع الديني الأعلى الراحل)(ت١٤١٣هـ).
معجم رجال الحديث.
إخراج: مرتضى الحكمي. مطبعة الآداب– النجف الأشرف ١٣٩٠هـ.
٥٩. خير الدين الزركلي.
الأعلام.
الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٨٩هـ.
٦٠. الدميري محمد بن موسى بن عيسى، كمال الدين، ت(٨٠٨).
حياة الحيوان الكبرى.
٦١. دونلدسن، مستشرق أوربي.
عقيدة الشيعة.
الترجمة العربية – القاهرة ١٣٦٥هـ

٦٢. الذهبي شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ).
تذكرة الحفاظ.
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٣هـ.
٦٣. الذهبي (نفسه).
ميزان الاعتدال.
دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٦٤. الذهبي (نفسه).
سير أعلام النبلاء.
مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٦هـ.
٦٥. راضي آل ياسين (ت ١٣٧١هـ) من كبار علماء الكاظمية المقدسة.
تاريخ الكاظمية .
إعداد سبطه الطيب : محمد حسين آل ياسين، فصله عن مجلة الهدى العمارية.
٦٦. الراوندي قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ).
الخرائج والجرائح .
مطبعة مصطفى، طهران.
٦٧. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي البغدادي الحنفي (ت٦٥٤هـ).
تذكرة الخواص.
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف – ١٣٨٣هـ.
٦٨. السيوطي، أبو بكر، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).
تاريخ الخلفاء،
مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٥٠م.

٦٩. الشبلنجي، مؤمن بن حسن الشافعي المدني (ت أوائل القرن الرابع عشر).
نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار.
مطبعة العاطف، القاهرة ١٣٨٤هـ.
٧٠. الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ).
الملل والنحل.
مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٤١٠هـ.
٧١. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ).
التوحيد.
المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨٣هـ.
٧٢. الصدوق (نفسه).
من لا يحضره الفقيه.
تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف - النجف الأشرف ١٣٧٧هـ.
٧٣. الصدوق(نفسه).
الخصال.
دار التعارف-بيروت-١٣٨٩هـ.
٧٤. الصدوق(نفسه).
معاني الأخبار.
نشر جماعة المدرسين-قم-١٣٦١هـ.ش.
٧٥. الصدوق (نفسه).
معاني الأخبار.
نشر جماعة المدرسين - قم ١٣٦١هـ. ش.

٧٦. الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠هـ).
بصائر الدرجات الكبرى.
منشورات الأعلمي – طهران، د.ت.
٧٧. صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤).
الوافي بالوفيات.
بيروت، ١٣٨١هـ.
٧٨. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٨٨هـ).
الاحتجاج.
دار النعمان – النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.
٧٩. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ).
مجمع البيان في تفسير القرآن.
مطبعة العرفان، صيدا ١٣٣٣ هـ.
٨٠. الطبرسي (نفسه).
إعلام الورى بأعلام الهدى.
المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٩٠هـ.
٨١. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).
تاريخ الأمم والملوك.
المطبعة الحسينية – القاهرة، ١٣٢٦ هـ، طبعة دار المعارف بمصر.
٨٢. الطوسي، شيخ الطائفة، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).
تهذيب الأحكام.
تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية – النجف الأشرف، ١٣٧٧هـ.

٨٣. الطوسي (نفسه).
كتاب الغيبة.
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
٨٤. الطوسي .
الغيبة .
تقديم الشيخ آغا بزرك، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
٨٥. الطوسي (نفسه).
رجال الطوسي.
المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٨١ هـ.
٨٦. طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت. ٢٨٠ هـ).
تاريخ بغداد.
٨٧. العاملي، الحر العاملي، محمد بن الحسن. (ت ١١٠٤هـ)
اثبات الهداة.
٨٨. عباس محمد رضا القمي النجفي، (ت ١٣٥٩هـ).
الكنى والألقاب.
المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ.
٨٩. علي الحسيني السيستاني.
منهاج الصالحين.
دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
٩٠. العياشي، أبو النضر، محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت ٣٢٠ هـ).
تفسير العياشي.
تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية – قم ١٣٧١ هـ.

٩١. غوستاف لوبون.
حضارة العرب.
٩٢. فان فلتون، مستشرق ألماني.
السيادة العربية .
القاهرة ١٩٣٣ م.
٩٣. فلها وزن (مستشرق أوربي).
الدولة العربية وسقوطها.
دار صادر، بيروت، د. ت.
٩٤. القلقشندى، شهاب الدين، أحمد بن علي بن أحمد المصري (ت ٨٢١ هـ).
مآثر الأناقة في معالم الخلافة.
طبع الكويت، الأولى ١٩٦٤م، والثانية ١٩٨٥م.
٩٥. القمي، أبو الحسن، علي بن إبراهيم الأشعري الكوفي (من علماء القرن الرابع).
تفسير القمي.
تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف – النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.
٩٦. القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي، (ت ١٢٩٤ هـ).
ينابيع المودة.
مطبعة اختر – استانبول ١٣٠١ هـ.
٩٧. القهبائي، عناية الله بن شرف الدين علي، (من علماء القرن العاشر).
معجم الرجال.
طبعة طهران، ١٣٨٤هـ.

٩٨. الكشي، أبو عمرو، محمد بن عبد العزيز (من علماء القرن الرابع).
رجال الكشي.
تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب – النجف الأشرف، ١٩٧٠م
٩٩. الكليني، أبو جعفر، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي البغدادي (ت ٣٢٩هـ).
أصول الكافي.
دار الكتب الإسلامية– طهران، ١٣٨٣هـ.
١٠٠. الكليني (نفسه).
فروع الكافي.
تحقيق: علي اكبر الغفاري ونجم الدين الآملي، المطبعة الإسلامية طهران، ١٣٨٨هـ.
١٠١. المتقي الهندي، علاء الدين، علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ).
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.
مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ.
١٠٢ المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ).
بحار الأنوار.
تحقيق: السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية – طهران، ١٣٨٦هـ.
١٠٣ المجمع العالمي لأهل البيت.
الإمام محمد بن علي الجواد.
طبعة قم، ٢٠٠٤.

١٠٤ محسن الطباطبائي الحكيم، (المرجع الديني الأعلى الراحل)، (ت ١٣٩٠هـ).
مستمسك العروة الوثقى.
ط٣، مطبعة النجف – النجف الأشرف ١٣٨٤ هـ.
١٠٥ محسن أمين الحسيني العاملي الشقرائي (ت ١٩٥٢م).
أعيان الشيعة.
القسم الثاني، مطبعة الإنصاف – بيروت ١٣٦٨هـ.
١٠٦ محمد باقر الصدر.
بحث حول المهدي.
تحقيق عبد الجبار محمد شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ١٩٩٦م.
١٠٧ محمد حسن آل ياسين (من علماء الكاظمية المقدسة).
الإمام جعفر الصادق.
المطبعة العربية – بيروت، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.
١٠٨ محمد حسن آل ياسين.
الإمام محمد بن علي الجواد.
المطبعة ا لعربية ، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٠٩ محمد حسن الجواهري النجفي.
جواهر الكلام.
طبعة طهران، ١٣٩٢ هـ.
١١٠. محمد حسين آل ياسين (ت ١٤٢٧هـ).
تاريخ المشهد الكاظمي، مطبعة المعارف، بغداد ، ١٩٦٧م.

١١١. محمد حسين الصغير (المؤلف).
الإمام زين العابدين، القائد – الداعية – الإنسان.
الطبعة الثانية، مؤسسة العارف للمطبوعات – بيروت ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.

١١٢ محمد حسين الصغير (نفسه).
الإمام موسى بن جعفر.
مؤسسة البلاغ –دار سلوني.

١١٣ محمد حسين الصغير (نفسه).
ديوان شعر (مخطوط).

١١٤ محمد حسين الصغير.
نظرات معاصرة في القرآن.
دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١١٥ محمد حسين الصغير.
الإمام الصادق.
مؤسسة البلاغ– دار سلوني، ٢٠٠٤م.

١١٦ محمد حسين علي الصغير (نفسه).
الإمام محمد الباقر(عليه السلام)، مجدد الحضارة الإسلامية.
مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢م.

١١٧ محمد حسين علي الصغير (نفسه).
الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية.
الطبعة الأولى، دار المؤرخ العربي– بيروت ٢٠٠٠م.

١١٨ محمد حسين الطباطبائي (من أعاظم مفسري القرآن في القرن العشرين).
الميزان في تفسير القرآن.
الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي – بيروت ١٣٩٣هـ.
١١٩ محمد صادق الموسوي الخرسان.
الخمس. الحوافز والمعطيات.
دار الضياء – النجف الأشرف، ٢٠٠٤م.
١٢٠ محمد عبده.(ت ١٣٢٣هـ)
شرح نهج البلاغة.
طبعة دار الأندلس، بيروت، د.ت.
١٢١ محمد كرد علي.
الإسلام والحضارة العربية.
١٢٢ المسعودي، علي بن الحسين بن علي البغدادي (ت ٣٤٦ هـ).
التنبيه والإشراف، دار المكتبة المصرية – القاهرة، د.ت.
١٢٣ المسعودي، علي بن الحسين.
إثبات الوصية .
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف .
١٢٤ المسعودي (نفسه).
مروج الذهب ومعادن الجوهر.
دار الأندلس – بيروت ١٩٦٥م.
١٢٥ مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢١هـ).
صحيح مسلم.
مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٣٤هـ.

١٢٦ المفيد، علم الهدى، السيد مرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ).
أمالي المرتضى.
تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي وشركاءه القاهرة ١٩٥٤م.
١٢٧ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ).
الاختصاص، المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ.
١٢٨ المفيد (نفسه).
الإرشاد.
المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ١٣٢٩هـ.
١٢٩ مير علي الهندي (أستاذ في الحضارة الإسلامية).
الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية.
طبع دار الفكر والتوزيع– عمان.
١٣٠ النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٤٥٠ هـ).
رجال النجاشي.
نشر جماعة المدرسين، قم ١٤٠٧هـ.
١٣١ النعماني ، محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني .
كتاب الغيبة.
مكتبة الصدوق – طهران.
١٣٢ النعماني، أبو الفرج، محمد بن إسحاق البغدادي (ت ٣٨٥ هـ).
الفهرست.
نشر الأستاذ فلوجل، لايبزك، ١٨٧١ – ١٨٧٢م، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.

١٣٣ هاشم معروف الحسني (من علماء لبنان).
سيرة الأئمة الإثني عشر.
الطبعة الثانية، دار القلم – بيروت، ١٩٧٠م.
١٣٤ اليافعي ، أبو محمد ، عبد الله بن اسعد اليمني (ت ٧٦٨ هـ).
مرآة الجنان.
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت ١٣٩٠ هـ.
١٣٥ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٥٤هـ).
تاريخ اليعقوبي.
تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس

الفصل السابع

الموضوع	الصفحة

